القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10597 الأحد 17 نيسان (إبريل) 2022 – 16 رمضان 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10597 Sunday 17 April 2022

حوار: عالم الاجتماع الليبي مصطفى عمر التير

رئاسيات فرنسا: مشهد لا يخلو من المفارقات

أسيوط المصرية: أرض الآثار والمقاومة

الأقصى جامع فلسطين: هبّة أم انتفاضة؟ 02
5000 فيروس جديد: هل تصمد البشرية؟ 33
هل استعاد برشلونة بريقه وألقه بالفعل؟ 41

السودان: مأزق الانقلاب وأخطار الانفجار

تشير المعطيات المتقاطعة حول أوضاع السودان الراهنة إلى تكامل متسارع لعاملين حكما البلد منذ أن قام الجيش بالانقلاب على منجزات الانتفاضة الشعبية وتعطيل المسار الديمقراطي واعتماد طرائق عنفية في قمع التظاهرات والاحتجاجات الشعبية. العامل الأول هو المأزق الذي انزلق إليه الانقلاب على أصعدة سياسية واقتصادية ومعيشية، والعامل الثاني هو آفاق الانفجار التي أخذت تتراكم في قطاعات واسعة من فئات شعبية تطحنها الآثار الكارثية للعامل الأول. وبين ارتهانات العسكر لقوى خارجية إقليمية وعجز عن مواجهة استحقاقات الداخل لا ترتسم اشباح الدولة الفاشلة وحدها، بل تبدو سلطة الانقلاب ذاتها على حضيض الإفلاس الأقصى.

(حدث الأسبوع 8-15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

هبة أم انتفاضة: الأقصى جامع الفلسطينيين وحامي هويتهم وجمرة نضالهم ضد الاحتلال

المداهمات والاعتقالات وجرائم القتل وتدنيس الأقصى جاءت مدفوعة بالرغبة لقتل روح الفلسطينيين واحتلال وعيهم وترهيبهم ظانة بأنها بذلك تخضعهم وتحسم الصراع معهم.

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

رغم أنها تعرف نفسها بـ«التغيير» وتشارك فيها أحزاب يسارية–صهيونية ومدعومة من القائمة العربية الموحدة (الحركة الإسلامية–الشق الجنوبي) لكن حكومة الاحتلال الحالية اقترفت قدرا كبيرا من البطش بحق الفلسطينيين يكاد يكون غير مسبوق في الأسبوع الأخير. فمنذ عملية تل أبيب قتلت قوات الاحتلال 25 فلسطينيا بعضهم نساء وبعضهم لم يكن جزءا من أي فعل مقاوم. وفي يوم الجمعة الأخير تجلى هذا البطش باعتداءات على المصلين في الأقصى وصفتها جهات فلسطينية كثيرة بالوحشية والهمجية. اعتقلت سلطات الاحتلال في يوم واحد نحو 500 شاب داخل الحرم القدسي وأصابت حوالي 150 آخرين، عشرات منهم ما زالوا يرقدون في المستشفى معظمهم من القدس وفلسطينيي الداخل بعد إغلاق الضفة الغربية وحرمان أهلها من بلوغ القدس ضمن إغلاق الفصح والإجراءات الأمنية الوقائية والعقاب الجماعي التأديبي. ويبدو أن جملة عوامل خلف هذا التصعيد الإسرائيلي المتعمد منذ نحو عشرة أيام أولها الرغبة بالانتقام لأن عملية تل أبيب جاءت موجعة بمكانها وتوقيتها وملابساتها، فقد حدثت رغم الإجراءات الأمنية الصارمة عقب عمليات سابقة وفي قلب تل أبيب. وما زاد من حالة الغضب والرغبة بالانتقام نجاح منفذ العملية من البقاء في تل أبيب ويافا تسع ساعات رغم حشد آلاف الجنود من كافة الوحدات نقلت قنوات التلفزيون حالة فوضى عارمة لهم وهم يهيمون على أنفسهم دون حيلة في محاولة للحاق بمنفذ العملية الشاب رعد فتحي من مخيم جنين، ابن عائلة مهجرة من مدينة شفاعمرو داخل أراضي 48. بعد هذه العمليات الفلسطينية المتتالية سادت حالة هلع وخوف لدى أوساط إسرائيلية دفعت حكومة الاحتلال للتصعيد و«الانتقال من الدفاع للهجوم» كما جاء في بيانها والهدف ليس أمنيا وقائيا فحسب فالمداهمات والاعتقالات وجرائم القتل وتدنيس الأقصى جاءت مدفوعة بالرغبة لقتل روح الفلسطينيين واحتلال وعيهم وترهيبهم ظانة أنها بذلك تخضعهم وتحسم الصراع معهم.

طبلة عقود اعتمدت إسرائيل عقيدة القوة المفرطة مع الفلسطينيين والقائمة على مبدأ ما لا يأتي بالقوة يأتي بالمزيد منها. وقد أشاد بهذه العقيدة وزير الأمن الإسرائيلي الأسبق موشيه يعلون في كتاب مذكراته «طريق طويل طريق قصير» وطبقها رئيس حكومة الاحتلال الراحل أرئيل شارون بشكل فظ خاصة في مطلع الانتفاضة الثانية. اللافت أن شارون نفسه عاد واستنتج بأن هذه العقيدة لا تكفي، وأقر لاحقا في لقاءات صحافية بأن هناك حدودا للقوة وهذا يفسر إقدامه على فك الارتباط مع غزة. غير أن حكومة الاحتلال الحالية عادت لهذه العقيدة وتبتغي كسر روح الفلسطينيين بكل وسيلة ضمن المعركة الدائرة على الوعي وهذا لكونها حكومة ضعيفة باتت بطة عرجاء بسبب فقدانها الأغلبية في الكنيست بعد انسحاب أحد أعضاء الائتلاف الحاكم قبل أسبوعين. كما أن مزاودات المعارضة عليها واتهامها بالعجز والضعف وتشجيع «الإرهاب» يدفعها للتصعيد ولارتكاب مثل هذه الحماقات داخل الحرم القدسي الشريف في محاولة لإيصال رسالة سياسية داخلية للإسرائيليين.

هبة نيسان

في المقابل لا مفر أمام الفلسطينيين سوى محاصرة حصارهم، فهم يواجهون حالة ضيق تدفع بالضرورة للتصدي لاحتلال يقتلهم كل يوم. عبّر عما يدور في خلد الفلسطينيين الصحافي محمد دراغمة ابن مدينة طوباس المقيم في رام الله بقوله «نيسان هو شهر التمرد والانقلاب والتغيير عند الأرض وعند الإنسان في بلادنا، فيه تطوي الأرض فصل الشتاء القاسي وتكتسي حلتها الخضراء الجديدة والجميلة، وربما توافق توقيت التغيير عند الأرض مع توقيت الحاجة والسعي إلى التغيير عند الإنسان الفلسطيني. واضح أننا أمام موجة احتجاجات شعبية واسعة متصاعدة يمكن أن نسميها هبة شعبية أو هبة نيسان أو احتجاجات نيسان. هذه الاحتجاجات جاءت ردا صارخا على جملة من السياسات والإجراءات الإسرائيلية والدولية». كما يوضح دراغمة إنه من ناحية إسرائيل دخل الاحتلال مرحلة جديدة هي التهديد الوجودي للفلسطينيين ويدلل على ذلك بالقول: الاستيطان وصل إلى مرحلة خنق الفلسطينيين، فالسلوتطانات توسعت وأصبحت تهدد الوجود الفلسطيني من حيث السيطرة على مصادر الحياة وفضاءات الحركة والوجود. الاستيطان اليوم يعني انه لم يعد للفلسطينيين ماء للشرب ولا أي أرض للزراعة والبناء وبعض المناطق تصلها المياه مرة في الشهر، ولم يعد الفلسطيني قادرا على الحصول على قطعة أرض لبناء بيت لأسرته، لم يعد الفلسطيني قادرا على الحركة بين المدن بسبب أزمات المرور الحادة الناجمة عن التوسع الاستيطاني وعدم وجود أرض لشق طرق». ويتفق دراغمة مع الكثير من المراقبين ممن يشيرون أيضا لدور فقدان الأمل وانسداد الأفق أمام الفلسطينيين ويقول إن إسرائيل أغلقت الطريق أمام أي أمل بحل سياسي وذهبت إلى حلول اقتصادية وحياتية. ويؤكد أيضا أن العالم ساهم في فقدان الأمل وسيادة الإحباط عندما هب للوقوف مع الشعب الأوكراني وقدم له كل أشكال العون والدعم العسكري والسياسي والإنساني لمواجهة الغزو الروسي وفرض على روسيا عقوبات خانقة فيما تجاهل كل الإجراءات الإسرائيلية التي وصلت حد التهديد الوجودي للفلسطينيين. ويخلص للقول «الإجراءات الإسرائيلية والموقف الدولي أديا إلى إصابة الفلسطيني بإحباط شديد وعندما يصاب الإنسان بالإحباط وفقدان الأمل وتتساوى عنده الحياة مع الموت يذهب إلى خيارات متطرفة مثل العمليات الفردية ذات الطابع الانتقامي».

هبة أم انتفاضة شعبية؟

وردا على سؤال يرى دراغمة أنه يمكن لهذه الاحتجاجات أن تتحول إلى انتفاضة شعبية في حال واحدة هي وجود قوى سياسية متفقة على قيادتها وتنظيم فعاليتها ومدها بالحياة والاستمرارية. ويتابع «هذا لا يبدو متوفرا لأن السلطة ابتلعت حركة فتح التي تمثل العمود الفقري لمنظمة التحرير ومشروعها التحرري، وبسبب الانقسام الذي فتت الحركة الوطنية الفلسطينية وشتت قواها وأهدافها ودمر المؤسسة التمثيلية وهي المجلس التشريعي». لذلك يرجح ان تستمر هذه الموجة من الاحتجاجات من خلال عمليات فردية وهبات شعبية في مواجهة كل أشكال الوجود العسكري الإسرائيلي مثل الاقتحامات اليومية التي يقوم بها جيش الاحتلال بهدف الاعتقال أو إغلاق المؤسسات وغيرها.

مركزية الأقصى

ولا شك أن الحرم القدسي الشريف عامل مهم في تأجيج هذا الصراع، وانتهاكات حرماته تصب الزيت على نار الصراع، فهو صرح تاريخي حضاري وديني ووطني يجمع الفلسطينيين على طرفي الخط الأخضر ما يفسر مشاركة فلسطيني الداخل بقوة في هبة الكرامة خلال أيار/مايو 2021 رغم تدهور أحوال الأحزاب وحالة الردة السياسية داخل أراضي 48. وهذا يفسر اندفاع المئات من فلسطينيي الداخل أمس الأول أيضا للأقصى والرباط فيه طيلة ليلة الجمعة وما زال العشرات منهم معتقلون أو جرحى في المستشفيات المقدسية، فهو بالنسبة لهم مس بالقلب وبالوجدان وخط أحمر. وما زاد من حالة الهيجان والغضب لدى الفلسطينيين على طرفي الخط الأخضر التقارير الصحافية حول استعدادات جماعات الهيكل لاقتحام الأقصى في عيد الفصح مع تقديمها قرابين داخل الأقصى علاوة على ممارسة شعائر تلمودية في الحرم ومحيطه في الأيام الأخيرة بموافقة سلطات الاحتلال ومعرفتها.

الاعتداء على الصحافيّ رامي خطيب

أبرق مركز «إعلام» الحقوقي من مقره في مدينة الناصرة داخل أراضي 48 رسالة إلى وزير الأمن الداخلي، عومر بار ليف، مطالبًا بالتحقيق في حادثة الاعتداء على الصحافي والمصور المقدسيّ رامي خطيب صباح الجمعة في باحات المسجد الأقصى. وكان الصحافي خطيب تعرّض إلى ضرب مُبرح من قبل فرقة من الجنود ما أدى إلى تلقيه المساعدة الطبية حيث اتضح لاحقًا ان يده كُسِرت. ووثقت الكاميرات هرولة فرقة من الجُنود تجاه خطيب أثناء تأدية مهامه الصحافيّة والتصوير، وقامت لاحقًا بركله وضربه في جميع أنحاء جسده بالعصي ما أدى إلى سقوطه أرضًا مغشيًا عليه. وأوضح مركز «إعلام» في رسالته أنّ الاعتداء على الصحافيين العاملين على تغطية الأحداث ينافي القوانين الدوليّة والمحلية خاصةً أنّ العمل الصحافيّ محمي لضمان حق التعبير وحق المعرفة للجمهور. كما أوضح أنّ الاعتداء الجسدي على الصحافي خطيب لا يقتصر فقط على اعتداء على الحقوق المذكورة أعلاه، إنما على حقه في العمل حيث سيمنع الحادث وكسر يده عمله في المجال لعدة أيام قد تمتد إلى أشهر.

وطالب المركز وزير الأمن في حكومة الاحتلال بالتحقيق في الحادث وإصدار أوامر للشرطيين والجنود بضرورة حماية الصحافيين وتهيئة ظروف عمل تضمن لهم العمل بأمان وحرية. وذكر أنّ هذا الحادث ليس الأول، حيث وثق المركز عشرات الاعتداءات على صحافيين منذ عامين.

إبعاد واعتقال المقدسيين في رمضان: سياسة الاحتلال في تفريغ الأقصى التي لن يكتب لها النجاح

لا تتوقف الإجراءات الاحتلالية على سياسات الإبعاد إنما على رأس القائمة منها الاعتقالات التي تهدف إلى منع تواجد النشطاء في المسجد الأقصى.

القدس – «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

لن تخطئ العين القادمة للصلاة في المسجد الأقصى المبارك مجموعات صغيرة من المصلين المقدسيين الذين يفترشون أرصفة مجاورة للحرم بهدف الصلاة وأداء قيام الليل وحتى تناول طعام الإفطار.

وسيحار الزائر الجديد وغير المتابع في أسباب قيام هؤلاء بالصلاة في هذه الأماكن التي لا تبعد الكثير عن الأقصى، فيما يحاطون بمجموعة من شرطة الاحتلال التي لا تتوانى عن إزعاجهم بالصراخ والشتائم.

في منطقة باب المجاهدين القريب من باب حطة الشهير تفترش خمس من النسوة المقدسيات عتبة مرتفعة عن الشارع الذي يسلكه القادمون لأداء الصلوات في الأقصى وإلى جوارهن بقايا طعام الإفطار، من هؤلاء المرابطات هنادي الحلواني وعائدة صيداوي ونفيسة خويص.

وخلال أسبوعين على شهر رمضان المبارك قامت قوات الشرطة الإسرائيلية بإصدار أكثر من 47 أمر إبعاد عن المسجد الأقصى لمجموعة كبيرة من المرابطين والشيوخ والنشطاء والحزبيين من مدينة القدس.

ومن وجهة نظر الاحتلال وشرطته فإن هؤلاء هم نشطاء يقومون بالتحريض ضد الاقتحامات ويؤثرون على المصلين، وطالما لم يتمكن الاحتلال من إدانتهم عبر إثبات أي تهمة عليهم يكون فعل الإبعاد عقوبة ماضية بحقهم.

وتنظر المبعدات عن المسجد إلى أنه لا توجد عقوبة أقسى من الإبعاد وتحديدا في رمضان، وهن صاحبات القلوب المعلقة بالمسجد الأقصى والبلدة القديمة وهي عقوبة لا تمنعهن عن القدوم لأقرب نقطة يكن فيها قريبات من مسجدهن.

عائدة صيداوي المبعدة عشرات المرات عن المسجد ترى أن الإبعاد قرار مؤلم وتحديدا لمن يصلي في المسجد الأوقات الخمسة.

وبالنسبة لصيداوي فإن الأقصى يعتبر كل حياتها، وهي تبكي عندما ترى المواطنين يدخلون الأقصى من باب الأسباط وهي ممنوعة من ذلك ولا تجد غير «حسبي والله ونعم الوكيل».

وترفض هي ومجموعة من المرابطات الصلاة بالبيت معتبرة أن الإبعاد لا يزيدها إلا ثباتا وعزيمة.

وتؤكد صيداوي كما حلواني أن الرباط في شارع القدس واجب يومي، وهن كما غيرهن من المبعدات والمبعدين لن يتخلوا عن المسجد الأقصى مهما كلف الثمن. «سنرابط هنا إلى يوم الدين».

وتتضاعف مشاعرهن الحزينة عندما يشاهدن يوميا عشرات المستوطنين يصولون ويجولون فيما قوات الاحتلال تحميهم، وهن بنات القدس ممنوعات من التواجد في مسجدهن.

حسب مركز معلومات «وادي حلوة» فإن الاحتلال وعشية «عيد الفصح اليهودي» أصدر قرارات إبعاد كثيرة عن المسجد الأقصى والبلدة القديمة، حيث رصد المركز 47 قرار إبعاد، من بينها 26 قرار إبعاد عن الأقصى، 20 قرار أبعاد عن البلدة القديمة، وقرار منع دخول الضفة الغربية بحق محافظ المدينة عدنان غيث.

وأصدرت سلطات الاحتلال خلال الأسبوع الماضي قرارات إبعاد عن المسجد الأقصى والبلدة القديمة لمدة 15 يومًا، لكل من بينهم؛ نور شلبي، محمد أبو سبيتان، منصور درويش، نصر الله محمود، يوسف الرشق، عبد بربر ومجد أعمر إلى جانب الشبان نعمان وزوز وإيهاب أبو سنينة وجهاد شلبي ورامي فاخوري ونهاد الزغير عن المسجد الأقصى لمدة عشرة أيام.

كما قام الاحتلال بتجديد الإبعاد عن أحياء شرق القدس بحق الأسير المقدسي المحرر يعقوب أبو عصب مع حصر تواجده في حي الصوانة فقط حيث يسكن.

ومنذ بداية العام الجاري، أصدرت سلطات الاحتلال عشرات أوامر الإبعاد لفلسطينيين من القدس والداخل المحتل والضفة، عن المسجد الأقصى والبلدة القديمة لمدد تراوحت ما بين أسبوع وستة شهور.

ومن الشخصيات التي تم إبعادها نائب مدير دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس ناجح بكيرات حيث تسلم قبل رمضان قرارا بالإبعاد عن المسجد الأقصى مدة 6 أشهر.

الاعتقالات سلاح قديم جديد

ولا تتوقف الإجراءات الاحتلالية على سياسات الإبعاد إنما على رأس القائمة منها الاعتقالات التي تهدف إلى منع تواجد النشطاء في المسجد الأقصى.

وجاء في تقرير مركز معلومات «وادي حلوة» أن قوات الاحتلال صعدت من الاعتقالات في مدينة القدس منذ مطلع نيسان/ابريل الجاري مع بداية شهر رمضان.

وجاء في تقرير المركز النصف الشهري لنيسان/ابريل أن سلطات الاحتلال افتتحت مع بداية شهر رمضان وحدة تحقيق خاصة في مركز المسكوبية للاعتقالات في القدس، خاصة الميدانية، حيث يقوم محققو الوحدة بالتحقيق مع المعتقلين، لتمديد اعتقالهم أو لعرضهم على المحكمة أو الإفراج عنهم بشروط أبرزها الإبعاد عن مكان الاعتقال.

وأضاف أن سلطات الاحتلال خصصت قسما للمعتقلين الأمنيين في مركز توقيف المسكوبية.

ورصد المركز منذ بداية شهر نيسان/ابريل الجاري وحتى 14 منه، 134 حالة اعتقال من مدينة القدس، من بينهم 29 قاصرا، وسيدة.

وحسب التقرير فإن أكثر من 75 اعتقالا تمت من شوارع مدينة القدس «باب العامود، الساهرة، السلطان سليمان، شارع نابلس، المصرارة» خلال ساعات الليل، إضافة إلى عدد من الاعتقالات من الأقصى وأبوابه.

وأشار التقرير أن العديد من الاعتقالات الميدانية في شوارع القدس، نفذت من خلال «وحدة المستعربين» الشرطة المتخفية بالزي المدني، لافتا أن القوات تنتشر بأعداد وفرق كبيرة منذ بداية رمضان في الشوارع، وفي أول أسبوع قمعت المتواجدين عدة مرات بالضرب والدفع والاعتقالات، وسجلت خلال الأيام الأولى ما يزيد عن 30 إصابة.

ولفت المركز أن الشرطة تنقل الاعتقالات الميدانية من شوارع القدس إلى مركز متنقل افتتح مؤخرا في «سوق الفلاحين» على بعد عدة أمتار من باب العامود، ومنه إلى سيارات الشرطة، ثم إلى مركز التحقيق، موضحا أن المعتقلين يتم احتجازهم في «المركز المتنقل» لأكثر من ساعة، ويتعرضون فيه للضرب والدفع، وإجبارهم على الجلوس أرضا وعدم الحركة، والأيدي والأقدام مقيدة، إضافة إلى كيل الشتائم.

وصعدت سلطات الاحتلال من قرارات الاعتقالات الإدارية، فحولت خلال الأسبوعين الأخيرين 10 مقدسيين لفترات تتراوح بين شهر و4 أشهر، ومن بين الاعتقالات الإدارية، قرار اعتقال النائب المقدسي المبعد عن المدينة أحمد عطون، حيث اعتقل بداية الشهر وبعد عدة أيام حول للاعتقال الإداري.

أما ذروة الفعل القمعي حدثت فجر الجمعة عندما اعتقلت شرطة الاحتلال أكثر من 400 شاب من المسجد الأقصى واقتادتهم إلى مراكز تحقيق.

وأفرجت شرطة الاحتلال مساء الجمعة، عن معظم الفتية والشبّان المعتقلين الذين وصل عددهم نحو 476 معتقلاً، وقد تعرّضوا للضرب الوحشي أثناء اعتقالهم.

وحسب رئيس لجنة أهالي أسرى القدس أمجد أبو عصب، فإن شرطة الاحتلال أفرجت عن معظم معتقلي الأقصى، فيما مددت اعتقال 113 شخصاً لمدّة 48 ساعة.

وحسب المحامي المقدسي حمزة قطينة فإن سلطات الاحتلال أفرجت عن كافة المعتقلين القاصرين الذين تقل أعمارهم عن 18 عاماً، بدون تحقيق، من مركز المسكوبية، أما المعتقلون الذين تزيد أعمارهم عن 18 عاماً، فمجموعة منهم تم توزيعها على سجون الاحتلال، ومجموعة أخرى يتم الإفراج عنها.

وانتشرت على شبكات التواصل الاجتماعي عشرات الصور لمقدسيين مقيدين بالسلاسل في حافلات نقلتهم إلى مراكز تحقيق في القدس لكنهم بدوا مبتسمين ومبتهجين.

وانتشر هاشتاغ «جكر» تعبيرا عن رفض الانصياع لأوامر الاحتلال في إخلاء المسجد الأقصى وتعبيرا عن أن سياسات القمع والتخويف لن تثني المقدسيين عن القدوم والاعتكاف في المسجد.

وبرأي المحلل السياسي هاني المصري فإن ما قامت به قوات الاحتلال في المسجد الأقصى فجر أمس من اقتحام واعتقال وجرح المئات يستهدف منع المصلين من المرابطة فيه، والحد من عددهم في الجمعة الثانية من رمضان وتمهيد الطريق لجموع اليهود وتمكينهم من الاحتفال بعيد الفصح الذي سيبدأ مساء اليوم ويستمر لمدة أسبوع.

وأكد المصري أن السياسة الإسرائيلية تشير إلى أنه يمكن أن يشهد العيد ذبح القرابين إذا لم يتوقعوا ردا فلسطينيا بمستوى الخطر، وهذا يصب في خدمة خطة التقسيم الزماني والمكاني للأقصى الجاري تنفيذها منذ سنوات، كمرحلة على طريق هدمه وبناء هيكل سليمان المزعوم بدلا عنه.

أوكرانيا بين الألغام المتروكة وإشاعات الحرب الكيميائية

شنت القوات الأوكرانية هجمات داخل الأراضي الروسية، واستهدفت منشأة تخزين وقود، كما قالت لجنة تحقيق روسية إن طائرتي هليكوبتر أوكرانيتين انتهكتا المجال الجوي الروسي وشنّتا غارات على مبان سكنية.

صادق الطائي

بعد مرور أكثر من خمسين يوما على بدء الهجوم الروسي على أوكرانيا، بدا الموقف على الأرض محتدما، بالرغم من أن بعض التصريحات الروسية الرسمية حاولت أن تُبشر بقرب نهاية العملية العسكرية الخاصة في أوكرانيا (وهو الاسم الروسي الرسمي لاجتياح أوكرانيا). فقد صرح أندريه كليموف، رئيس لجنة مجلس الاتحاد (وهو مجلس الشيوخ في البرلمان الروسي) يوم الخميس 15 نيسان/ابريل الجاري بالقول: «من أجل حماية سيادة الدولة في روسيا، ستنتهي العملية العسكرية الخاصة في أوكرانيا قريبا». وأضاف: «العملية العسكرية الخاصة الروسية ستنتهي قريبا جدا، ولن نمدها عمدا». وأوضح إنه «بمجرد أن نجعل أوكرانيا آمنة لروسيا وللعالم بأسره، ونضمن سلامة المختبرات البيولوجية وسلامة المنشآت النووية، عندها سنرى ما سيحدث هناك، وبعد ذلك ستتوقف العملية العسكرية»، بالمقابل أشار كليموف إلى التأثير السلبي على الوضع على الأرض نتيجة استمرار دول الغرب بإمداد أوكرانيا بالسلاح.

من جانب آخر يبدو أن هناك تداولا لإشاعات عن ضربات كيميائية نفذتها القوات الروسية في أوكرانيا، وإن بدا الأمر غير مثبت بالوثائق حتى الآن، إذ اتهم أندريه بيلتسكي قائد فوج آزوف، روسيا باستخدام أسلحة كيميائية مجهولة المصدر» تم إسقاطها باستخدام طائرة بدون طيار على مدنيين في ماريوبول. وقال بيلتسكي لصحيفة «كييف إندبندنت» إن ثلاثة أشخاص ظهرت عليهم علامات التسمم الكيميائي، ولكن يبدو أنه لا توجد «عواقب وخيمة» على صحتهم. وقد تلقف الغرب هذه التصريحات، وسلط عليها الضوء بشكل مبالغ به باعتبارها جرائم حرب روسية، إذ قالت وزيرة الخارجية البريطانية ليز تروس إن العمل جار للتحقق من تفاصيل الهجوم ، وأضافت أن «أي استخدام لمثل هذه الأسلحة سيكون تصعيدًا قاسيًا في هذا الصراع، وسنحاسب بوتين ونظامه جراء أفعالهم». كما أشار المتحدث باسم البنتاغون جون كيربي إلى أنه كان على الوقت الحالي».

كما قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية، نيد برايس، إن هناك «معلومات موثوقة» تفيد بأن روسيا ربما كانت «تستعد لاستخدام عوامل كيميائية» كجزء من الجهد العسكري لإضعاف المقاومة في مدينة ماريوبول. وفي حديثه مع جيك تابر من«CNN» قال برايس :«كانت هناك معلومات موثوقة متاحة تفيد بأن الروس ربما كانوا يستعدون لاستخدام عوامل تتعلق بجرائم حرب مزعومة ضد القوات الروسية قيد التحقيق. كما قال فاديم بويشينكو رئيس بلدية ماريوبول في مقابلة عبر الهاتف مع وكالة «أسوشيتد برس» إن عدد القتلى المدنيين في ماريوبول قد يتجاوز العشرة آلاف قتيل، حيث تركت المدينة لأسابيع ترزح تحت ظل الهجمات العسكرية الروسية مع حرمانها من قوافل الإغاثة والمساعدات الإنسانية، الأمر الذي أدى إلى تكدس جثث المدنيين في ماريوبول وهي «مغطاة بالسجاد في الشوارع».

من جانب آخر تداولت وسائل الإعلام قصصا إخبارية عن مسألة النفض الحاد في الأعتدة والأسلحة والمعدات الذي تعاني منه القوات الروسية في أوكرانيا، إذ كتب بيثان ماكيرنان من كيبف، وفيرا ميرونوفا من لفيف تقريرا في صحيفة «الغارديان» البريطانية جاء فيه «تم إرسال قذائف آر بي جي وصواريخ مضادة للدبابات، بالإضافة إلى أنظمة إطلاق صواريخ برازيلية التصميم، من العراق إلى روسيا مرورا بإيران عبر معبر الشلامجة الحدودي يوم 26 آذار/مارس، ليتم نقلها بعد ذلك بحريا إلى روسيا. إذ تم شحن الأسلحة والأعتدة على ثلاث سفن، اثنتان ترفعان العلم الروسي والأخرى ترفع العلم الإيراني عبرت بحر قزوين من ميناء بندر أنزالي الإيراني إلى أستراخان، وهي مدينة روسية على دلتا الفولغا». كما نقل التقرير تصريحا لمن وصفه بأنه «أحد قادة الميليشيات الشيعية العراقية» دون ذكر اسمه، حيث قال «لا يهمنا أين تذهب الأسلحة ومنظومات الصواريخ، وأننا لسنا بحاجة إليها في الوقت الحالي، وأن كل ما هو مناهض للولايات المتحدة يجعلنا سعداء.»

كما أشار تقرير «الغارديان» إلى أن الحكومة الإيرانية بدورها قد تبرعت بنظام صاروخي من طراز بافار 373 إيراني الصنع، الشبيه بنظام S-300 الروسي، ونقل التقرير وفقًا لمصدر ساعد في تنظيم عملية النقل أن «استخدام عالم تهريب الأسلحة من شأنه أن يشير إلى تحول جذري في الاستراتيجية الروسية، حيث اضطرت موسكو إلى الاعتماد على طهران، حليفها العسكري في سوريا، بعد العقوبات التي فرضت عليها بعد غزو أوكرانيا». لكن الحكومة العراقية من جانبها نفت ما ورد في تقرير صحيفة «الغارديان» البريطانية بشأن تهريب أسلحة من العراق إلى روسيا، ونقلت قناة «روسيا اليوم» نفي الحكومية العراقية، وقالت المصادر العراقية «كيف نهرب أسلحة إلى روسيا ونحن نستورد منها الأسلحة على مدى عقود؟» كما تساءلت: من يصنع الأسلحة العراق أم روسيا؟ لكن بعض المصادر العراقية أشارت إلى معلومة مفادها «ربما هناك من هرّب أسلحة من العراق إلى دولة مجاورة، لكن لا يوجد أي شيء ممنهج يعلم الحكومة العراقية، وحتى الجماعات الخارجة على القانون لا يمكنها فعل ذلك، فالحدود مؤمنة».

لكن تطورات عسكرية لافتة أخذت بالتصاعد في الأيام الأخيرة، إذ شنت القوات الأوكرانية هجمات داخل الأراضي الروسية. فقد استهدف هجوم أوكراني منشأة تخزين وقود في مقاطعة بيلغورود الروسية، كما قالت لجنة تحقيق روسية، إن طائرتي هليكوبتر أوكرانيتين انتهكتا المجال الجوي الروسي وشنّتا غارات جوية على مبان سكنية في منطقة بريانسك القريبة من الحدود الأوكرانية الروسية، هذ الأمر دفع موسكو إلى التهديد بقصف مراكز قيادة في كييف ردا على الهجمات الأوكرانية، وقالت وزارة الدفاع الروسية إن عدد وحجم الضربات الصاروخية ضد أهداف في كييف سيزداد ردا على أي هجمات أو تخريب يستهدف الأراضي الروسية، وجاء في بيان الوزارة «سيتم زيادة عدد وحجم الضربات الصاروخية على أهداف في كييف ردا على ارتكاب قوات كييف لعمليات تخريب في الأراضي الروسية».

من جانبها صرحت الجهات الحكومية الأوكرانية يوم الخميس 14 نيسان/ابريل الجاري، أنها استهدفت الطراد الحربي الروسي «موسكفا» بالبحر الأسود، وكان حاكم منطقة أوديسا الأوكرانية، ماكسيم مارشينكو، قد صرح بأن أوكرانيا ضربت الطراد بصاروخين تسبيا في وقوع «أضرار جسيمة». لكن وزارة الدفاع الروسية رفضت الاعتراف بالقصة الأوكرانية، وأشارت إلى أن حريقا اندلع على متن الطراد الحربي نتيجة تفجر عتاد حربي مخزن فيه ما استدعى إخلاء طاقم الطراد المكون من أكثر من خمسمئة عسكري من البحرية الروسية. ويرى خبراء عسكريون أنه «سواء حدثت هذه الهجمات بالفعل أم لا، فمن الواضح أن أوكرانيا بدأت تتخذ زمام المبادرة في الحرب وتشن هجمات بطرق مختلفة، غير أن ذلك قد يسرع برد فعل عسكري روسي واسع في شرق البلاد، مما قد يعقد الوضع على الأرض».

الأردن: إيجاد الامكانات الاقتصادية أولا والبحث عن «فريق وطني» لإدارة الأزمة

بعض من تسبب بالمشكلات البيروقراطية وأعاق التخطيط الصحيح في الماضي عندما كان في الحكومة وجد نفسه اليوم تحت خيمة الديوان الملكي والمطلوب منه وضع حل وتصويب الأمر أو إصلاحه.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

المسافة مجددا قد لا تكون فاصلة حقا بين أجندة حوار مع مستثمري وأركان السوق لأغراض معالجة مشكلاتهم واحتياجاتهم وبين تشخيص وطني يخص الاقتصاد والاستثمار.

يشعر هنا كل من يراقب بعض تفاصيل ورشة العمل الاقتصادية والتي يستضيفها الديوان الملكي الأردني بأمل توفير فرصة للتحاور مع الذات وتحرير الامكانات بالمفارقة المتجددة، فالوزراء المشاركون في النقاش والحوار يتم تهميشهم وحائرون على الأرجح، وإدارة العصف الذهني تعتمد على شريحتين الأولى تمثل شركات وليس خبرات، والثانية وزراء سابقين وجدوا ان لديهم فرصة في إدارة نقاشات بالمعنى الحرفي والحقيقي حتى يتم تحريرها والواجب هو التخطيط لوجود تلك الامكانات قبل أي شيء آخر وقبل التحدث عن تحريرها أو تحديث منظومتها لاحقا وذلك عبر قراءة الممكنات والميكانيزمات المتوفرة مع الإقرار بان تحالف الاوتوقراط مع رموز السلطة والمال لا يمكنه قراءة التفاصيل خارج مصالحه المباشرة وبالتالي ضمن رؤيا وطنية عميقة حقا.

المحظور الذي تبناه الخفش علنا يحصل في الواقع. هذا ما تشير إليه معطيات الاشتباك في عدة مفاصل ومحطات داخل اللجان القطاعية في ورشة العمل التي تقترب من صياغة ورقتها الأخيرة.

لاحظ الجميع ان من يمثل في الحوارات الذهنية قطاع تجارة السيارات مثلا يتحدث حصرا عن مصالح القطاع وبصفة تاجر سيارات وليس بصفة مخطط اقتصادي، ومن يدير نقاشات قطاع النقل والشحن البري يمثل واحدة من الشركات النافذة في السياق.

ولاحظ الجميع ان ممثلي البنوك في النقاشات يديرون بوضوح القرض إلى مساحات مصالحهم لا لإيجاد حلول لمشكلات كانوا سببا في إنتاجها وتراكمها أصلا.

الوصفات الاسترشادية المترجمة لم تفلح في تقديم وظيفتها بصورة منتجة. والحكومة وهي بانتظار لادة وثيقة باسم تحديث المنظومة الاقتصادية للبلاد تترقب وتنتظر وتعلم مسبقا بان صفة الوثيقة باعتبارها عابرة للحكومات لا تعني في الاحتكام الدستوري والقانوني والواقع البيروقراطي إلا ان فلترة التوصيات وترسيم الإجراءات وظيفة تتطلب حكومة في الواقع.

ثمة فوضى في الأولويات خلال النقاشات تزحف كلما ظهرت مسافة فارقة بين جلسات عصف ذهني المطلوب منها التخطيط للمستقبل أو نقاشات يتضح للمراقبين لاحقا بانها تمثل رؤوس أموال أو شركات في السوق وتلك مجددا مفارقة كبيرة ستؤدي إذا لم يحصل استدراك فوري إلى تهميش وطني في التخطيط الاقتصادي لصالح الشخصي.

تحميل مؤسسة الديوان الملكي مسؤولية هذا العبء في ورشة العمل الشهيرة خطأ كبير برأي خبير اقتصادي مثل الدكتور أنور الخفش الذي يصر وعبر «القدس العربي» بان ورشة العمل تلك لا يجوز أن تبقى في مؤسسة القصر وينبغي ان تنتقل وفورا إلى الحكومة والسلطة التنفيذية.

يتحدث الخفش عن تفكيك الارتباط بين المشروع الذي تمثل الورشة مصالحه وبين المرجعيات التي تعتبر ثوابت الأردنيين، فيما يجدد الخبير الاقتصادي والبرلماني السابق الدكتور هيثم العبادي وأيضا عبر «القدس العربي» التأكيد على ان قطاعات المال والأعمال طرف ولاعب أساسي في الواقع لكن ينبغي التأسيس لمقاربة وطنية أفقية لا تقف عند التشخيص فقط بل تضع توصيات أفقية تمثل جميع الأردنيين.

لا يبدو عموما ان الحكومة مرتاحة لكيفية إدارة جلسات العصف الذهني، فبعض من تسبب بالمشكلات البيروقراطية وأعاق التخطيط الصحيح في الماضي عندما كان في الحكومة وجد نفسه اليوم تحت خيمة الديوان الملكي والمطلوب منه وضع حل وتصويب الأمر أو إصلاحه. وهو وضع مختل برأي وتقدير الدكتور الخفش الذي يحذر مجددا من كلفة البقاء مطولا في الانتظار ومنطقة التردد مطالبا بالعودة لعصف ذهني جماعي ووطني وعملية إصلاح هيكلية في الملف الاقتصادي من الواضح انها لن تبدأ قبل إقرار الخطوة الأجرأ والتي تتمثل في تشكيل «فريق وطني يدير الأزمة»، ليس من حيث القدرة فقط على إدارتها لا بل من حيث توفير الامكانية لتحويل الأزمة إلى فرصة والمحنة إلى منحة.

يعترض الخفش وغيره على عدم واقعية وعلمية مفهوم تحرير الامكانات، ويعبر عن الخشية من توريط القرار بمصطلحات وعبارات خارج نطاق العصف الذهني العميق ويرى بانه لا توجد إمكانات أصلا بل يدفع بعضهم باتجاه إعادة البلاد والعباد إلى مربع خفض الضريبة على البنوك مرة أخرى فيما لا يمكن توجيه اللوم لأبناء شركات أو مؤسسات تجارية أو لتجار في السوق أو لموظفي شركات كبيرة وبنوك جمعوا تحت ظل خيمة واحدة وطلب منهم تحرير امكانات الاقتصاد الوطني. فهندسة المسألة أصلا فيها عيوب لا أمل في تجاوزها إلا عبر الفلتر المركزي في رئاسة الوزراء والحكومة الذي يمكنه التقاط ما هو جوهري فقط في توصيات الورشة ووثيقتها وإعادة موضعتها وفقا للأصول الدستورية.

اليمن: المجلس الرئاسي يواجه تحديات قانونية وعسكرية قد تعيق أداءه السياسي على أرض الواقع

خرج رئيس المجلس الرئاسي رشاد العليمي إلى العلن في ظهور نادر، الجمعة، يرأس اجتماعا لأعضاء المجلس والحكومة والمحافظين والسفراء، استعرض خلاله الاتجاهات العامة لخطة عمله للفترة المقبلة.

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

يواجه المجلس القيادي الرئاسي في اليمن تحديّات عديدة، وفي مقدمتها القانونية والعسكرية والتي قد تلعب دورا كبيرا في إعاقة أدائه السياسي، ويكون وضعه أسوأ مما كان عليه الوضع في عهد الرئيس السابق عبدربه منصور هادي، حيث كان الأسبوع الأول منذ تشكيله حافلا بالمتناقضات والاختلالات التي قد تكون مؤشرا للوضع في المستقبل. وتقف في مقدمة تلك التحديات، افتقاره للأسس القانونية والدستورية التي يفترض أن يكون أنشأ بموجبها، حيث تم إنشاء هذا المجلس الرئاسي، الذي يعد أعلى سلطة سياسية في البلاد، بدون سند قانوني أو مرجعية دستورية، واعتمد في ذلك على إعلان دستوري «مشكوك في قانونيته» وفقا لخبراء في الشأن القانوني، وهو ما أثار انتقادات وتفسيرات كثيرة، رغم الارتياح الشعبي من انتهاء عهد هادي والتفاؤل في أن يكون المجلس الرئاسي بمثابة (المُخلّص) من الوضع اليمني البائس الذي أوصل الأزمة في البلاد إلى طريق مسدود.

وشبّه العديد من اليمنيين عملية «الهروب» السياسي من الوضع البائس لنظام الرئيس هادي إلى تشكيل المجلس القيادي الرئاسي كـ«المستجير من الرمضاء بالنار» ليس تشاؤما مبكرا، ولكن نظرا لعدم دستوريته وعدم واقعية الوضع الذي سيئول إليه، لكثرة المعوقات العسكرية والاقتصادية والأمنية وغيرها، والتي تشكل جميعها معوقات أكثر تعقيدا من المعوقات التي كانت تواجه منظومة الرئيس هادي التي أصيبت بالجمود وعجزت عن تحريك المياه الراكدة في الأزمة اليمنية منذ اندلاع الحرب نهاية العام 2014.

انتهى الأسبوع الأول منذ ولادة المجلس القيادي الرئاسي، من دون أن يتمكن من أداء اليمين الدستورية، حيث بمجرد الإعلان عن تشكيل المجلس، وقع أعضاؤه في ورطة، لا يعرفون أين وأمام من يفترض أن يؤدوا اليمين الدستورية، حيث انتقت سلطة الرئيس هادي بمجرد نقل صلاحياته لهذا المجلس، وأصبحت شرعية ولايته منتهية، كما أن مجلس النواب «البرلمان» الذي يمكن أن يكون البديل القانوني لأداء اليمين الدستورية، غير مكتمل ولا يمكن أن يحصل على النصاب القانوني للقيام بذلك، لانقسام أعضائه بين المجلس البرلماني في صنعاء الواقع تحت سيطرة الانقلابيين الحوثيين وبين المجلس التابع للسلطة الشرعية، وكلاهما يفتقر للعدد الكافي لانعقاد أي جلسة قانونية لهما، بالإضافة إلى وفاة العديد من أعضائه، منذ انتخابه في 2003 والذي أصبحت ولايته أيضا منتهية.

وبعيدا عن الجانب القانوني والدستوري، بدى المجلس الرئاسي في اليمن وكأنه مجلس لأمراء الحرب في الجانب الحكومي، حيث يتزعم 5 على الأقل من أعضاء المجلس الثمانية قوات وميليشيات مسلحة، بدءا برئيس المجلس الانتقالي الجنوبي عيدروس الزبيدي، مرورا بقائد قوات الساحل الغربي العميد طارق صالح، وانتهاء بالرجل الغامض قائد قوات العمالقة عبدالرحمن ابوزرعه المحرمي، وهؤلاء موالون لدولة الإمارات العربية المتحدة، ولم يكن مؤهلهم لتولي عضوية المجلس الرئاسي سوى تزعمهم لقوات وميليشيات تقع تحت سيطرتهم.

وفي المقابل لا يمتلك رئيس المجلس الرئاسي الدكتور رشاد محمد العليمي، أي قوات حكومية أو ميليشيات مسلحة تحت سيطرته، وهو ما قد يضعف سلطته على أعضاء المجلس السبعة، ناهيك عن الضعف الذي قد يواجهها نفوذه على أرض الواقع في حال ظل أعضاء المجلس الرئاسي يسيرون بنفس العقلية والسياسة السابقة التي كانوا يسيرون فيها خلال فترة الرئيس هادي، حيث كان هؤلاء لا يعترفون بسلطته ويعملون صراحة للانقضاض عليها.

وفي الوقت الذي ظل فيه رئيس المجلس الرئاسي يعيدا عن الأضواء طوال الأسبوع المنصرم، منذ الإعلان عن تشكيل مجلس الرئاسة، بدأ بعض أعضاء المجلس في عمليات الاستقطاب المبكرة للسياسيين والمؤثرين في الساحة اليمنية، بما في ذلك من المعارضين لسياساتهم، وفي مقدمتهم عيدروس الزبيدي وطارق صالح، وهما اللذان استحوذا على النشاط السياسي للمجلس كأعضاء فيه، واستأثرا بالأضواء الإعلامية طوال الأسبوع المنصرم، والذي يكشف مبكرا عن امكانية عدم توافق جميع أعضاء المجلس بشأن الصلاحيات المخوّلة لكل منهم وتضارب المصالح الرئاسية بينهم، والذي سينعكس سلبا على الأداء الرئاسي.

وخرج رئيس المجلس الرئاسي رشاد العليمي إلى العلن في ظهور نادر، الجمعة، يرأس اجتماعا لأعضاء المجلس الرئاسي والحكومة والمحافظين والسفراء، استعرض خلاله الاتجاهات العامة لخطة عمله للفترة المقبلة، وآليات ترجمة المسؤوليات المناطة به وفق قرار التشكيل وتحويلها إلى خطط عملية تنفيذية، وفقا لوكالة الأنباء اليمنية «سبأ» النسخة الحكومية.

وشدد الاجتماع على ضرورة التزام رئيس وأعضاء مجلس القيادة الرئاسي بـ«مبدأ المسؤولية الجماعية وسعيهم لتحقيق أعلى درجة من التوافق، بما يتناسب مع دقة المرحلة الراهنة وبالاعتماد على الاجماع المحلي للقوى والمكونات السياسية والمجتمعية في إطار وحدة الصف الوطني لاستكمال استعادة الدولة وتخفيف معاناة اليمنيين» وهو مؤشر على انتقال عدوى الصراع السياسي السابق إلى العهد الرئاسي الجديد، والتي يحاول مجلس القيادة تجاوزها عبر آليات وضوابط جديدة للحد من تأثيرها على مسار الاستقرار السياسي والعسكري والأمني والاقتصادي على أرض الواقع.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10597 الأحد 17 نيسان (إبريل) 2022 – 16 رمضان 1443 هـ

حصار المناطق واختبار القوة بين النظام السوري والوحدات الكردية

تتخوف «قسد» من تقارب تركي مع النظام برعاية روسية بعد الشائعات حول انعقاد اجتماع أمني في موسكو بين النظام وتركيا قبل أيام.

منهل باريش

فشل النظام السوري و«وحدات حماية الشعب» الكردية في التوصل إلى اتفاق يفضي إلى حل الأزمة الحاصلة بينهما منذ مطلع نيسان (ابريل) الجاري، وتطويق الخلاف الذي بدأ بإغلاق الفرقة الرابعة في جيش النظام مداخل حيي الشيخ مقصود والأشرفية بمدينة حلب، ومنعت قوات الفرقة دخول المحروقات والطحين إلى الأفران، إضافة إلى الأدوية.

وردت «وحدات الحماية» الكردية بحصار تدريجي للمربعات الحكومية والأمنية في مدينتي الحسكة والقامشلي شرق سوريا، وبلغ ذروته نهاية الأسبوع، حيث أزالت الحواجز على مداخل المربع الأمني وسيطرت قوى الأمن الداخلي «أسايش» التابع لـ «قوات سوريا الديمقراطية» الأربعاء، على الدوائر والمؤسسات الحكومية والخدمية التابعة للنظام. وانحصر تواجد النظام في كتل المقرات الأمنية الثلاثة وهي فرع المخابرات العامة «أمن الدولة» وفرع الأمن السياسي وفرع المخابرات العسكرية و«الفوج – 54» التابع للفرقة 17 والمعروف محلياً باسم فوج طرطب جنوب مدينة القامشلي.

وصَعدت «وحدات الحماية» الحصار تدريجيا فسيطرت على فرن البعث أكبر الأفران في القامشلي في التاسع من نيسان (ابريل) كرد على الحصار الذي فرضته الفرقة الرابعة التي يقودها اللواء ماهر الأسد شقيق رئيس النظام على حيي الشيخ مقصود والأشرفية، وهما حيان تسكنهما أغلبية كردية وتسيطر عليهما «الوحدات». ولم يقتصر الحصار والتضييق على الحيين، بل تجاوزهما ليصل إلى منطقة الشهباء في ريف حلب الشمالي والتي تسيطر عليها القوات الكردية أيضاً، فمنعت حتى وصول المحروقات والطحين الذي أرسلته «الإدارة الذاتية». وتأخر تحرك رد فعل «الوحدات» الكردية أسبوعا من بدء حصار قوات النظام لتلك المناطق. وتركز بداية على الفرن الذي يغذي الأفرع الأمنية والقطع العسكرية بالخبز يومياً. وتوسع لاحقا ليشمل أغلب الأفران، كما يؤمن حاجة المدنيين في مناطق سيطرة النظام في مدينة القامشلي وريفها.

وعلمت «القدس العربي» من مصادر مقربة من «الوحدات» الكردية أن دوريات «أسايش» انتشرت أمام المؤسسات صباح الخميس ومنعت الموظفين من دخولها، وشملت دائرة المالية والكهرباء والمجمع التربوي والمركز الثقافي ومركز الحبوب ومراكز النقابات وشعب حزب البعث. وتسببت الحركة بتعطل حركة الطيران في مطار القامشلي المدني الذي يسيطر عليه الروس أيضا وتوقفت الرحلات الجوية المدنية، إذ ينقل المطار الركاب إلى دمشق. وأجبر ما حصل المدنيين إلى الاعتماد على النقل البري العابر لطرق طويلة وهو الأقل أمنا والأكثر تعبا ومشقة خلال شهر رمضان، خصوصا على كبار السن والمرضى المسافرين بقصد العلاج في العاصمة دمشق. وتوقفت حركة الملاحة في المطار منذ يوم الثلاثاء، بسبب التوتر الحاصل.

وفي اجتماعات متواصلة خلال الأيام الماضية، بدأت الثلاثاء، حضرها ممثلون عن قوى الأمن الداخلي «أسايش» وقائد اللجنة الأمنية والعسكرية في محافظة الحسكة، بوساطة روسية، هدد المسؤولون الأمنيون في «الوحدات» بفرض حصار مشابه على مدينة الحسكة – مركز المحافظة – التي يسيطر النظام على أجزاء كبيرة منها في حال استمرت الفرقة الرابعة بسلوكها ضد الحيين ومنطقة الشهباء. ويشترط المفاوضون الكرد الحصول على ضمانات روسية لعدم تكرار الحصار من قبل الفرقة الرابعة التي سبق وحاصرت الحيين المذكورين مطلع العام الماضي أيضا، في محاولة الضغط على «قسد» لزيادة كميات النفط الواصلة إلى النظام وانتهت المحاولة بالفشل وتدخل الجانب الروسي لحل الأزمة كما يجري اليوم.

في سياق متصل، قال نائب الرئاسة المشتركة للمجلس التنفيذي في إقليم الفرات، نهاد أحمد في تصريح نقلته مواقع كردية، إن سياسات النظام ضد المدنيين الأكراد في حلب «ستفشل والحل الوحيد للأزمة هو ترك عقلية الحصار والتجويع والإنصات لمطالب السوريين» متهما النظام بالسعي إلى «الاستفادة من الأزمة العالمية والحرب الروسية الأوكرانية، وانشغال العالم بها بهدف الضغط على الإدارة الذاتية لتقديم تنازلات والحصول على بعض المكاسب».

في المقابل، اتهم محافظ الحسكة، اللواء غسان خليل التابع للنظام، الثلاثاء، قوات «قسد» بفرض حصار مطبق على مدينة الحسكة و«تمنع دخول الطحين والمواد الغذائية والمحروقات التي تشغل المخابز، وهذا الأمر يؤرق المواطنين في المحافظة ويزيد الضغوط عليهم في هذه الظروف الصعبة ومع حلول شهر رمضان».

وفي السياق ذاته، حمل مدير فرع المخابز في محافظة الحسكة، عبد الله الهصر «قسد» مسؤولية التسبب بأزمة كبيرة وزيادة الطلب على الخبز، سيما أن المخابز المتوقفة كانت تؤمّن احتياجات أهالي وسكان مدينة الحسكة، منوها إلى أن قوات «قسد» سيطرت على فرن البعث بقوة السلاح وطردت العاملين فيه وأوقفته عن العمل.

وتسبب ما حصل بارتفاع سعر ربطة الخبز إلى 4000 ليرة بعد أن كان نحو 1500 ليرة قبل بدء الحصار والتضييق على الحيّين من قِبل حواجز الفرقة الرابعة، حسب ما يقول المرصد السوري لحقوق الإنسان، مضيفا ان الحيين الكرديين «يعانيان أوضاعاً إنسانية صعبة، نتيجة لانقطاع أصناف كثيرة من المواد الغذائية وارتفاع أسعارها بشكل جنوني».

وتتجنب قوات سوريا الديمقراطية التعليق على ما يحصل حتى اليوم، فيما تترك التعليق للإدارة الذاتية وجعل الخلاف مع النظام خلافا على الشؤون الإنسانية أكثر من اعتباره خلافا سياسيا وأمنيا.

واحتفت «قسد» بوصول قائد العمليات الأمريكية الجديد في الشرق الأوسط، الجنرال مايكل كوريلا إلى شمال شرقي سوريا، الخميس، وتأتي الزيارة بعد أيام من تسلم منصبه رئيساً للقيادة خلفاً للجنرال كينيث ماكنزي، الأمر الذي يشير إلى أهمية علاقة بلاده مع «قسد» خصوصا وانه فضل زيارة منطقة شرق سوريا على زيارة بلدان تعتبر مهمة للغاية وأكثر سخونة من الوضع شرق الفرات في الوقت الحالي، حيث يشرف قائد العمليات في الشرق الأوسط على قواته المنتشرة في نحو 21 بلدا.

وقالت «قسد» في حسابها الرسمي على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك إن الجنرال مايكل كوريلا التقى بمظلوم عبدي، مشيرة إلى أن الجنرال «تعهد بالالتزام بمواصلة مهمة محاربة تنظيم الدولة والبقاء في سوريا لهذه المهمة».

في سياق منفصل، تتخوف «قسد» من تقارب تركي مع النظام برعاية روسية بعد الشائعات حول انعقاد اجتماع أمني في موسكو بين النظام وتركيا قبل أيام، على غرار الاجتماع الذي حصل نهاية العام 2021 وتحدثت عنه وكالة «سبوتنيك» الروسية، ونقلت عن ضابط سوري مشارك في الاجتماع، يسمى الرائد حيدرة جواد (يرجح ان يكون اسما مستعارا) أن الجانبين اتفقا على بنود عدة تصب في مصلحة البلدين، منها الحفاظ على وحدة الأراضي السورية وعدم المساس بها، وبسط السيادة على كامل الأراضي السورية، ومن الواضح ان الهدف الروسي من الاجتماع هو منع تداعيات الحرب الأوكرانية من الوصول إلى الميدان في سوريا.

ويزيد الحديث عن الاجتماعات الأمنية بين النظام وتركيا بموسكو من هواجس «الوحدات «الكردية وتخشى من إمكانية التوصل لاتفاق الأطراف الثلاثة ضدها، أو إعطاء أنقرة ضوءا أخضر للبدء بعملية جديدة على غرار ما حصل في عفرين وريف الرقة الشمالي.

من جهة أخرى، نفت صحيفة البعث الناطقة باسم الحزب الحاكم في سوريا، انعقاد أي اجتماع أمني بين دمشق وأنقرة، ووصفت مصادر الصحيفة الحديث عن لقاء رئيس الاستخبارات التركية، حقان فيدان بنائب الأسد للشؤون الأمنية، اللواء علي مملوك بأنه خبر كاذب. ووصفت المصادر تسريبات الصحافة التركية انها «بروباغندا إعلامية تركية مفضوحة مع اقتراب الانتخابات الرئاسية في تركيا».

مقاتل من قسد

لبنان: القوى السيادية تسعى لقطع الطريق

المخاوف من إيقاظ الفتنة تتأتى من أن الدولة الحقيقية لم تقم بعد أو لم يُسمَح لها بأن تقوم ويُمنَع عليها أن تدخل إلى مناطق تُعتبر مقفلة كالضاحية.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

صحيح أن 47 عاماً مرّت على ذكرى اندلاع الحرب في لبنان في 13 نيسان/إبريل 1975 التي يتم إحياؤها كل سنة، إلا أن الذكرى هذه السنة اكتسبت طابعاً مختلفاً لأن هناك شعوراً لدى البعض بأن بوسطة عين الرمانة التي كانت شرارة الحرب هناك من يريد عودتها وإعادة تصليحها وتعبئتها بالوقود، وللمفارقة فإن الذين ينفضون الغبار عن تلك البوسطة ليسوا الذين خاضوا المعارك بل من يتباهون بأنهم ليسوا من أمراء الحرب ولا دماء على كفّهم.

وما يعزّز فكرة عودة البوسطة في أي وقت رغم توقف المدفع هو ما شهدته وتشهده بعض المناطق من إشكالات سواء في خلدة مع عرب العشائر السنّة أو في شويا مع المشايخ الدروز أو في عين الرمانة مع أهالي المنطقة المسيحيين بعد أحداث 7 ايار/مايو في بيروت، وتصل هذه الإشكالات إلى حد الصدام المسلّح بفعل الاحتقان الذي يتسبّب به إستقواء فريق بسلاحه وتمسّكه به تحت حجة المقاومة، فيما الأحزاب الأخرى سبق أن سلّمت سلاحها بعد اتفاق الطائف وترغب أن تعيش في كنف الدولة وسلاحها الشرعي.

اما المخاوف من إيقاظ الفتنة وتكرار التجربة المريرة فهي تتأتى من أن الدولة الحقيقية والقادرة لم تقم بعد أو لم يُسمَح لها بأن تقوم إلا في بعض المناطق ويُمنَع عليها أن تدخل إلى مناطق تُعتبر مقفلة عليها كالضاحية حيث لا حضور فعلياً للجيش. وكما الضاحية كذلك بعض قرى وبلدات الجنوب وبعلبك وصولاً حتى إلى لاسا في أعالي كسروان وجبيل حيث يتم وضع اليد على أراض لمطرانية جونية المارونية، وتحول سطوة السلاح دون حل هذه الإشكاليات التي تهدّد في كل لحظة في حدوث فوضى وتفجير، وآخر دليل على ضعف الدولة هو عدم قدرة عناصر شرطة بلديات المتن وكسروان أو عناصر أي شركة أمنية من ضبط العمل في مطمر الجديدة الذي تحوّل إلى دويلة تُعرَف بـ «دويلة النبّاشين» الذين يتهافتون على آليات النفايات للحصول على بقايا البلاستيك والحديد لبيعها بالدولار الفريش دون أن يجرؤ أحد على منعهم، فيما الجيش يستقوي على أهالي ضحايا تفجير مرفأ بيروت ويمنعهم من التعبير عن رأيهم أمام رئيس الجمهورية ميشال عون.

والأخطر من السلاح هو الفكر العقائدي الذي بدأ يغزو مناطق نفوذ حزب الله وتحديداً في الضاحية الجنوبية وبعض مدارس الجنوب والبقاع الشمالي حيث تركّز قيادة حزب الله على ما تسمّيه «التربية العاشورائية والحسينية» واعتبارها «مدرسة قائمة بذاتها أنجبت المجاهدين والمجاهدات ورفعت من قيمة الاستعداد للتضحية والعطاء» كما أعلن نائب أمين عام الحزب الشيخ نعيم قاسم.

ولا يرى قاسم غرابة في أن يأتي أحد إلى الضاحية الجنوبية ويشعر أنه في إيران أو في النجف الأشرف، سائلاً «هل هذه تهمة، وهل تريدون أن يدخل الواحد إلى الضاحية فيشعر أنه في المراقص أو في لوس أنجلوس أو في فرنسا؟» مضيفاً «هذه البيئة ضرورية ولو لم تكن هذه البيئة لما أمكننا أن نتابع ونخرّج ويتربّى هؤلاء الأطفال على الطاعة الحسينية».

Volume 33 - Issue 10597 Sunday 17 April 2022

العراق: «الإطار» يبدأ جولة مفاوضات جديدة لتشكيل الحكومة بعد العيد

عودة العيساوي إلى المشهد السياسي أعادت حسابات القوى السنّية والمنقسمة بين تحالف «انقاذ وطن» مع التيار الصدري والحزب الديمقراطي، وفريق آخر مؤتلف مع «الإطار التنسيقي» الشيعي وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني.

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

كشفت مصادر على دراية بمفاوضات الكتل والأحزاب السياسية بشأن تشكيل الحكومة الجديدة، عن سعي «الإطار التنسيقي» الشيعي لخوض تجربة عقد جلسة برلمانية بعد عيد الفطر، تُفضي لتحديد الكتلة البرلمانية الأكبر، وتسمية رئيسي الجمهورية والوزراء، تزامناً مع حراك سياسي جديد نشأ عقب إفراج القضاء العراقي عن السياسي السنّي البارز، والوزير الأسبق، رافع العيساوي.

وأكملت محكمة التحقيق المختصة بقضايا «الإرهاب» في الرصافة ببغداد، الأحد الماضي، التحقيق مع العيساوي بعد أن سلم نفسه إلى جهات التحقيق المختصة، وأنكر ما نسب إليه، وبالتالي انتفت الأدلة في تلك القضايا المتهم بها وفق قانون مكافحة «الإرهاب» وتقرر الإفراج عنه «وغلق الدعاوى بحقه مؤقتا».

وفي بيان لاحق لمجلس القضاء، أفاد بأن «العيساوي مطلوب عن قضايا أخرى ما يزال قسما منها قيد المحاكمة في محكمة الجنايات ومحكمة الجنح والآخر قيد التحقيق في محكمة تحقيق الرصافة».

وسلم العيساوي سلَّم نفسه للقضاء العراقي في أواسط حزيران/يونيو 2020 تمهيدا لإعادة محاكمته.

وفي كانون الأول/ ديسمبر 2018 أصدرت وزارة المالية أمرا وزاريا قررت بموجبه تبرئة العيساوي و6 أشخاص آخرين لعدم وجود «أدلة كافية» ضدهم.

عودة العيساوي إلى المشهد السياسي مجدداً، أعادت حسابات القوى السياسية– السنّية تحديداً– والمنقسمة بين تحالف «انقاذ وطن» مع التيار الصدري والحزب الديمقراطي، وفريق آخر مؤتلف مع «الإطار التنسيقي» الشيعي، وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني.

السياسي العراقي المستقل، سعد المطلبي يقول لـ«القدس العربي» إنه «بعد إطلاق سراح رافع العيساوي (السياسي السنّي البارز) بدأت جولة جديدة من المباحثات لدى الجانب السنّي» مشيراً إلى معلومات تفيد بأن رئيس البرلمان، والقيادي في تحالف «السيادة» السنّي، محمد الحلبوسي «قلق» من عودة العيساوي إلى الساحة السياسية، «وكان يضغط على بقائه في السجن» لكن في النهاية القضاء العراقي قال كلمته.

ورأى المطلبي إن الأوضاع السياسية في البلاد تتجه نحو اتجاهات متعددّة؛ منها تداعيات «الانشقاقات داخل الحزب الديمقراطي الكردستاني، بسبب دخولهم في تحالف مع التيار الصدري، بزعامة مقتدى الصدر، وانزعاجهم من ذلك» ناهيك عن الخلاف بين الحلبوسي والقيادي في التيار الصدري، النائب الأول لرئيس البرلمان، حاكم الزاملي، كاشفاً في الوقت عينه عن أنباء تفيد بـ«تغيير الزاملي بشخصية أخرى لإنهاء هذا الخلاف».

ووفقاً للمطلبي فإن الصدر «ليس في موقع قوّة، الأمر الذي يجعله عرضة للابتزاز» لافتاً إلى إن «قادة الصفّ الأول في التيار الصدري بدأوا يستشعرون ذلك».

ومن بين «التنازلات الصدرية» لحلفائه الأكراد، حسب المطلبي، هي «التنازل عن مدينة كركوك (الغنيّة بالنفط والمتنازع عليها بين بغداد وأربيل) وتعود للأكراد، على حساب العرب والتركمان، وتخرج منها القوات العراقية» مبيناً إنه «في هذه المرة لن يبقى عربي أو تركماني في كركوك والمناطق المحيطة بها».

ووفقاً للمطلبي فإن الأمر ينطبق أيضاً على مناطق سهل نينوى «إذ يجري حديث جاد على عودة هذه المنطقة إلى سلطة إقليم كردستان العراق» موضحاً إن جميع تلك التنازلات يجب على التيار الصدري تنفيذها، «في حين إن قادة التيار ليسوا على استعداد لدفع هذا الثمن الغالي من أجل الحصول على رئاسة الوزراء».

في مقابل ذلك، تحدث السياسي المستقل عن معلومات تفيد بأن القوى السياسية السنّية والكردية «بدأت جولة جديدة من المباحثات مع (الإطار التنسيقي) الشيعي، وتحديداً مع ائتلاف (دولة القانون) بزعامة نوري المالكي، لإعادة ترتيب الأوراق».

ورجّح المطلبي أن يحاول «الإطار التنسيقي» تشكيل الحكومة بعد العيد، على أن يبقي على مجموعة من الوزارات شاغرة من حصّة التيار الصدري، حتى يرشحوا وزراء لها».

في سياق ذي صلة، كشف السياسي العراقي المستقل عن «انضمام» عدد من النواب المستقلين– لم يحدد أعدادهم– إلى «الإطار التنسيقي».

والنواب المستقلون يتوزعون بين تحالفي «إنقاذ وطن» و«الإطار التنسيقي» الشيعي، في حين يتمسك الفريق الثالث باستقلاله بعيداً عن الائتلاف مع أي من القوتين.

في نهاية الأسبوعً الماضي، طرحت حركة «امتداد» المنبثقة عن حراك أكتوبر الاحتجاجي، برئاسة النائب علاء الركابي، توجهاً جديداً لمعالجة «الانسداد السياسي» الذي يشهده العراق، بتلويحها تشكيل «الكتلة البرلمانية الأكبر» تتيح لها تسمية الرئاسات وتأليف الحكومة.

بيان للحركة أفاد بأنه «في الوقت الذي حثت حركتنا منذ تأسيسها جماهير الشعب إلى ضرورة المشاركة الفاعلة في الانتخابات وعدم المقاطعة كي ننتج برلماناً وطنياً قادراً على تحقيق التغيير المنشود الذي يصبو إليه الشعب العراقي الذي عانى الأمرين على يد الطبقة السياسية الفاشلة والمتناحرة، وبعد أن فشلت القوى السياسية فشلاً ذريعاً في تمرير رئيس الجمهورية وتشكيل الحكومة وانعكس هذا الفشل على انتهاك المدد الدستورية والاستهانة بالتزاماتهم تجاه الشعب والوطن والذي أدى بدوره إلى تعطيل مصالح الشعب وشلل تام في عجلة بناء الدولة».

وأضافت: «ورغم ان نواب حركتنا وبعض المستقلين والتزاماً بالتوقيتات الدستورية وبما عاهدوا الله والشعب عليه التزموا التزاماً كاملاً بحضور الجلسات إيماناً منهم باحترام التوقيتات الدستورية وتشكيل الحكومة».

وتابعت: «لذا واحتراماً لتطلعات الشعب ومن منطلق المسؤولية الأخلاقية والموقف الوطني أمام الشعب ونظراً لماطلات الكتل السياسية التي أوصلت العملية السياسية إلى نفق مظلم وتقديم مصالحهم على مصالح الشعب من أجل تمثيل حكومي تحت ذريعة شق عصا المكونات، لذا فإن حركة امتداد ستسعى إلى المبادرة بتشكيل الكتلة الأكبر من النواب المستقلين والنواب الأحرار من الكتل الأخرى أو حل البرلمان في نهاية المطاف، كما تؤكد الحركة سعيها الحثيث لاستكمال الإجراءات الأصولية الضرورية لإجراءات البدء بتشريع التعديلات الدستورية كونه المخرج الوحيد من الانسداد السياسي الذي حصل سابقا ويحصل حالياً وسيتسمر بالحصول في حالة عدم إجراء هذه التعديلات».

وأكملت: «كما أنها تدعم وتؤيد بل وتدعو إلى الحراك الجماهيري السلمي للضغط على هذه المنظومة لتعود إلى جادة الصواب وتغليب مصالح الشعب على المصالح الفئوية والحزبية الضيقة، ونذكرهم بأن الشباب الذين أسقطوا حكومة وغيروا قانون الانتخابات وخاضوا انتخابات مبكرة قادرون على أن يعيدوا الكرة ثانيةً مع من ظنوا أنهم فوق الدستور وفوق القانون».

أمام رئيس يختاره حزب الله على صورة عون

والواقع أن حزب الله بنى دولته الخاصة ويمنع على الآخرين التفكير ببناء الدولة التي يطمحون إليها حيث يسود السلام والاستقرار بعيداً عن الحروب وعن تعكير علاقات لبنان بمحيطه العربي كما حدث أخيراً مع الدول الخليجية التي استدعت سفراءها للتشاور، قبل أن تنجح الاتصالات والالتزامات التي أطلقها رئيس الحكومة نجيب ميقاتي في عودتهم إلى بيروت لتأكيد وقوف الأشقاء العرب إلى جانب وطن الأرز وعدم التخلّي عنه والسماح بعزله وتغيير هويته.

وفي ضوء عودة سفراء الدول الخليجية إلى العاصمة اللبنانية فإن التوازن الوطني الذي فُقِد لصالح محور الممانعة بدأ يعود نسبياً على المستوى السياسي خصوصاً بعد الفجوة الكبيرة التي تسبّب بها عزوف الرئيس سعد الحريري وتياره عن خوض الانتخابات النيابية. ولكن اللافت أنه في مقابل جمع السفير السعودي وليد البخاري الحلفاء المتفرّقين في قوى 14 آذار/مارس سابقاً، وفي مقابل الدعوات التي يطلقها مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان والرئيس فؤاد السنيورة وبعض الشخصيات السنية للمشاركة في الاستحقاق الانتخابي وعدم المقاطعة لعدم إخلاء الساحة السنية والوطنية لحزب الله وحلفائه لنيل الأغلبية النيابية، فإن قيادات «تيار المستقبل» ماضية في قرارها بالخروج من السباق الانتخابي وهو ما أكد عليه أمين عام التيار أحمد الحريري.

وهكذا، فإن الأنظار تتجه إلى نتائج الانتخابات النيابية كمحطة مفصلية لعدم تمكين حزب الله من امتلاك الأغلبية النيابية وخصوصاً عدم امتلاك أكثرية الثلثين في المجلس النيابي أي 86 نائباً كي لا يستطيع أولاً تعديل الدستور وتغيير وجه لبنان الحضاري والمتنوّع وتكريس ثقافته المنغلقة التي تحدث عنها الشيخ نعيم قاسم، وثانياً كي لا يستطيع التصرّف في المجلس كما يشاء ولاسيما في موضوع تحديد هوية رئيس الجمهورية المقبل الذي يريده الحزب أن يكون على صورة الرئيس الحالي ميشال عون الذي سلّمه قرار الدولة ومنحه الغطاء لسلاحه، وقد مهّد السيد حسن نصرالله للاستحقاق الرئاسي بجمع حليفيه المتخاصمين رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل ورئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية.

أما القوى السيادية ففي حال نجحت في امتلاك الثلث المعطّل في المجلس أو أحدثت مفاجأة انتخابية إذا شارك المكوّن السنّي بفاعلية في الانتخابات فستقطع على حزب الله الطريق لانتخاب رئيس يلتصق بمحور الممانعة لست سنوات جديدة، لأن هذه السنوات ستكون كفيلة بوصول البلد إلى قعر جهنّم وبالتأسيس لأزمة وطنية ولتضارب في الخيارات وتهديد الاستقرار، فماذا ستكون عليه ردة فعل حزب الله؟

حدث الأسبوع

الأزمات تعصف بالسودان بعد نحو ستة أشهر من انقلاب الجيش

الخرطوم-«القدس العربي»: ميعاد مبارك

بعد نحو ستة أشهر من انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر، ما تزال الأزمات تعصف بالسودان يوماً إثر يوم، حيث تمضي الأمور في البلاد، على عكس ما وعد به القائد العام للجيش عبد الفتاح البرهان، في بيانه غداة الانقلاب، في وقت يتصاعد فيه الحراك الشعبي المعارض، وتتفاقم الأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية في البلاد.

وبينما تتوالى المبادرات المحلية والدولية الساعية لإيجاد تسوية لاستعادة الشراكة بين المدنيين والعسكريين، بدا أن الشارع قد حسم أمره بالخصوص بتمسكه بشعاراته الرافضة للشراكة والتفاوض ومنح الشرعية للعسكر، مطالبا بتسليم السلطة للمدنيين وعودة الجيش للثكنات.

ولخروجهم من الأزمات الخانقة، يحاول قادة الانقلاب، صناعة حاضنة سياسية من الأحزاب الموالية للنظام السابق والحركات المسلحة الداعمة للانقلاب والقادة العشائريين، تمهيداً لتشكيل حكومة بعد الانقلاب، ليس معروفاً بعد كيفية حصولها على دعم محلي ودولي.

في المقابل، تمضي السلطات في إطلاق سراح قادة حزب المؤتمر الوطني-الحزب الحاكم السابق- وإعادة تمكين منسوبيه في مؤسسات الدولة، فضلاً عن الاستعانة بكوادره الأمنية لقمع التظاهرات الرافضة للانقلاب.

جبهة مدنية عريضة

في خضم ذلك، أعلن المجلس المركزي لقوى الحرية والتغيير شروعه في تكوين جبهة مدنية عريضة لمناهضة الانقلاب العسكري، داعياً لتكوين تنسيقية موحدة لقوى الثورة تتكون من قوى الحرية والتغيير والقوى السياسية الرافضة للانقلاب ولجان المقاومة، بالإضافة إلى الأجسام المهنية والنقابية والمجتمع المدني.

وأكد أن قوى الثورة، حال توحدها، قادرة على هزيمة الانقلاب، الذي ما كان ليستمر، لولا عدم إسناد حراك الشارع المتصاعد بوحدة سياسية قوية قادرة على إحداث الاختراق المطلوب واستعادة الانتقال الديمقراطي.

وبينما ترى قوى الحرية والتغيير، أن الأجدى تكوين تحالف حد أدنى ينجز مهام إسقاط الانقلاب، واستعادة الانتقال الديمقراطي ويرجئ بقية القضايا إلى ما بعد ذلك، تمضي تنسيقيات لجان المقاومة في مدن وأحياء السودان، في العمل على ميثاق سياسي موحد، يقود المعارضة وتسعى من خلاله لتأسيس سلطة شعبية تنطلق من القواعد، تناقش جميع القضايا في مفترق طرق باحثة عن تسوية قد لا تكون قريبة، حسبما يرى مراقبون.

وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر الماضي، نفذ القائد العام للجيش السوداني، عبد الفتاح البرهان انقلاباً عسكرياً أطاح بالشراكة الانتقالية التي جمعت المدنيين والعسكريين لأكثر من عامين، قبل أيام من موعد تسليم العسكر رئاسة المجلس السيادي للمدنيين، حسب الوثيقة الدستورية.

وبرر البرهان انقلابه على الحكومة الانتقالية التي تشاركها العسكر والمدنيون لأكثر من عامين، بتدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية في البلاد والصراع بين المدنيين على السلطة وانشغالهم عن معاش الناس، على حد قوله. لكن، بعد نحو 6 أشهر من انقلابه، ازداد الوضع سوءاً على كافة الصعد.

وكان البرهان، وعد بتحسين الوضع الاقتصادي، وتوفير الأمن والطمأنينة للمواطنين، وتهيئة المناخ والبيئة المناسبة للأحزاب لتعمل من أجل الوصول للموعد المحدد للانتخابات في 2023 وهي أكثر جاهزية واستعدادا لتولي قيادة الدولة.

وأكد في بيانه تكوين حكومة من الكفاءات المستقلة لإدارة شؤون البلاد وإكمال متطلبات العدالة الانتقالية، وإنشاء مفوضية صناعة الدستور، ومفوضية الانتخابات، ومجلس القضاء العالي، والمحكمة الدستورية، ومجلس النيابة، بالإضافة إلى تكوين المجلس التشريعي الانتقالي، قبل نهاية شهر تشرين الأول/نوفمبر الماضي، وهي الوعود التي لم تتحقق إلى الآن.

الدعم الخارجي

وتتفاقم الأزمات الاقتصادية والأمنية، وتتضاعف معاناة المواطنين، حيث انخفضت قيمة الجنيه السوداني بأكثر من 35 في المئة مقابل الدولار الأمريكي، في الوقت الذي شهدت أسعار الخبز والوقود والكهرباء والأدوية والرعاية الصحية والنقل العام، زيادات هائلة، حسب تقرير لبعثة الأمم المتحدة لدعم الانتقال الديمقراطي في السودان.

ولفت التقرير الذي قدمه رئيس البعثة الأممية فولكر بيرتس أمام مجلس الأمن في آذار/مارس الماضي، إلى خطر خسارة السودان مليارات الدولارات من الدعم الخارجي، بعد إيقاف مدفوعات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والمانحين الرئيسيين الآخرين مؤقتاً، والتي سيستمرّ إيقافها طالما لا توجد حكومة فاعلة، بينما قد يفقد السودان فرصة إعفاء ديونه البالغة 50 مليار دولار، كما تعطلت الاستثمارات الأجنبية وتضاءلت الصادرات.

وحذرت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة وبرنامج الأغذية العالمي «الفاو» في تقرير، من تداعيات النزاع في السودان والأزمة الاقتصادية بالإضافة إلى ضعف موسم الحصاد، مؤكدة أنها تؤثر بشكل كبير على إمكانية حصول الناس على الغذاء. ورجحت أن يتضاعف عدد الأشخاص الذين يواجهون الجوع الحاد في السودان إلى أكثر من 18 مليون شخص بحلول شهر ايلول/سبتمبر المقبل.

وأشارت في تقرير الشهر الماضي، إلى علامات مقلقة على انخفاض إمكانية الحصول على الغذاء والقدرة على تحمل تكاليفه وتوفره بالنسبة لمعظم الناس في السودان، لافتة إلى أن ذلك سيزيد أعداد المتأثرين بالجوع والفقر، في وقت لن يكفي الإنتاج المحلي من الحبوب ثلثي السودانيين، الأمر الذي سيجعل البقية يواجهون تكلفة باهظة لا يستطيعون تحملها، للحصول على الطعام.

ورغم الجولات العديدة التي قام بها قادة الانقلاب، للحصول على دعم اقتصادي أو اكتساب شرعية دولية، إلا أنهم لم يتحصلوا على أي دعم خارجي، بينما لا تزال عضوية السودان في الاتحاد الأفريقي معلقة حتى الآن وتطالب الأمم المتحدة ودول الترويكا والاتحاد الأوروبي بإستعادة الشرعية الدستورية وإعادة الحكومة المدنية بشراكة المجلس المركزي للحرية والتغيير كشرط لعودة المساعدات والتعاون الاقتصادي.

انفلات أمني

في سياق الأزمة العاصفة، تشهد البلاد انفلاتاً أمنياً واسعاً، وارتفاعاً هائلاً في معدلات الجريمة، بينما تشكو منظمات حقوقية من تورط مجموعات عسكرية وشبه عسكرية في نزاعات في دارفور ومناطق أخرى من البلاد.

ومنذ الانقلاب العسكري، قتل في دارفور وحدها، نحو 300 شخص بينما نزح الآلاف بسبب تجدد النزاعات وحدوث انفلاتات أمنية وجرائم يرتكبها مسلحون يرتدون أزياء القوات النظامية حسب إحصاءات المنسقية العامة للنازحين واللاجئين، في وقت تجددت الخلافات بين مكونات شرق السودان، وسط مخاوف من تفاقم الأوضاع هناك.

ووصل عدد الضحايا في التظاهرات الرافضة للانقلاب نحو 93 قتيلا و 4000 جريح، بينهم عدد كبير أصيب بالرصاص الحي، رغم تحذيرات المنظمات الحقوقية للسلطات العسكرية من استخدام القوة المميتة في مواجهة التظاهرات وانتهاك حقوق التجمع السلمي.

كذلك، شهدت الحريات الصحافية تدهورا واسعا، بينما استهدفت قوات الأمن مقار المؤسسات الإعلامية والصحافيين وأغلقت عدد من الصحف مكاتبها، بسبب عودة القبضة الأمنية.

وأعاد العسكريون لجهاز الأمن والمخابرات العامة كل السلطات التي كان يتمتع بها في عهد الرئيس المخلوع، عمر البشير، بينما تتواصل الاعتقالات لقيادات قوى الحرية والتغيير وأعضاء لجان المقاومة وقمع التظاهرات.

أخيراً دفعت الأزمة السياسية الشاملة في البلاد، قائد الجيش إلى إطلاق المزيد من الوعود بمراجعة حالة الطوارئ ودراسة الوضع القانوني للمعتقلين، مؤكدا أنهم مستعدون للخروج من العملية السياسية حال حدوث توافق بين جميع القوى السياسية. تأتي لغة البرهان المهادنة نوعاً ما، مع تحذير أطلقته الآلية المشتركة للأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وإيقاد من احتمال انزلاق البلاد لمصير مجهول.

عسكر السودان ومناجم الذهب: من البشير إلى بوتين

صبحي حديدي

في أواخر العام 2021 انهار منجم بدائي للتنقيب عن الذهب غرب دارفور، في السودان، وخلّف 38 وفاة؛ وقبله، مطلع العام ذاته، انهار منجم آخر مشابه فأودى بحياة خمسة أشخاص. حوادث أخرى مماثلة وقعت، وتقع باستمرار، من دون أن تُسلّط عليها أضواء كافية في الإعلام؛ لسبب جوهري أوّل هو أنها، رغم اعتبارها مناجم «مغلقة» حسب التصنيف الوزاري الرسمي، تقع تحت وصاية وإشراف وأحياناً تشغيل «قوات الدعم السريع» التي قودها محمد حمدان دقلو (حميدتي).

ولا يخفي حميدتي اتجاره بالتنقيب عن الذهب، وبيع سبائكه إلى دبي وأسواق أخرى في الإمارات، وقد أقرّ بهذا في حوار مع الـ BBC سنة 2019: «لستُ أوّل رجل يملك مناجم ذهب، ولدينا بالفعل مناجم ذهب، ولا شيء يمنعنا من الاتجار بالذهب»؛ ما عدا، بالطبع، أنّ تاجر الذهب هذا هو اليوم الرجل الثاني الأقوى في السودان، بعد عبد الفتاح البرهان؛ وما عدا، كذلك، أنّ تجارته بدأت بترخيص مباشر من طاغية السودان السابق عمر البشير، الذي أقطعه في سنة 2017 منطقة جبل عامر شمال دارفور، الغنية بالمعادن والذهب خاصة.

أكثر من هذا، كان حميدتي قد أطلق شركة باسم «الجنيد» يديرها شقيقه من حيث الشكل، وصدّرت سبائك ذهب بعشرات الملايين من الدولارات بعد أن كان البشير قد أوعز إلى المصرف المركزي السوداني بعدم فرض أي قيود على أعمال حميدتي؛ كما أوضح تقرير مفصل شهير نشرته وكالة رويترز أواخر العام 2019. وأمّا اليوم فإنّ ميليشيا «فاغنر» الروسية (ليس من دون مصادقة مباشرة من آمرها الفعلي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين) هي التي تتولى تأمين أقنية صادرات الذهب، بحيث باتت حلقة الوصل بين البشير وبوتين عبر حميدتي أضيق من أن تخطئها العين المجردة!

ومن نافل القول أنّ لحميدتي شبكة شركاء داخل الهرم الأعلى في مؤسسات الجيش والأجهزة الأمنية، وبالتالي ليس انقلاب 25 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 مجرد رقم يُضاف إلى 17 انقلاباً في تاريخ السودان؛ بل هو، كذلك، تدخّل صريح وفاضح وفظّ لحماية تجارة العسكر الكبرى. ولا يتوجب أن تُغفل حقيقة أنّ السودان يُعتبر الثاني في مخزون الذهب على نطاق القارة الأفريقية، وثمة استطراداً ما يُسيل الكثير من لعاب الشريحة العليا من جنرالات السودان؛ خاصة حين تكون التجارة مصدراً لتمويل الاستبداد الداخلي من جهة أولى، ولشراء الرضى الخارجي الإقليمي والدولي من جهة ثانية.

استيلاء العسكر على مناجم الذهب يزداد خطورة في ضوء ظاهرة أولى اجتماعية/ اقتصادية لا تغيب عنها أيضاً عواقب صحية وبيئية عديدة، هي أنّ قرابة مليونَيْ مواطن سوداني يشتغلون بالتنقيب في مناجم بدائية لا تتوفر فيها الحدود الدنيا من السلامة والأمان؛ إلى جانب أنها تُدار من جهات لا تكترث بحقوق العاملين، أو تعتمد تشغيلاً أقرب إلى السخرة وتعاقدات السوق السوداء. الظاهرة الثانية هي أن رعاة العسكر الخارجيين ليسوا مجرّد تجّار أو سماسرة أو وسطاء، بل هم غالباً أنظمة وأجهزة ومراكز نفوذ سياسية ومالية.

ولم يكن مستغرباً أن يقوم حميدتي بزيارة إلى موسكو عشية الغزو الروسي في أوكرانيا، إذْ كانت الروابط بين سبيكة الذهب ومرتزق «فاغنر» وثيقة الصلة بما يخطط له الكرملين على نطاق واسع في تلك البقاع من أفريقيا؛ وأمّا طرائق التخاطب، الصريحة أو الخافية، بين عسكر السودان ودولة الاحتلال الإسرائيلي فإنها، بدورها، لا تخرج عن مبدأ حاجة الجنرالات إلى حفظ بقاء الانقلاب ومعادلات السلطة وتوازناتها.

وكلّ هذه السبائك المنهوبة في بلد كان فيه سعر رغيف الخبز قرابة جنيهين أيام الطاغية البشير، وهو اليوم 50 جنيهاً؛ وأمّا التضخم فقد بلغ 250، وهبطت العملة الوطنية إلى حضيض غير مسبوق، وزادت الأسعار بنسبة تفوق 30% ....

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10597 الأحد 17 نيسان (إبريل) 2022 – 16 رمضان 1443 هـ

كيف تقود تطلعات الحكم المدني الديمقراطي الحراك الشعبي في السودان؟

عمر الفاروق

«لجان المقاومة القائدة للاحتجاجات في السودان» ربما تبدو هذه الجملة غامضة بالنسبة لأولئك الذين لا يتصلون بتفاصيل وتطورات المشهد السياسي في البلاد، خصوصاً بعد انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر الماضي. في الوقت الذي توجد فيه قوى الحرية والتغيير - الائتلاف الحاكم سابقاً، كأحد الأطراف الرئيسة التي تقود الحراك المعارض ضد السلطة العسكرية الحاكمة في البلاد.

من جهتها، تقود قوى الحرية والتغيير، العمل المعارض، بحكم تركيبتها، على مستويين؛ سياسي: تقبل فيه التفاوض كمبدأ وفق شروط محددة. ومستوى آخر؛ يقوم: على رؤية لجان المقاومة السودانية في خلق عملية سياسية وفق شروط جديدة، تؤدي إلى حكم مدني ديمقراطي، لكنهما بطبيعة الحال يلتقيان، وإن بدرجات، في كونهما الجهتان اللتان تقودان الشارع.

منذ اندلاع الثورة السودانية في كانون الأول/ديسمبر 2018 وإطاحتها بنظام الرئيس المخلوع، عمر البشير في نيسان/أبريل 2019، بدأت التركيبة السياسية والفاعلون في التغيير بذلك الشكل الذي أنتج فاعلية سياسية جديدة كلياً في البلاد وصلت ذروتها بعد انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر الماضي.

عقب إسقاط نظام البشير، انخرط ائتلاف الحرية والتغيير ممثل الشارع وقتها، في مفاوضات مع المجلس العسكري، وبموجب اتفاق، تقاسما السلطة ضمن الحكومة الانتقالية لنحو 25 شهراً.

طيلة الفترة الانتقالية التي انتهت بالانقلاب، كانت العملية السياسية الرسمية، تدور في فلك القوى السياسية المدنية، والقوى السياسية المسلحة، والمؤسسة العسكرية، على اعتبار أنهم يعملون على إنجاز ما اتفقوا عليه، سواء في الوثيقة الدستورية أو اتفاق سلام جوبا، هذه العملية أبعدت إلى حد كبير الفاعليات والتنظيمات الشبابية من مشهد صناعة القرار، قاتلوا طيلة 25 شهراً لإسماع صوتهم، لكن بدون أن يستمع إليهم أحد.

أثناء الحكومة الانتقالية، بينما تفرغت الأطراف المنخرطة في أجهزتها، حيناً لتحقيق أهدافها، وأخرى، الوقوف في وجه أطراف تحاول إنهاء وجودها، عرفت الكتل الشبابية، أنه لا أحد مستعد لسماع رؤاهم المستمدة من شعارات الثورة نفسها (حرية، سلام وعدالة) فضلاً عن استمرار أنماط الدولة القمعية، في مواجهة احتجاجاتهم السلمية.

استمرت الاحتجاجات بغرض تحقيق مطالب معينة، بالتوازي مع ميلاد روح تنظيمية جديدة اهتمت ببناء التنظيمات القاعدية في أنحاء البلاد المختلفة، كما بدأت لجان المقاومة التفكير والعمل على أن تكون صوتاً منفرداً يعبر عن أهداف وتطلعات السودانيين، في طريق بناء دولة جديدة تُبنى على قاعدة شعارات ثورة ديسمبر.

رغم أنه قطع طريق الانتقال الديمقراطي نفسه في البلاد، إلا أن انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر، من جانب آخر، أعاد تعريف العملية السياسية بشكل جذري وقاعدي بالنسبة للجان المقاومة السودانية، وحتى بالنسبة لقوى الحرية والتغيير بدرجة كبيرة.

صبيحة الانقلاب، خرج مئات آلاف السودانيين بأنحاء البلاد المختلفة للتنديد به ورفضه، حتى قبل أن يصدر بيانه، كان ذلك احتشاداً أولياً، لكنه كان مبدئياً في سياق عدم العودة إلى الحكم الشمولي والعسكري مرة أخرى.

بعد مرور ما يقارب 6 أشهر على انقلاب 25 أكتوبر، وعودة البلاد إلى حقبة الدولة القمعية، ما تزال لجان المقاومة السودانية تقود الاحتجاجات ضد السلطة العسكرية الحاكمة، لكن احتجاجاتها في المليونيات، تعد جزءاً يسيراً من خطوات سياسية غير مسبوقة قطعتها بعد الانقلاب.

اللاءات الثلاثة

على مستوى قيادة الاحتجاجات، رفعت لجان المقاومة السودانية، شعار (لا تفاوض، لا شراكة، لا مساومة) كموجه أساسي لبوصلتها السياسية حول طبيعة التغيير الذي تسعى إليه. من رحم اللاءات الثلاثة، ولدت شعارات جوهرية حددت كيف تنظر إلى مشروع الحكم في السودان، من خلال دعوتها إلى عودة العسكر لثكناتهم، بعيداً عن أي عملية سياسية في المستقبل، بعد إسقاط السلطة العسكرية الحاكمة.

رسمت الاحتجاجات، منذ انقلاب 25 أكتوبر، خريطة جديدة لمستقبل البلاد، رغم الثمن المدفوع، حيث قتل أكثر من 90 شخصاً خلال التظاهرات المناهضة له، واعتقل وجرح الآلاف، تستند تلك الخريطة على تجاوز ما حدث منذ سقوط نظام الرئيس المخلوع، عمر البشير، في نيسان/أبريل 2019 بابتدار مقاومة، تهدف إلى تحقيق تغيير جذري، يبدأ من القواعد الشعبية، حتى يصل إلى رأس السلطة. حيث كشفت الفترة الانتقالية في البلاد، هشاشة العملية السياسية التي كانت تجري، باعتبارها تغييراً فوقياً، أزيحت فيه الرؤوس الكبيرة، فيما عادت الدولة القديمة التي ثار ضدها السودانيون بكل أسرارها وأدواتها، كأن شيئاً لم يحدث.

مع استمرار تنظيم الاحتجاجات على مدى 6 أشهر من جانب لجان المقاومة، أصبح الخروج إلى الشارع يأتي في سياق مفهوم ومحدد، بإمكان أي متظاهر الإلمام بالهدف منه، بعدما باتت الشعارات والأهداف هي القائد الفعلي لمناهضة السلطة العسكرية الحاكمة.

فالشعارات والأهداف التي عُمدت بالدم والتضحيات، أصبحت عمود الحراك الشعبي، والمضمون الحقيقي للثورة السودانية.

كالعادة، في خضم كل أزمة سياسية، تأتي المبادرات الداعية إلى عقد تسويات، حيث ابتدرت بعثة الأمم المتحدة لدعم الفترة الانتقالية في السودان «يونيتامس» عملية وساطة بين المكون العسكري ورئيس الوزراء السابق، عبد الله حمدوك، تكللت بتوقيع اتفاق 21 تشرين الثاني/نوفمبر بين البرهان وحمدوك، لكن بعد أقل من شهرين استقال الأخير، وصارت المواجهة بين الشارع وقوى الحرية والتغيير من جهة والمجلس العسكري من جهة أخرى مفتوحة.

لكن، رئيس بعثة «يونيتامس» فولكر بيرتس، لم يفقد الأمل باستقالة حمدوك، في استعادة مسار التحول الديمقراطي، حيث أطلق عملية استشارات تهدف إلى تقريب وجهات نظر الفرقاء السودانيين، بينما انخرطت فيها قوى الحرية والتغيير، تحفظت لجان المقاومة عليها، متمسكة بلاءاتها الثلاثة لإحداث تحول جذري وفق رؤيتها.

مقابل تجنبها الانخراط في عملية استشارات فولكر، بدأت لجان المقاومة في تأسيس عمليتها السياسية، القائمة هذه المرة على الاشتغال السياسي المباشر، من طرحها، بما في ذلك قوى الحرية والتغيير، بالإضافة إلى النقابات ومنظمات المجتمع المدني، لخلق بديل ديمقراطي يعيد تصحيح عقود من الحكم غير الرشيد، على الأقل هكذا تأمل وتعمل.

بينما الصراع يمضي قدماً، وبلا جدوى ظاهرة وسط السلطة العسكرية الحاكمة، فإنه بالمقابل، يتسع المستقبل أمام رؤية لجان المقاومة السودانية، بإحداث تغيير من القاعدة إلى القمة، يتواطأ فيه الجميع على أن الشعب، هو منبع السلطة والمشرع الأول والأخير لها.

بديل ديمقراطي

وسط زخم مناهضة السلطة العسكرية الحاكمة، تمكنت لجان مقاومة مدينة ود مدني (وسط) وتنسيقيات لجان مقاومة ولاية الخرطوم، في كتابة إعلاناتها ومواثيقها السياسية، لتنضم إلى إعلان مايرنو (جنوب) السابق لها. يأتي ذلك، في الوقت الذي، ابتدرت فيه السلطة العسكرية الحاكمة، حملات قمعية أشد ضراوة ضد لجان المقاومة السودانية، بالاعتقال والسجن والترهيب والملاحقة، على أمل إخماد الحراك الثوري ضدها.

أيضاً تعمل السلطة العسكرية الحاكمة، على تشكيل حاضنة سياسية لها، مقابل تلك القوى المعارضة لحكمها، في طريقها لفرض أمر واقع جديد، من خلال اتجاهها لتشكيل أول حكومة لها منذ انقلاب 25 أكتوبر، حسبما أشارت تقارير إعلامية، تستند قاعدتها على تلك الأحزاب التي كانت تشارك البشير الحكم لحظة سقوطه، ومن ثم المضي إلى الانتخابات المزمع عقدها في 2023 كخطوة أخيرة لتأكيد شرعيتها السياسية.

بالمقابل، تتوسع لجان المقاومة يوماً بعد يوم، في عملية توحيد أهداف العملية السياسية، من خلال توحيد مواثيقها السياسية، وجذب أطراف عديدة إلى طرحها، بما في ذلك قوى الحرية والتغيير، بالإضافة إلى النقابات ومنظمات المجتمع المدني، لخلق بديل ديمقراطي يعيد تصحيح عقود من الحكم غير الرشيد، على الأقل هكذا تأمل وتعمل.

بينما الصراع يمضي قدماً، وبلا جدوى ظاهرة وسط السلطة العسكرية الحاكمة، فإنه بالمقابل، يتسع المستقبل أمام رؤية لجان المقاومة السودانية، بإحداث تغيير من القاعدة إلى القمة، يتواطأ فيه الجميع على أن الشعب، هو منبع السلطة والمشرع الأول والأخير لها.

Volume 33 - Issue 10597 Sunday 17 April 2022

هل يقبل السودانيون بحكومة حاضنتها السياسية أحزاب النظام القديم؟

حسن محمد علي

أعلنت السلطات الانقلابية في السودان، عن شروعها في تكوين حكومة جديدة، بينما تمضي في تفاهمات مع قوى سياسية واجتماعية، موالية للنظام السابق، والتي يعتبرها الشارع قوى ردة عكسية مناهضة للثورة.

وبعد إعلان المستشار الإعلامي للقائد العام للجيش، الطاهر أبو هاجة، الأسبوع الماضي، عن اقتراب تكوين حكومة جديدة، بدا وكأن قادة الانقلاب يضربون بالمبادرات المطروحة عرض الحائط، بينما يتصاعد الرفض الشعبي للانقلاب. الأمر الذي قد يفتح الأوضاع السياسية في البلاد على احتمالات عديدة، أبرزها تخلي العسكريين عن دعواتهم للوفاق الوطني مقابل تكوين حكومة من التكنوقراط يأملون أن تعيد لهم الشرعية الدولية، رغم أن الحاضنة السياسية المنتظرة لهذه الحكومة غير مقبولة محلياً ودولياً.

وفي كل الأحوال يمقت السودانيون عودة المشهد السياسي القديم الذي أطاحوا به عبر ثورة شعبية تمضي نحو عامها الثالث، وما زالت تتصاعد مطالبهم بالحكم المدني الديمقراطي وخروج الجيش من السياسة.

وفي حال تشكيل حكومة جديدة، فإن الأنظار تتجه نحو الحاضنة السياسية التي ستقف خلفها، وما إذا كانت ستضم أحزاب النظام القديم، أم أنها ستكون من القوى الثورية، التي تعتبر أن الشراكة مع العسكر، تعني خيانة دماء الشهداء.

وقال أبو هاجة، في تصريحات لوكالة السودان للأنباء «سونا» إن الحكومة المنتظرة ستشكل واقعا سياسيا جديدا خلال الفترة المقبلة، بالاستفادة من كل المبادرات الوطنية المطروحة لحل الأزمة السودانية.

لكن رئيس لجنة التحقيق في فض الاعتصام، المحامي نبيل أديب، الذي كان جزءا من مبادرة عقب الانقلاب لإيجاد تسوية بين العسكر والمدنيين، شكك في حديث مستشار البرهان.

وقال في تصريح لـ«القدس العربي» إن تشكيل الحكومة متوقف على توافق القوى السياسية والمجتمعية وهو لم يتم بعد، وان قرار تجميد فقرة الحرية والتغيير الذي بسببه انتفت الحاضنة السياسية للحكومة، لا يمنح أي سلطة لحاضنة أخرى، ومن الذي يعين.

وأوضح أديب أن المتفق عليه هو تشكيل الحكومة وحاضنتها السياسية بالتوافق وبالتحديد من الأحزاب وتشكيلات الحرية والتغيير سواء كانت المجلس المركزي أو الوفاق الوطني.

وفي تعليقه القانوني حول تجميد المادة المتعلقة بالحرية والتغيير في الوثيقة الدستورية التي كانت تمنحها سلطة تعيين رئيس مجلس الوزراء وحكومته، يرى أن قائد الجيش لم يكن يقصد تجميدها بالكامل، بل ان لا تحتكر مجموعة قليلة السلطة، وقطع أديب المحامي بانه ليس من حق أو سلطة المجلس المؤتمر الوطني المحلول للفضاء السياسي من جديد، وأحزاب كانت تحت كنف حكمه السابق، بالإضافة إلى إقحام الإدارات الأهلية في المشهد السياسي.

وتتفاوت التوقعات للحكومة المنتظرة بين حاضنة من ائتلاف سياسي جهوي أهلي، يضم أحزابا خارج الحراك الثوري، وشاركت في نظام الإنقاذ، بالإضافة إلى احتمال مشاركة قوى محسوبة على الثورة، قد تقطع الطريق أمام صعودها مثل الحركات المتمردة الموقعة على اتفاق السلام.

وخلال اليومين الماضيين بدأت تحركات لتشكيل حاضنة سياسية من الأحزاب القديمة، تتكون من تيارات ذات توجه وسطي بقيادة محمد عثمان الميرغني رئيس الحزب الاتحادي الديمقراطي «الأصل» وأحزاب اتحادية صغيرة كانت قد انفصلت عنه، بجانب حزب الأمة فصيل مبارك الفاضل، الذي كان وزيرا بحكومة الإنقاذ لمرتين، بجانب كتلة البجا أو ما يعرف بالمجلس الأعلى لنظارات البجا والعموديات المستقلة، لكن سرعان ما نفض الأخير يده من هذا التحالف وأعلن ذلك قبل يومين أثناء حديثه في إفطار رمضاني أقامه حليفه الاستراتيجي عضو المجلس السيادي أبو القاسم برطم.

وقال أبو هاجة، في تصريحات لوكالة السودان للأنباء «سونا» إن الحكومة المنتظرة ستشكل واقعا سياسيا جديدا خلال الفترة المقبلة، بالاستفادة من كل المبادرات الوطنية المطروحة لحل الأزمة السودانية.

لكن رئيس لجنة التحقيق في فض الاعتصام، المحامي نبيل أديب، الذي كان جزءا من مبادرة عقب الانقلاب لإيجاد تسوية بين العسكر والمدنيين، شكك في حديث مستشار البرهان.

وقال في تصريح لـ«القدس العربي» إن تشكيل الحكومة متوقف على توافق القوى السياسية والمجتمعية وهو لم يتم بعد، وان قرار تجميد فقرة الحرية والتغيير الذي بسببه انتفت الحاضنة السياسية للحكومة، لا يمنح أي سلطة لحاضنة أخرى، ومن الذي يعين.

وأوضح أديب أن المتفق عليه هو تشكيل الحكومة وحاضنتها السياسية بالتوافق وبالتحديد من الأحزاب وتشكيلات الحرية والتغيير سواء كانت المجلس المركزي أو الوفاق الوطني.

وفي تعليقه القانوني حول تجميد المادة المتعلقة بالحرية والتغيير في الوثيقة الدستورية التي كانت تمنحها سلطة تعيين رئيس مجلس الوزراء وحكومته، يرى أن قائد الجيش لم يكن يقصد تجميدها بالكامل، بل ان لا تحتكر مجموعة قليلة السلطة، وقطع أديب المحامي بانه ليس من حق أو سلطة المجلس حزبه لا يمثل حاضنة للانقلاب.

وأكد الصادق في حديث متلفز إن الموقف داخل الحزب متمسك بحكم مدني يحقق أهداف الثورة وضد الانقلاب وأنه قاومه بكل الوسائل السلمية.

ونوه المهدي إلى ان قرار مؤسسات الحزب أنه لن يكون طرفا في أي تحالف أو حاضنة تدعم الحكم الشمولي والانقلابي وهو قرار نهائي لا رجعة عنه.

وحول ما إذا كانت قوى الحرية والتغيير ستعود لتمثل حاضنة أخرى للعملية السياسية في البلاد واحتمالات مشاركتها في الحكومة المرتقب إعلانها بواسطة العسكريين، أكد القيادي بقوى الحرية والتغيير عمار حمودة لـ «القدس العربي» أن المشكلة الأساسية هي فعل الانقلاب نفسه وليس شكل الحكومة التي يصنعها.

وأضاف: «أي حكومة في ظل الانقلاب ستكون حكومة تفتقر للشرعية تمكنها من إنجاز أي عمل تنفيذي، أو نيل المقبولية من الشعب».

وشدد على ان الحكومة المقبلة يجب ان تتمتع بشرعية ووضع دستوري انتقالي، أو انتخاب ديمقراطي، أما حكومات الأمر الواقع والقوة العسكرية الشمولية فهي لا سند لها إلا البندقية، وليس لهم إيمان لا بثورة ولا ديمقراطية.

وحول رؤية وموقف قوى الحرية والتغيير من الحكومة، أكد ان قوى الحرية والتغيير أعلنت رؤيتها السياسية المتمثلة في مهمة أساسية هي هزيمة الانقلاب، ويردف قائلا «هذا بالضرورة يعني مواصلة عملها ضد كل مظاهر تثبيت حالة الانقلاب أما موضوع الشخصيات وتسميتها فلا معنى لها مهما أسبغت عليها من أوصاف».

وتشترط قوى دولية مثل «الترويكا» تعيين حكومة مدنية ذات امتداد سياسي من قوى الثورة والقوى المدنية لاستئناف المساعدات، ويطالب بذات الشروط كيان رباعي ومجموعة أصدقاء السودان وتمثلها دول الولايات المتحدة الأمريكية، المملكة العربية السعودية، الإمارات، والمملكة المتحدة.

ورغم الجولات المكوكية بُغية استئناف المساعدات أو إيجاد أي صيغة لانعاش الاقتصاد السوداني من قبل الانقلابيين إلا ان كل هذه الدول لم تعلن عن تقديم مساعدات لهم، ما يعيد الكرة مرة أخرى إلى خانة الثورة.

وقال ممثل الاتحاد الأفريقي بالسودان والناطق الرسمي بإسم الآلية المشتركة، السفير محمد بلعيش، إن الآلية قدمت نتائج جهودها خلال الفترة الماضية وآفاق الخروج من الأزمة الراهنة باستعادة النظام الدستوري المدني.

وأشار بلعيش عقب لقاء جمعهم بالبرهان في اليومين الماضيين إلى أن الآلية تسعى من خلال ما تبذله من جهود لبناء توافق سياسي، مبني على أوسع نطاق من التوافق بين السودانيين.

وأشار إلى ان الحل للأزمة في السودان، يجب أن يبنى على أساس روح التراضي، ويتخذ منهج التدرج في تناول أربع قضايا أساسية تشمل الترتيبات الدستورية، معايير اختيار رئيس حكومة التكنوقراط وأعضائها، برنامج عمل يتصدى للاحتياجات الأساسية والمستعجلة للمواطن وخطة زمنية دقيقة ومحكمة لتنظيم انتخابات حرة ونزيهة.

وأضاف، أن فريق العمل المشترك بالآلية الثلاثية شدد على ضرورة اتخاذ إجراءات تهيئة المناخ الملائم للحوار السوداني، بما في ذلك إطلاق سراح الموقوفين، ورفع حالة الطوارئ وإلغاء كافة القوانين المقيدة للحريات وعدم حدوث انتهاكات لحقوق الإنسان.

وعبر بلعيش عن تفاؤله بحدوث اختراق وشيك في الأزمة الراهنة، قائلا: «أبشر إخواني وأهلي في السودان أنهم سيرون قريبا ما يسرهم ويطلح صدورهم».

مبادرة لحل الأزمة

وقدمت الجبهة الثورية مؤخرا مبادرة لحل الأزمة السياسية، يرجح ان حظوظها أقوى من بقية المبادرات، لكونها المبادرة الأولى من أحد أطراف الأزمة في السودان وتتضمن مجموعة الحركات المسلحة التي تشارك العسكر الحكومة وتتمسك في ذات الوقت بعضويتها في تحالف قوى الحرية والتغيير «المجلس المركزي».

ورغم ان حزب الأمة القومي من أبرز أحزاب الثورة وتحالفها السياسي إلا ان هناك من يشكك في مواقفه المتأرجحة بين دعم الحراك والتواصل مع المكون العسكري.

رغم تأكيد عضو المجلس المركزي للحرية والتغيير والقيادي بحزب الأمة صديق الصادق المهدي أن

الفريق عبد الفتاح البرهان

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10597 الأحد 17 نيسان (إبريل) 2022 – 16 رمضان 1443 هـ

السودان: الانقلابيون والدولة كحائط مائل

سيد احمد علي بلال

بدا الأمر وكأنّه استهتار أو ربما نزوة تستخدم فيها الدولة بوصفها «حيطة قصيرة» يمكن تخطيها من دون جهد وبكل سهولة.

في البداية استعانت لجنة تفكيك تمكين نظام الانقاذ لعام 1989 بقانون يستند إلى الوثيقة الدستورية التي كانت بمثابة ميثاق للحلف الذي تبلورت ملامحه بعد سقوط نظام البشير، والمكون من تجمع إعلان الحرية والتغيير واللجنة الأمنية للنظام أو (المدنيين والعسكريين) وهي الوثيقة التي كان يراد لها ان تحكم الفترة الانتقاليّة التي تفضي إلى حكم ديقراطي مدني. وقد حاولت هذه الهيئة «لجنة التفكيك» ان تحقق في أعمال فساد وتجمد حسابات مصرفيّة وتصادر عقارات بشبهة فساد، ويبدو ان الانقلاب كان يقصدها إذ انها مست مصالح خارج سيطرة العسكريين الذين يتحكمون في إدارة شركات عديدة في إطار المؤسسات التابعة للقوات المسلحة والتي قال عنها رئيس الوزراء السابق د. عبدالله حمدوك انها تسيطر على نحو 82 في المئة من الاقتصاد السوداني. لم يكن للانقلابيين ما يتسترون به كذريعة لانقلابهم سوى ان الحاضنة السياسية للسلطة ضيّقة، لذلك يجب ان تتوسع لتضم أطرافا أخرى للحاضنة التي اسموها «4 طويلة» على غرار اسم عصابات سلب ونهب واعتداء نشطت مؤخراً في العاصمة الخرطوم، تسمى «9 طويلة» أما انها من إفرازات الفراغ الأمني المتعمد، أو انها من المخلفات الأخيرة لنظام الانقاذ.

أقدمت سلطة البرهان–حميدتي العسكرية التي انقلبت على الوثيقة الدستورية وعدلتها على إبعاد عدد من أعضاء لجنة التمكين وسحبت منهم سلطة القرار وسجنتهم، واعتقلت بعض الذين كانوا جزءا من قيادة لجنة التفكيك وكانوا سيعقبون العسكريين في قيادة مجلس السيادة، وكذلك اعتقلت بعض وزراء حكومة حمدوك ما عدا الذين أتى بهم اتفاق جوبا من عناصر الجبهة الثورية والذين منحتهم نسبة 25 في المئة من مقاعد مجلس الوزراء، كما أزاحت أعضاء مجلس الوزراء الآخرين ومستشاريي رئيس الوزراء وبعض قيادات الخدمة المدنية.

التمرن على الانقلاب

هناك من يقول، وهناك سند لما يقوله، ان عمليّة فض الاعتصام كانت هي الانقلاب الأول لإزالة ذلك التمترس الثوري أمام مبنى القيادة العسكريّة وفي قلب الخرطوم، وان انقلاب 25 تشرين الأول/اكتوبر هو الانقلاب الثاني. وبذلك تكون عودة حمدوك ثم استقالته هي الفصل الثالث من هذا المسلسل المأساوي الدموي الفادح.

يبدو انه كان هناك شعور لدى الانقلابيين بان رئيس الوزراء عبدالله حمدوك قد حقق لهم مكاسب عبر اتفاقاته مع المجتمع الدولي، لكنهم لم يكونوا واثقين من استدامة هذه المنافع لذلك عملوا على عودته إلى منصبه ووقعوا معه اتفاقا سياسيا في 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2021 فشرع حمدوك في إعادة بعض عناصر طاقمه من الذين تعرضوا للفصل خلال غيبته، وساهم في إطلاق سراح المعتقلين منهم، لكن بقاءه في موقعه لم يستمر طويلاً. وبعد استقالة حمدوك امتدت عمليات الفصل والإبعاد لتشمل بعض قيادات الخدمة المدنيّة مثل مدير عام وزارة التنمية الاجتماعيّة ومفوض العمل الطوعي والإنساني وأمين عام الحكومة وبعض قيادات الخدمة المدنية في الولايات.

الانتقال إلى فضاء انقلابي عريض

بعد ان تمرّن البرهان قليلاً على هذا المستوى في تلك الساحة انطلق إلى مستويات أخرى غير آبه بما يتعلق بتعقيدات سلوكه السياسي، فشرع في محاولة التصدي للمقاومة الشعبية المتصاعدة بزخمها الشبابي والتي تتجه لمعانقة ذكرى 6 نيسان/إبريل (ذكرى انتفاضة أخرى عام 1985). ظلت التظاهرات تتصاعد ووصل عدد قتلاها 92 شهيداً معظمهم تحت سن الثلاثين، وبرزت لجان المقاومة بجداول نشاطاتها النضاليّة وابتكاراتها المتجددة.

المعركة ضد الحداثة: محاولة السيطرة على الجامعات

في محاولة لاستباق ذكرى 6 نيسان/إبريل، التي انهت حكم الجنرال جعفر نميري، أقدم البرهان ورهطه على شن معركة ضخمة ضد دور العلم السودانية (أساتذة الجامعات وطلابها) فأصدر القرار 157 لعام 2022 الذي حل بموجبه «مجالس الجامعات الحكوميّة استنادا إلى المادة 47 من الوثيقة الدستوريّة لسنة 2019 التي تحكم المرحلة الانتقاليّة». الغريب ان المادة 47 من الوثيقة الدستورية لا تتعلق بموضوع مجالس الجامعات لا من قريب ولا من بعيد فهي تنص على الآتي:

(1) يحظر الرق والإتجار بالبشر بجميع أشكاله ولا يجوز استرقاق أحد أو إخضاعه للسخرة.

(2) لا يجوز إرغام أحد على أداء عمل قسرا إلّا كعقوبة تترتب على الإدانة بواسطة محكمة مختصة.

يبدو ان البرهان لم يكلف نفسه عناء التحقق من وجود تلك المادة في نص الوثيقة الدستورية. فقد علمت من عميد كلية القانون المستقيل محمد عبدالسلام الازيرق ان المادة المعنيّة هي 74 وليست 47، ما يدفع المرء للتساؤل حول أهليّة البرهان للحكم إذا كان غير معني بمراجعة مسألة على هذا المستوى من الأهمية من حيث تبعاتها؛ ولقد تحققت فعلا من ان البرهان لم يراجع المادة قبل اتخاذ قرار حل مجالس الجامعات. وهذا يعيدنا إلى نص استقالة عميد كلية القانون لنرى مدى دقة سنده القانوني. تقول استقالة العميد:

«بهذا أتقدّم لكم باستقالتي من منصب عميد كليّة القانون إلتزاما بقرارات مجلس العمداء في اجتماعه المنعقد بتاريخ 31 اذار/مارس 2022 رفضاً لقرارات مجلس السيادة الانتقالي بتاريخ 29 اذار/مارس 2022 بحل مجلس الجامعات وإعفاء وتعيين مدراء الجامعات الحكوميّة في مخالفة بيّنة للقانون وتجاوز الاختصاص وإساءة استخدام السلطة وانتهاك واضح وصريح لمبدأ استقلال الجامعات ومراكز البحث العلمي الذي كفلته المادة 63 من الوثيقة الدستوريّة الحاكمة للفترة الانتقاليّة».

بلغ عدد من تقدموا باستقالاتهم حتى الآن من القيادات الإداريّة لجامعة الخرطوم من عمداء وغيرهم 44 شخصا؛ وكان اجتماع مجلس عمداء جامعة الخرطوم قد ناقش يوم الخميس 31 اذار/مارس الماضي «قرار رئيس مجلس السيادة الانقلابي بحل مجالس الجامعات الحكوميّة وإعفاء مديري الجامعات ونوابهم وتعيين آخرين، هو تعد سافر على مبدأ سيادة حكم القانون، وإحكام الوثيقة الدستوريّة للفترة الانتقاليّة التي زعمت السلطة الانقلابيّة في بيانها الانقلابي تمسكها بها حاكماً لما أسمته بالمتبقي من الفترة الانتقاليّة». وأعلن مجلس العمداء «رفضه القاطع للتدخل في شؤون الجامعات وإدارتها من قبل السلطة الانقلابيّة. وقرر أعضاء المجلس إتخاذ كافة الخطوات التصعيديّة داخليّاً وخارجيّاً لمناهضة القرارات. واعترض أعضاء المجلس على تعيين مدير ونائب مدير لجامعة الخرطوم من السلطة الانقلابيّة في خرق واضح للوثيقة الدستوريّة، وأجمع أعضاء المجلس على مناهضة قرارات السلطة الانقلابية قانونيّاً، وتقديم طعن أمام المحاكم؛ وشدّد العمداء على تمسّكهم باستقلاليّة الجامعة وأعلن أعضاء المجلس تقديم استقالاتهم من مناصبهم الإداريّة».

اضراب مفتوح

بالطبع هناك اضراب مفتوح من جانب الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم منذ يوم 26 كانون الأول/ديسمبر 2021 لكن الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم أعلنت يوم 10 نيسان/ابريل الجاري عن تأكيدها «الرافض للمساس باستقلاليّة الجامعة» كما تنادي بضرورة انتخاب إدارة الجامعة واستمرار الاضراب عن كافة النشاطات الأكاديميّة واجتماعات مجالس الكليّات حتى تحقيق المطالب التي قام الاضراب من أجلها.

جامعة الزعيم الأزهري

لم يكن موقف هيئات أساتذة جامعة الخرطوم حكرا على هيئات الجامعة وحدها، فقد ناقش مجلس عمداء جامعة الزعيم الأزهري قرار مجلس السيادة الانقلابي وأعلن عقب اجتماعه يوم 3 نيسان/إبريل الجاري في بيان «تناول قرار مجلس السيادي الانقلابي بحل مجالس الجامعات الحكوميّة وإعفاء مدرائها ونوابهم وتعيين مدراء ونواب مدراء جدد، اعتبار التعيين غير دستوري، ويشكّل خرقاً سافراً للوثيقة الدستوريّة وتجاوزاً لمكتسبات ثورة ديسمبر المجيدة» كما أعلن المجلس تمسكه بالآتي:

1– ان يتم اختيار مدراء الجامعات ونوابهم بالانتخاب الحر المباشر، وليس عن طريق التعيين من السلطة التنفيذيّة.

2– ان يتم اختيار مدراء الجامعات ونوابهم ورؤساء الأقسام بالانتخاب من كلياتهم.

3– ان تتمتع الجامعات بالاستقلال الإداري والمالي بدون تدخّل الدولة في شؤونها الداخليّة.

كما تمخض الاجتماع عن إعلان العمداء ونوابهم ومديري الإدارات ورؤساء الأقسام عن تقديم استقالات جماعيّة من المناصب الإداريّة في الجامعة تعبيرا عن رفضهم القاطع للقرارات التي أصدرها قائد السلطة الانقلابيّة يوم 29 اذار/مارس الماضي.

وعلى هذا النحو مضت أيضا جامعة الجزيرة وغيرها من الجامعات الحكوميّة.

ونختتم القول بما جاء في كتاب عطا البطحاني، «التعثر الديمقراطي» أنه يبدو «مما جرى أن سمات إخفاق المراحل الانتقالية السابقة تتكرر بصورة أو أخرى في ظل الشراكة بين المدنيين والعسكريين» وأن من أبرز سمات إخفاق المرحلة الانتقالية هي «نقض العهود والمواثيق وعدم مراعاة ما تنص عليه التزامات وعهود، والارتكاز على سلطة الأمر الواقع القائمة على سلطة اقتصادية مالية مدعومة من الخارج لا تتردد في هندسة التوترات والاستثمار في النزاعات وتعطيل الإصلاح الاقتصادي والمؤسسي للدولة، مع تغذية السيولة السياسية والأمنية».

Volume 33 - Issue 10597 Sunday 17 April 2022

السودان وأزمته الاقتصادية عنوان للدولة الفاشلة

إبراهيم نوار

يعاني السودان من أزمة مركبة نتيجة التداعيات الاقتصادية السلبية لجائحة كورونا، وحرب أوكرانيا، وأزمة الغذاء، وارتفاع تكلفة التمويل على المستوى العالمي، بينما البلد لا يبدو مؤهلا من الناحية السياسية والإدارية لصوغ سياسة عملية تقلل الأضرار الناجمة عن هذه التداعيات، خصوصا ارتفاع أسعار الغذاء والوقود وتدهور قيمة الجنيه السوداني. وقد تحولت المؤسسة العسكرية الحاكمة إلى مجرد جماعة مصالح خاصة تسعى للتربح من الأزمات بأقصى ما تستطيع. وفي ظل غياب رؤية اقتصادية واضحة للسلطة التنفيذية، وجدل بشأن برنامج الطوارئ الذي تقترحه «الآلية الثلاثية» فإن التقلبات على المستوى العالمي تترك آثارا سلبية مضاعفة محليا، خصوصا مع انتشار الفساد الإداري، وظاهرة الاحتكار في السوق التي تعكس تشابك المصالح بين العسكريين وبين جماعات من التجار والمستوردين والمهربين المحترفين. ونتيجة لأن ارتفاع الأسعار لا تقابله زيادة متناسبة في الدخل، فإن انتشار الفقر وزيادة حدته، وسقوط أجزاء من الطبقة الوسطى إلى الحضيض، أصبحت مظاهر ملموسة في الحياة اليومية للسودانيين. وتقدر مفوضية الضمان الاجتماعي بالسودان في الإحصاء الذي أعلنت نتائجه في ايلول/سبتمبر عام 2020 أن 77 في المئة من السودانيين يعيشون تحت خط الفقر المقدر بدولار واحد و25 سنتا للفرد يوميا، ولا شك في أن الحال اليوم هو أسوأ مما كان عليه.

أزمة الغذاء

تفاقمت أزمة الغذاء بصورة حادة، بسبب تخبط السياسات التنفيذية، وتأثير الجفاف الذي ضرب 14 ولاية بنسب متفاوتة، منها ولايات دارفور والبحر الأحمر وكردفان، وارتفاع التضخم وزيادة تكاليف الإنتاج خصوصا الأسمدة والبذور والمبيدات. وتقدر منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة «الفاو» أن أزمة الغذاء تزداد حدة بسبب تراجع الإنتاج الزراعي وتعيين مدراء ونواب مدراء جدد، اعتبار التعيين غير دستوري، ويشكّل خرقاً سافراً للوثيقة الدستوريّة وتجاوزاً لمكتسبات ثورة ديسمبر المجيدة» كما أعلن المجلس تمسكه بالآتي: الزراعي بما يعرض أكثر من 15 مليون مواطن سوداني للجوع بدرجات متفاوتة. وذكرت في تقرير أخير في الشهر الماضي أن إجمالي محصول الحبوب الغذائية المتوقع للعام الحالي سيقل بنسبة 35 في المئة عن العام الماضي، وبنسبة 30 في المئة عن المتوسط السنوي للمحاصيل في السنوات الخمس الأخيرة. وتقدر «الفاو» كمية الانخفاض بحوالي 4.3 مليون طن منها 2.8 مليون طن من القمح. وهذا يعني أن التفاؤل بالمحصول الجديد الذي بدأ حصاده بالفعل لن يستمر طويلا. ففي العاصمة الخرطوم، زاد سعر رغيف الخبز الصغير من جنيهين سودانيين قبل عامين إلى حوالي 50 جنيها في الأيام الأخيرة، مع أن حجمه آخذ في التناقص.

لكن توقعات زيادة المعروض الموسمي من القمح المحلي مع بدء موسم الحصاد يبشر باحتمال انخفاض أسعار الخبز مؤقتا، حسب توقعات رابطة أصحاب المخابز. وقد انخفضت فعلا أسعار الدقيق في الأيام الأخيرة ليصل سعر الجوال زنة 50 كيلو إلى 26 ألف جنيه بدلاً عن 30 ألفا، وهو ما قد يؤدي لانخفاض أسعار الخبز. غير أن عوامل أخرى غير الدقيق تسهم في تحديد السعر يجب أخذها في الحسبان، مثل الزيادة في أسعار الغاز، الكهرباء، الكازولين، المياه، الجبايات والعمالة. وفي كل الأحوال فإن القمح المحلي لا يسهم بنسبة كبيرة في تغطية الاستهلاك المحلي. وتشير بيانات منظمة الأغذية والزراعة إلى أن حوالي 87 في المئة من القمح الذي يستورده السودان يأتي من روسيا وأوكرانيا، مما يجعله من أكثر دول العالم العربي تأثرا بالحرب في أوكرانيا.

وتتمثل أهم محركات أزمة الغذاء الراهنة في فشل السياسات الاقتصادية المتبعة، وتخبطها، وانعدام الخبرة في التخطيط والإدارة، خصوصا وأن إلغاء الدعم وتخفيض سعر العملة المحلية وانخفاض المحصول يترافق مع ارتفاع تكاليف الإنتاج. وتقدر منظمة «الفاو» أن تكلفة سلة الغذاء اليومي للفرد العادي في السودان قفزت بنسبة 120 في المئة.

تراجع المساعدات الدولية

وبسبب عدم الثقة في النظام السياسي القائم، وانتشار الفساد داخل الأجهزة التي تتدخل في توزيع مساعدات الإغاثة الإنسانية التي تقوم بها الأمم المتحدة، فإن قيمة المساعدات المنفذة فعلا لا تغطي إلا جزءا ضئيلا من الاحتياجات الفعلية. وذكر تقرير لبرنامج الأمم المتحدة للإغاثة الإنسانية في السودان أن إجمالي ما تلقاه من تمويل خلال أول شهرين من العام الحالي بلغ 255.4 مليون دولار فقط وهو ما يمثل نسبة ضئيلة جدا من المساعدات المطلوبة. ففي شهر شباط/فبراير على سبيل المثال بلغت قيمة المخصصات الفعلية 148.6 مليون دولار بنسبة 7.7 في المئة من المبالغ المطلوبة. وتقدر احتياجات توفير الأمن الغذائي للمتضررين بنحو 708 ملايين دولار تم توفير 141 مليون دولار منها بنسبة 19.9 في المئة فقط، في حين وصلت اعتمادات تغطية بنود أخرى مثل إعاشة اللاجئين والرعاية الصحية والتعليم إلى الصفر.

تعثر سياسات الإصلاح

يتولى نائب رئيس مجلس السيادة العسكري السوداني محمد حمدان دوقلو «حميدتي» مسؤولية إدارة الشؤون الاقتصادية في البلاد والإشراف على تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي كان قد تم الاتفاق عليه مع صندوق النقد والبنك الدولي في منتصف عام 2020. وهذا الدور الذي يتولاه حميدتي يعتبر أهم الأسباب وراء تخبط البرنامج وتعثره، وانتشار الفساد في كل أركان الإدارة الاقتصادية تقريبا. وتضمنت الإجراءات التي تم اتخاذها ضمن هذا البرنامج تخفيض سعر العملة المحلية تخفيضا حادا، وهو ما يسهم في تغذية معدل التضخم. وقال الجهاز المركزي للإحصاء في السودان في بيان رسمي إن معدل التضخم السنوي في البلاد ارتفع إلى 263.16 في المئة في الشهر الماضي من 258.40 في المئة في شباط/فبراير.

وقد حدد بنك الخرطوم سعر الصرف في الشهر الماضي بقيمة 530 جنيها سودانيا للدولار، بانخفاض 19 في المئة عن الشهر السابق. وجاء التغيير بعد أن قالت الحكومة إنها بصدد توحيد أسعار الصرف الرسمية وأسعار السوق السوداء. لكن الجنيه يواصل الهبوط في الشهر الحالي، وتراجع في الأيام الأخيرة إلى 580 جنيها مقابل الدولار. وقد أدى تخفيض الدعم وسعر العملة ورفع أسعار الوقود بدون اتخاذ إجراءات كافية للحماية الاجتماعية إلى ارتفاع حاد في تكاليف المعيشة، وانتشار الفقر ليشمل ما يقرب من ثلاثة أرباع السكان.

ولا يزال يتعين على السودان تنفيذ المزيد من الإصلاحات الاقتصادية والإدارية للوصول إلى «نقطة التمام» حتى يستفيد من مبادرة تخفيض الديون للدول الفقيرة الثقيلة المديونية المستمرة حتى عام 2024 ويأمل بعدها السودان في التخلص من نحو 90 في المئة من ديونه التي بلغت قيمتها 56 مليار دولار (163 في المئة من الناتج المحلي) في نهاية عام 2020 وكان من المتوقع في حال نجاح برنامج الإصلاح والغعفاء من الديون أن تهبط إلى 6 مليارات دولار فقط (14 في المئة من الناتج) في عام 2024 بشرط الالتزام ببرنامج الإصلاحات وسداد فوائد الديون القائمة. وقد لجأت سلطات الحكم العسكري بعد انقلاب تشرين الأول/أكتوبر الماضي إلى زيادة الضرائب والرسوم المحلية من أجل تعويض الانخفاض في برامج المساعدات الخارجية. لكن التطورات السلبية في السياسات النقدية على المستوى العالمي تثير شكوكا قوية حول قدرة الدول الفقيرة على سداد ديونها حسب تقديرات البنك الدولي.

لجنة الطوارئ الاقتصادية

ابتكر محمد حمدان دوقلو «حميدتي» هيكلا إداريا غريبا للتعامل مع الأزمة الاقتصادية تحت مسمى «لجنة الطوارئ الاقتصادية» تحت رئاسته. وفي الاجتماع الأخير لهذه اللجنة، قرر تشكيل 11 لجنة فرعية منبثقة عنها، تختص بمجالات الإنتاج والطاقة والتعدين، بما في ذلك الذهب، والصادرات والواردات، والإصلاح الضريبي والجمركي، والشركات والهيئات الحكومية، ولجان أخرى تختص بالعمل على استقرار سعر الصرف، وتخفيض التضخم، وتعزيز الخدمات الأساسية مثل الصحة والمياه والتعليم، إضافة إلى لجنة أخرى أكد حميدتي على أهميتها تسمى «لجنة تنفيذ الشراكة بين القطاعين العام والخاص». ويبدو أن قطاع الإعلام لم يفلت من قبضة حميدتي أيضا فقرر إنشاء لجنة فرعية ضمن لجنة الطوارئ الاقتصادية تسمى «لجنة قضايا الإعلام» تختص بإعادة تنظيم القطاع الإعلامي من الناحية الاقتصادية. وتفتقر لجنة الطوارئ واللجان المتفرعة منها لأي رؤية تتعلق بتنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي، وهي تركز فقط على السبل الكفيلة بزيادة إيرادات الدولة لتعويض الانخفاض في المساعدات الدولية وإرضاء جشع جماعات المصالح الخاصة.

المأزق الحالي

يتضح من العرض السابق أن السودان يواجه أزمة معقدة على عدة مستويات؛ فعلى المستوى الخارجي تعاني السلطة العسكرية الحاكمة من انعدام الثقة عالميا، ولا تسندها إلا بعض المعونات العربية، إلى جانب دعم إسرائيلي في المنظمات الدولية لتخفيف الضغوط عليها. وعلى المستوى المحلي تفتقد السلطة العسكرية إلى أساس مقبول للشرعية، وتستمد قوتها فقط من القدرة على الاستبداد واستخدام العنف المعنوي والمادي ضد الإرادة الشعبية التي تعبر كل يوم عن رفضها للحكم العسكري منذ انقلاب تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي حتى الآن. أما على مستوى تركيب السلطة العسكرية نفسها فانها تعاني من عدم الكفاءة، والتخبط، وسيطرة المصالح الخاصة على عملية اتخاذ القرارات؛ فالقرارات لا تستجيب للمصلحة العامة بقدر ما تحقق مصالح العسكريين الذين تتبلور مصالحهم بالتوافق مع جماعات محدودة من التجار والمهربين. أما على الصعيد الاقتصادي فإنه من المستبعد أن يواصل البنك الدولي وصندوق النقد برامج المساعدة والإعفاء من الديون، ما لم تتشكل حكومة مدنية مسؤولة مسؤولية كاملة تلتزم بتنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي بما فيه من إجراءات للحماية للاجتماعية، واجتثاث الفساد، وتعميم الشفافية، وتعزيز الخدمات الأساسية اللازمة لتطوير المهارات البشرية، خصوصا في مجالات التعليم والصحة والإسكان ومحاربة الفقر. ويمتد موقف البنك والصندوق إلى برامج المساعدات الإنسانية العاجلة التي هبطت هبوطا حادا خلال الأسابيع الأخيرة على الرغم من أزمة النقص في إمدادات الغذاء، ذات الأبعاد المحلية والخارجية. وليس هناك مفتاح لحل الأزمة الاقتصادية، وعلى رأسها أزمات الغذاء والطاقة والخدمات الأساسية، بدون التوصل إلى حلول سياسية على المستوى الوطني. مفتاح حل الأزمة الاقتصادية موجود في صندوق السياسة، ومن العبث افتراض إمكان حلها بوسائل أخرى.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10597 الأحد 17 نيسان (إبريل) 2022 – 16 رمضان 1443 هـ

السودان بين انقلابين: انهيار اقتصادي وتدهور أمني يدفع

إبراهيم درويش

في آخر تصريحات للجنرال عبد الفتاح البرهان، الرئيس الفعلي للسودان عبر فيها عن خطوات لتخفيف التوتر بعد ستة أشهر من محاولته الانقلابية على عملية التحول الديمقراطي في البلاد. وقال «بدأنا مرحلة صعبة وعلينا تقديم تنازلات من أجل البلد» مشيرا في تجمع رمضاني إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والأمنية في السودان. وقال «نحن جاهزون لتقديم ما يمكننا تقديمه لخلق مناخ لحوار يقود إلى حلول». وقام البرهان وقادة الجيش في 25 تشرين الأول/ أكتوبر بانقلاب عسكري على عملية التحول الديمقراطي ونقل السلطة بعد الإطاحة بعمر البشير في نيسان/ابريل 2019 وهو ما أدى لعودة حركة الاحتجاج إلى الشارع مطالبة مرة أخرى برحيل العسكر وتفكيك البنية السابقة للحكم التي يعتبر البرهان وغيره من القادة في السودان اليوم استمرارا لها. ومنذ ذلك قتل في التظاهرات التي يقوم بها المحتجون على النظام الحالي 94 شخصا. واتهم العسكر الجانب المدني باحتكار السلطة، وظل رئيس الوزراء عبد الله حمدوك يمثل عملية التحول حتى وضعه تحت الإقامة الجبرية بعد الانقلاب ثم افرج عنه وعاد إلى ترؤوس الحكومة قبل استقالته من منصبه.

وفي تصريحاته الأخيرة قال البرهان إنه التقى مع النائب العام ورئيس القضاء لتسريع عملية الإفراج عن المعتقلين ومن بينهم قادة مدنيون، رغم نفيه وجود «معتقلين سياسيين». وقال إنه ناقش إمكانية تخفيف حالة الطوارئ، وهو مطلب دولي لبناء الثقة. وتأتي تصريحات البرهان وسط حديثه عن تنازلات قدمتها بعض الجماعات السياسية، مؤكدا على عدم احتكار طرف واحد العملية السياسية. وقال البرهان سابقا إن الجيش لن يسلم السلطة إلا لحكومة منتخبة.

مأزق العسكر

ولا نعرف إن كانت تصريحات البرهان تعبيرا عن مأزق الجيش الذي وجد نفسه وسط أزمة اقتصادية وتدهور أمني في دارفور وضغوط من الأطراف الإقليمية التي دعمت وسوقت للبرهان وجماعته في السودان بعد خروج البشير من معادلة السلطة في البلاد ثم الانقلاب الثاني الذي قاده البشير. ولوحظ في الفترة الأخيرة ان مبعوثي النظام الحالي قاموا بزيارات لموسكو وأبو ظبي بحثا عن دعم جديد.

وكانت تداعيات الأزمة التي تسبب بها الغزو الروسي لأوكرانيا وأثرها على سلاسل التوريد واضحة في رمضان هذا العام في السودان. وقرأنا في الأسابيع الماضية عن تأثر دول الشرق الأوسط بالحرب نظرا لاعتمادها على الحبوب المستوردة من روسيا وأوكرانيا اللتان تعتبران سلة غذاء للعالم، واستقبل السودانيون رمضان الذي بدأ في الثاني من شهر نيسان/إبريل بنوع من القلق ومخاوف من انفجار مقبل، ذلك أن البلد يعيش على حد السكين. فالتحول الديمقراطي الذي فتحته الثورة ضد البشير يقف في طريقه الجيش والقوى الأمنية التي تزعم أنها تحاول «إنقاذ» البلد من القادة المدنيين. ولكن المؤسسة الحاكمة التي تتمسك بالسلطة تقوم باستنفاد ما تبقى من مصادر أو حياة في البلد. فبلغة الأرقام بات السودان بعد تجربة انقلابين محطما. ووصل التضخم أعلى مستوياته، 250 في المئة أو أعلى وفقدت العملة السودانية معظم قيمتها أمام الدولار. وزادت أسعار المواد الأساسية المستوردة، الحبوب والبترول، بنسبة 30 في المئة، فسعر رغيف الخبز الذي كان جنيهين سودانيين عندما تولى العسكر السلطة قبل عامين أصبح يكلف الآن خمسين جنيها. وهذا راجع إلى زيادة أسعار القمح، حيث يستورد السودان نسبة 80 في المئة من قمحه من روسيا وأوكرانيا. وفي الشهر الماضي كان سعر القمح المحلي 550 دولارا للطن، أي بزيادة 180 في المئة عن العام السابق. ولو لم يتغير الوضع فستواجه نسبة 40 في المئة حسب توقعات برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة «غيابا حادا للأمن الغذائي» في نهاية العام الحالي. وبالحسبة بناء على عدد السكان، فهناك 9 ملايين سوداني من 40 مليون نسمة يعيشون فقرا حادا، مما سيؤدي بالدول المانحة للتفكير بطوارئ إنسانية في المناطق الحضرية من البلاد.

أوقات سيئة

وتردي الأوضاع الاقتصادية وغياب المواد الأساسية وخاصة في شهر رمضان هو بمثابة وصفة للاضطرابات بين الشعب المحبط والغاضب والنخبة العسكرية القاسية التي عاملته بطريقة سيئة، حسب مجلة «إيكونوميست» (2022/4/9). وقالت إن قلة من السودانيين يتذكرون أوضاعا سيئة مرت على البلاد كالتي يعيشونها. وترى المجلة ان البرهان يتحمل مسؤولية هذه الفوضى عندما قاد انقلابا في العام الماضي. وتضيف أن الوضع في السودان لم يتغير حقيقة، فعندما أيقن الجيش أنه سينهار في نيسان/ابريل 2019، قام بالاستيلاء على السلطة للسيطرة على السياسة والاقتصاد. إلا ان خطط الجيش لمرحلة ما بعد البشير لم تسر حسب ما يريد، فقد أجبرت التظاهرات والضغط الدولي الجنرالات على عقد اتفاق مع قادة الاحتجاج لنقل السلطة إلى المدنيين في 2021 وقبل انتخابات كان من المتوقع إجراؤها هذا العام. وتعهد المانحون الغربيون والبنوك المتعددة بمليارات الدولارات كمساعدة لتخفيف الدين ودعم عملية التحول الديمقراطي. إلا أن الانقلاب الثاني أوقف معظم هذا الدعم أو أخره الأمريكيون والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي الذي أوقف تدفق 1.4 مليار دولار من الدعم والمساعدة.

بيع أصول البلد

ولم يعد لدى المجلس العسكري المال، ما دفعه لقطع الدعم عن المواد الأساسية، القمح والوقود تحديدا. واتخذ القرار في غياب الدعم الغربي أو شبكات أمان لتخفيف الصدمة على فقراء البلد. وهم والحالة هذه غاضبون ومن المتوقع تظاهرات جديدة. ويبحث الجنرالات عن المال بطريقة يائسة حتى تظل الحكومة فاعلة. ومن أجل سد الثغرات في الميزانية، زادوا من الضرائب على الأعمال التجارية. لكنه إجراء غير عملي لأن قلة من الأعمال التجارية في السودان تدفع الضريبة. وفي محاولة للبحث عن مصادر أخرى لجأ الجنرالات كما تقول المجلة للتسول. وهم يبيعون ما تبقى من أصول للبلد. وزار البرهان الإمارات العربية المتحدة للحصول على وعود بدعم البنوك السودانية والاستثمار في «مشاريع تنمية» لم تحدد. وربما كان من بين هذه المشاريع استثمار شركة موانئ دبي العالمية التي ظلت عينها خلال السنوات الماضية على محطة الحاويات الرئيسية في ميناء بورتسودان. إلا أن العمال في المرفأ يعارضون أي عملية خصخصة، خوفا من خسارتهم أعمالهم. وهناك روسيا الطامحة منذ زمن لإقامة قاعدة عسكرية على البحر الأحمر كما أنها من المشترين المهمين للذهب السوداني. ومن المحتمل أنه تم طرح الموضوعين أثناء زيارة نائب البرهان محمد حمدان دقلو (المعروف بحميدتي) موسكو عشية الغزو الروسي لأوكرانيا. ويقود دقلو الميليشيا العسكرية «قوات الدعم السريع» والتي تدير معظم مناجم الذهب غير الشرعية. ويعتقد بحاجة لمزيد من الذهب السوداني كي تقوي اقتصادها ضد العقوبات الغربية. ويمثل الذهب نسبة 40 في المئة من الصادرات السودانية ويتم تهريبه عبر البلاد من خلال الإمارات العربية المتحدة ثم إلى روسيا. وهذا يساعد على فهم السبب الذي دفع فيه الإمارات والسودان للامتناع عن التصويت في قرار يشجب الغزو الروسي لأوكرانيا في الأمم المتحدة. وتعتقد المجلة أن هذه «الصفقات اليائسة» لن تشتري الاستقرار للنظام. مشيرة إلى أن علاقة دقلو مع موسكو باتت مصدر توتر بينه والبرهان. ويعتقد المحتجون أن روسيا دعمت الانقلاب، ومرتزقة فاغنر، شركة التعهدات الأمنية هم جزء من خطة بوتين التوسع في أفريقيا، حسب تقارير غربية، كما في مجلة «فورين بوليسي» عن التوسع الروسي في مالي.

قلق إقليمي

وربما كانت تصريحات البرهان التي أشرنا إليها بالبداية جزءا من البحث عن الدعم، فكما يقول كاميرون هدسون الخبير بشؤون السودان بالمجلس الأطلنطي في مقال نشره على موقع المجلس (2022/4/12) فإن المدافعين عن السودان يحاولون البحث عن سبب يدفع باستئناف برامج تخفيف الدين بطريقة تقود إلى تجنب انهيار المالي المقبل وحدوث حالة طوارئ إنسانية. إلا أنه أشار إلى عدم الليونة في موقف العسكر. فمنذ انقلاب العام الماضي شنت قوات الأمن حملات قمع ضد قادة الاحتجاج والتي شملت التغييب والاعتقال واستهداف المتظاهرين بالنار، بل وهدد البرهان مبعوث السلام الأممي بالطرد لـ «كذبه علنا» وأنه لم يقدم إيجازا لمجلس الأمن عن التقدم الذي حصل في ظل الحكم العسكري. وفي الوقت الذي لم يخاطر أي من الداعمين في الخارج بتغيير موقفه من العسكر أو التحرك ضد إرادة الشعب السوداني إلا أن الوضع ربما تغير سريعا. وتشير سلسلة من اللقاءات الأخيرة في القاهرة والرياض وأبو ظبي إلى أن أصدقاء النظام في الخرطوم يفقدون صبرهم من الإنسداد السياسي والانهيار الاقتصادي المقبل ويبحثون عن طريقة لمنع حدوث هذا وإن كانت على حساب الطموحات الديمقراطية للشعب. وبالنسبة للشركاء الذين اشتروا عقارات في الخرطوم وحصصا تجارية بأسعار أقل من سعر في السوق في الأيام الأخيرة من حكم البشير، فإن انهيار السودان سيجلب معه الكوارث على استثماراتهم. وتخشى مصر التي لا تزال تنظر للسودان دولة تابعة لها من موجات هجرة إلى الشمال، وفوضى سياسية في حدودها الجنوبية. كما أن بقاء الخرطوم في نفس الاتجاه السياسي مع القاهرة أثناء المفاوضات حول سد النهضة العظيم، وهو أكبر تحد للسياسة الخارجية المصرية، سؤال مهم. ويرى هدسون أن الوضع السياسي في السودان جاهز لعملية سيئة السمعة تجريها النخبة وتبعد البلاد عن الحافة. إلا أن هذه العملية التي تحاول اختصار الطريق لن تقود في النهاية للحكم المدني أو الديمقراطي. وانتشرت في الأسابيع الماضية الشائعات حول إمكانية رئيس الوزراء السابق، حمدوك الذي يمكنه تهدئة الأسواق المالية. فالعودة للحكم المدني وحكومة التكنوقراط تعني وضع وجوه مقبولة للنظام، إلا أن هذه لن تؤدي إلى زحزحة سيطرة العسكر على الحكم، فالنقاش المثير للقلق حول إنشاء مجلس أمن ودفاع جديد، يعني استمرار سيطرة الجيش على الحكم. ولو حدث هذا فسيقود إلى انتخابات سريعة، يتوقع أن يفوز بها الجيش وحلفاؤه السياسيون. وستكون العملية بمثابة إضفاء الشرعية على المصالح الأمنية التي لم تتغير وداعميها من الخارج. وسيكون الخاسر الأكبر في العملية هو الشعب السوداني.

ولن تقبل الحركة الديمقراطية بأي صفقة تتم هندستها من الخارج، كل هذا لا يعني عدم استعداد الجيش وحلفائه السياسيين. ولم يفت الوقت لمنع سيناريو كهذا، إلا أنه يحتاج لتركيز طويل الأمد من الولايات المتحدة وشركائها وبناء تواصل حقيقي مع الشعب السوداني. وهي بحاجة مع المجتمع الدولي تذكير نفسها بأن الثورة السودانية لم تكن فقط عن إنهاء حكم البشير وحزبه بل عن التخلص من الفساد والعنصرية والنظام الشمولي. وبدلا من مطالبة الجيش اتخاذ خطوات لبناء الثقة على المجتمع الدولي تذكير رجاله أن أيامهم باتت معدودة وأن العودة إلى وضع ما قبل الانقلاب مستحيلة. كما وتحتاج واشنطن لتغيير رسالتها المزدوجة، فهي مع المحتجين لكنها تسكت عن الانتهاكات وقتل الأبرياء. وهي بحاجة إلى الاستماع لمطالب الشعب وتبني بياناتهم وليس الاستمرار في الكلام المعاد المكرر حول ضرورة العودة إلى العملية الانتقالية واتفاق جوبا. مع أن الشارع يطالب بطريقة جديدة. وربما حان الوقت لكي توازن الولايات المتحدة ما بين طاولة المفاوضات واتخاذ خطوات عقابية ضد الأفراد الذين يقودون الانتهاكات ويتربحون من الوضع الحالي. ولم يواجه أي من المتورطين في الوضع الحالي نتائج أفعالهم، وكل ما قامت به واشنطن هي خطوات رمزية، في وقت أظهرت فيه جهلا بما يجري على الأرض.

عودة الحرس القديم

ويعاني المطالبون بعودة الديمقراطية وخروج العسكر من مشكلة أخرى تتعلق بمظاهر عودة الحرس القديم إلى مؤسسات الدولة، فالبرهان وحميدتي وبقية النخبة الحاكمة كانوا جزءا من آلة البشير للبقاء في الحكم. إلا أن انقلاب العام الماضي سرع بعمليات إعادة الكثيرين من أعضاء حزب المؤتمر الوطني الذي تزعمه البشير، وهو ما كشف عنه تقرير في موقع «ميدل إيست آي» (2022/4/11) جاء فيه إن عمر البشير يقبع في السجن إلا أن مسؤولي حكومته بدأوا بالتسلل من جديد إلى المواقع البارزة في الحكومة التي يقودها الجيش الآن. لكن السؤال هو هل غادر رجال البشير الحكم حتى يتسللوا إليه من جديد؟ والجواب عليه يبدأ من رأس السلطة الحالية في الخرطوم اليوم. ولا حاجة لنا لذكر علاقة البرهان أو دقلو بالبشير. لكن ما هو جديد إصدار محكمة سودانية يوم الخميس الماضي براءة عدد من القادة الإسلاميين بمن فيهم عبد الله غندور، رئيس حزب المؤتمر الوطني نظرا لعدم توفر الأدلة. وأشار الموقع إلى أن البرهان الذي لا يملك قاعدة دعم شعبي بات يلوح بورقة الإسلاميين ويعيد الحرس القديم. وقدم الموقع قائمة بأسماء العائدين وحصل عليها من المعارضة. وبالمحصلة عندما انتفض السودانيون قبل 3 أعوام ضد ديكتاتورهم حلموا بالسلام والازدهار، ولكنهم يواجهون بعد انقلابين أزمة سياسية وانكماشا في الاقتصاد وزيادة في العنف.

Volume 33 - Issue 10597 Sunday 17 April 2022

العسكر للتسول وبيع ما تبقى من أصول البلاد

السودان: «الحرية والتغيير» تطالب بإطلاق المعتقلين
ووقف العنف والبرهان نحو تهيئة مناخ الحوار

الخرطوم – وكالات – «القدس العربي»:

أعلن رئيس مجلس السيادة السوداني عبد الفتاح البرهان، أنه سيتم الإفراج عن المعتقلين السياسيين «خلال يومين أو ثلاثة» بهدف تهيئة مناخ الحوار في البلاد.

وقال البرهان إنه عقد اجتماعا مع النائب العام ورئيس القضاء لـ«دراسة الوضع القانوني للمعتقلين وتسريع الإجراءات الخاصة بهم» وفق بيان نشره مجلس السيادة، في وقت متأخر مساء الجمعة.

وأضاف: «شرعنا في إجراءات إطلاق سراح المعتقلين السياسيين (لم يحدد عددهم) سيكونون طلقاء خلال يومين أو ثلاثة، لتهيئة المناخ للحوار وليساهموا مع الآخرين في تحقيق الوفاق».

كما ذكر البرهان وهو قائد الجيش، أنه «وجه الأجهزة المختصة بمراجعة حالة الطوارئ والإبقاء على بعض البنود التي تستهدف الأمن الوطني والاقتصاد».

وأعرب عن «استعداد الجيش للتنحي وتسليم السلطة للمدنيين حال حدوث توافق بين القوى السياسية».

وتابع: «نريد للمرحلة الانتقالية أن تمر بسلام وتوافق وتراض بين الجميع. هناك الكثير من المبادرات والرؤى مطروحة، فالقوات المسلحة ليس لديها مانع في قبولها».

وكان نائب رئيس مجلس السيادة السوداني محمد حمدان دقلو «حميدتي» دعا الجمعة، القوى السياسية في البلاد إلى التوحد قبل الذهاب إلى عملية الانتخابات.

جاء ذلك خلال إلقائه خطابا عقب إفطار نظمته «منظمة شباب البناء والتعمير» في العاصمة الخرطوم.

وقال حميدتي: «نحن من أنصار تحقيق الوفاق، البلاد لا تتقدم إلا بالانتخابات، ولا نريد أن ندخل الانتخابات وبيننا خلاف، بل نريد الذهاب إليها ونحن متفقون».

وأضاف: «لا نرفض الوفاق، والدليل بأننا لم نأتِ برئيس وزراء للحكومة».

وأشار إلى «وجود متاريس وعقبات تحول دون قيام مجلس السيادة بأدواره لتحسين الخدمات للمواطنين».

وأعرب عن اعتذاره «للمواطنين في العاصمة الخرطوم الذين لا يجدون مياها و(لا) كهرباء».

وتشهد مناطق واسعة بالخرطوم انقطاع خدمتي الكهرباء والمياه منذ بداية شهر رمضان، في ظل احتجاجات وتذمر من المواطنين.

وتابع «هناك متاريس موضوعة أمام مجلس السيادة، هذه البلاد أعدادها كثر» في إشارة إلى من يعرقلون دور المجلس، دون أن يسمي أشخاصا أو جهات.

والخميس، شددت قوى الحرية والتغيير، الائتلاف الحاكم سابقا، على أنها لن تمضي في أي عملية سياسية دون إطلاق سراح المعتقلين وإلغاء حالة الطوارئ ووقف «قمع المتظاهرين».

جاء ذلك في مؤتمر صحافي للائتلاف الحاكم سابقا بالخرطوم.

وقال القيادي بالحرية والتغيير شريف محمد عثمان خلال المؤتمر، إن «وفدا من القوى التقى رئيس البعثة الأممية (يونيتامس) فولكر بيرتس، ومبعوث الاتحاد الأفريقي محمد حسن ولد لبات، ومبعوث الهيئة الحكومية إيقاد إسماعيل وايس، وتم طرح رؤيتهم للعملية السياسية للسودان».

وذكر عثمان، أن «الآلية المشتركة للأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وإيقاد دعت إلى عقد اجتماع مشترك لكل أطراف الأزمة في السودان، وطالبت بأن تعلن الحرية والتغيير رأيها بالأطراف المشاركة في الاجتماع».

وأضاف: «أخبرناهم أن الحرية والتغيير ستدرس هذا الأمر وترد عليه كتابةً خلال الأيام المقبلة».

واستدرك: «الحرية والتغيير لن تمضي في أي عملية سياسية ما لم تتحقق شروط تتمثل في إطلاق سراح كل المعتقلين السياسيين وإلغاء حالة الطوارئ وإيقاف العنف تجاه المتظاهرين السلميين».

وأكد أن الحرية والتغيير «ماضية في تحقيق هدفها بإسقاط انقلاب 25 تشرين الأول/اكتوبر».

وتتهم قوى المعارضة ومنظمات حقوقية السلطات باعتقال قادة سياسيين وعشرات النشطاء في «لجان المقاومة» التي تشارك في تنظيم احتجاجات مستمرة تطالب بـ«حكم مدني ديمقراطي كامل» لكن السلطات عادة ما تقول إن «توقيف بعض الأشخاص يتم بواسطة السلطات القضائية التي تتمتع باستقلالية كاملة».

والثلاثاء، طرحت الآلية الثلاثية للأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي والهيئة الحكومية للتنمية بشرق أفريقيا «إيقاد» أربعة محاور أساسية لحل الأزمة السياسية بالسودان.

والمحاور الأربعة هي «ترتيبات دستورية، وتحديد معايير لاختيار رئيس الحكومة والوزراء، وبلورة برنامج عمل يتصدى للاحتياجات العاجلة للمواطنين، وصياغة خطة محكمة ودقيقة زمنيا لتنظيم انتخابات حرة ونزيهة».

حوار

عالم الاجتماع الليبي الدكتور مصطفى عمر التير: من تولوا الأمور بعد 2011 تخرجوا من مدرسة القذافي

حاوره: رشيد خشانة

اعتبر عالم الاجتماع الليبي الدكتور مصطفى عمر التير أن الليبيين لم يستطيعوا إرساء نظام سياسي يعتمد على معيار الكفاءة. وحذر في حوار مع «القدس العربي» من انتشار الفساد حاليا في ليبيا على نطاق أوسع من الماضي. والدكتور التير باحث نال شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة مينيسوتا الأمريكية (1971) ودرّس في جامعات ليبية وأمريكية مختلفة، وكان مديرًا لمعهد الإنماء العربي. كما أصدر عدة مؤلفات في علم الاجتماع، من أشهرها كتابه «صراع الخيمة والقصر: رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي».
وهنا نص الحوار.

○ تدخل أخيرا وجهاء مدينة مصراتة لمنع اندلاع قتال بين أنصار عبد الحميد الدبيبة والموالين لفتحي باشاغا في مداخل طرابلس، فهل ما زال لهذه القيادات التقليدية دور في حياة المجتمع السياسية؟

● دورٌ ضعيف جدا، لكن فعلا في طرابلس يبدو أن هؤلاء هم من منع الصدام، وأن الطرف الذي انسحب كان يعلم أنه لا يملك نفس الثقل من القوة.

والخطير في الموضوع أن الطرفين من مصراتة (شمال وسط) وهذا يدلُّ على انقسام في المدينة التي هي ثالث المدن الليبية. وهناك من يقول إذا ما حدث ذلك الانقسام الكبير بين زعامتين، ستغدو الطريق سالكة أمام اللواء خليفة حفتر ليغزو العاصمة، وهذه مشكلة عويصة.

○ وكيف تصف الوضع في طرابلس؟

● سيءٌ للغاية. ونحن نسمع عن حكومة وطنية قيل إنها ستدخل إلى طرابلس، لكن العاصمة ليست كل ليبيا، فالبلد فسيح، وهذه الحكومة قامت على محاصصة فكل مسؤول يضع أتباعه في وظائف هامة. وبالرغم من أننا في القرن الحادي والعشرين لم نستطع أن نُرسي نظاما سياسيا يعتمد على معيار الكفاءة، لذلك ليست هناك مؤسسات. والنتيجة أن كل فرد يجتهد من ناحيته، والاجتهاد موجهٌ في غالب الأحيان إلى المصلحة الشخصية.

ومن الأمثلة على ذلك أن الدولة اشترت أخيرا مصحة في بنغازي من أحد رجال الأعمال، بينما هي تمتلك شبكة كبيرة من المستشفيات، وكان الأحرى بها أن تُرممها وتُجددها. من هنا نُدرك أن أكبر نجاح حققه معمر القذافي هو خلخلة القيم ومسح مفهوم الوطن واختزاله في شخصه. وعندما غاب الشخص لم يعد هناك وطن، فأنت لا تشعر لدى المسؤولين بالحرص على الحفاظ على ذاك الوطن. صحيح أن هناك مشاريع تُنجز لكن فتش دوما عن الفساد الذي يُحيل تلك المشاريع إلى المصالح الخاصة.

○ عدا الفساد ما هي مشاكل ليبيا الأخرى؟

● المشكل الثاني في ليبيا اليوم إلى جانب الفساد الإداري وضعف الحوكمة، هو ارتفاع منسوب الكراهية بين أبناء البلد الواحد، فهي منتشرة في برامج القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية والصحف وأيضا في مواقع التواصل الاجتماعي. ونلاحظ أن تلك المواقع لعبت دورا كبيرا في نشر «ثقافة الكراهية» إذا ما اعتبرناها ثقافة، ففي مجتمعنا لم يكن مثل هذه الانحرافات موجودا. كانت منتشرة في المجتمعات الغربية بين السود والبيض على سبيل المثال، وبين الوافدين والسكان الأصليين. هذا لا يعني أن القبائل الليبية ليست بينها خلافات ولكنها ليست بهذا الحجم، ربما لأنها كانت تدور حول مسائل بسيطة. وخلال تلك الخلافات يتدخل رؤساء القبائل بالصلح. لكن عندما يصل شخص إلى السلطة يُصبح أهم من شيخ القبيلة في نظر قبيلته، لأنه هو من يستطيع توزيع العطاءات على أعيان القبيلة.

○ من الذي أوصل ليبيا إلى هذا المأزق؟

● الليبيون أنفسهم...

○ هل تقصد النخب؟

● لا ليست في ليبيا نُخبٌ بالمعنى الدقيق، لأن نظام معمر القذافي لم يُنتج نُخبا سياسية، وفكك الدولة ودمر المجتمع. والذين تولوا الأمور بعد 2011 هم المتخرجون من المدرسة نفسها طيلة أكثر من أربعة عقود. ومن يحكم اليوم هي الميليشيات. حتى النظام التعليمي تم إفراغه وتدميره. ففي ظل الملكية كان المتفوقون يُبتعثون إلى الخارج، للدراسة في أكبر الجامعات العالمية، وخاصة إلى الجامعات الأمريكية والبريطانية، ويُشترط فيهم أن يكونوا من الصف الأول حتى يُوافق على ابتعاثهم.

لذلك عند الاستقلال (1951) كان هناك حكام يؤمنون بمشروع اسمه الوطن، لكن لم يسمح النظام السابق لهذه الفئة بأن تشاركه في الحكم. والذين استولوا على السلطة بعد الانقلاب العسكري في 1969 كانوا ضباطا صغارا لم يُؤتوا من العلم إلا قليلا، فقد تعلموا في مدرسة محلية لمدة سنتين فقط بعد الثانوية، ومع ذلك اعتبروا أنفسهم الصفوة. واعتبر القذافي نفسه مفكرا ومُنظرا ومعلما، وأزاح المثقفين الحقيقيين، في مقابل إبراز عناصر اللجان الثورية. ولما أرسلت عناصر من تلك اللجان للدراسة في الخارج لم يستطيعوا مسايرة المستوى الأكاديمي فراحوا يدرسون في جامعات المعسكر الشرقي وكان مستواهم ضعيفا. لهذا عندما يُعلق البعض كل شيء على مشجب التدخل الخارجي أقول صحيحٌ هناك تدخل لكن الليبيين هم المسؤولون عما يحدث لبلدهم.

○ في كتابك «صراع الخيمة والقصر: رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي» ركزت على إبراز تأثير الحكم الاستبدادي في خلخلة المجتمع وضرب قيمه، كيف وصلت إلى هذه الاستنتاجات؟

● هذا الكتاب يتطرق إلى مسيرة تحديث المجتمع الليبي، وهي مسيرة أدعي أنها بدأت على نطاق ضيق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واقتُطعت منها حقبة معينة، وهي الحقبة التي بدأت بالانقلاب العسكري في اليوم الأول من أيلول/سبتمبر 1969 والذي أطلق عليه من قاموا به اسم «ثورة الفاتح». وقد نفذ الانقلاب حفنة من صغار ضباط الجيش بقيادة ملازم ثان اسمه معمر محمد عبد السلام أبو منيار.

له هو وحده الحق في استخدام المال العام كيفما شاء، تحدُّثُ أشياء كثيرة، وأهمها القدرة على شراء كم هائل من الذمم، لاستخدامها لصالح الحاكم وليس المجتمع.

○ واليوم كيف يمكن إدخال إصلاحات جذرية على الاقتصاد للحد من التبذير ومن تبديد المال العام؟

● أحد مشاكل ليبيا الكبرى أن اقتصادها ريعي، والمُتسبب في ذلك هو معمر القذافي الذي ألغى القطاع الخاص بالكامل وحول الجميع إلى موظفين لدى الدولة، وصارت الدولة أكبر مُشغل، بل وبإتت تُشغل حتى من ليس لديهم عملٌ محدد. اكتشفنا لاحقا أن هناك من يتقاضى خمسة رواتب في الشهر، وهناك أطفال موظفون ويتقاضون رواتب، وموتى تُخصص لهم رواتب أيضا.

○ ألم يتغير الوضع بعد 2011؟

● تطرقتُ لهذه الظواهر في كتاباتي بناء على ملفات، وأملك ملفات أخرى، لكني لا أستطيع نشرها الآن خوفا على سلامتي. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن الفساد بدأ ينتشر في الفترة الأخيرة من حكم القذافي، وقد تضاعف اليوم عشر مرات عما كان عليه في ظل النظام السابق. ولهذا السبب تُصنف ليبيا في أسفل سلم النماء وجودة الحياة في العالم، وفي مقدم تصنيفات الدول الفاشلة، لأنها فعلا دولة فاشلة.

○ تتخاصم حاليا حكومتان على حكم البلاد، ألا ترى أن الأزمة السياسية في ليبيا هي بالأساس أزمة شرعية، لأن الجميع يفتقر إليها؟

● هناك دوما مبررات شرعية لأية حكومة، لكننا لا نملك أية قطعة من الشرع لأننا نستمد شرعيتنا من الخارج ونبحث عن اعتراف الأمم المتحدة بنا. ولو سلم القذافي الأب الحكم لابنه بطريقة سلسة لاحتاج الأخير أيضا لتلك الشرعية الخارجية.

○ ماذا تعرف عن سيف الإسلام القذافي؟

● هو مختلف عن والده تعليما وثقافة. لكن الأب لم يكن يسمح لأحد بأن يكون مُتميزا حتى لو كان نجله. لذلك فتح أمامه الأبواب للالتحاق بالجامعة، لكن لما أصبحت له شعبية بين الشباب أزاحه بطريقة مُهينة. وهذا هو الأسلوب الذي يتعاطى به مع أبنائه، فهم يُنادونه سيدي وليس بابا كباقي الأطفال.

○ كيف سلمه إذا مشروع «ليبيا الغد» وائتمنه على الحوار مع المتشددين الدينيين في السجون إذا كان لا يثق فيه كما ذكرت؟

● هذه قصة أخرى فقد أقام معهم علاقة مهدت للإفراج عنهم، لكن لما قرر القذافي الأب إنهاء العملية انتهت بسرعة. وأعتقد أن سيف ظن في فترة من الفترات أنه سيكون الوريث، ومن أجل ذلك يجب أن يكون مقبولا من الغرب، والغرب كان قابلا أيضا بهذا البديل.

○ هل تعرفت إلى المجموعة التي كانت تُدير الدولة مع القذافي؟

● بلى، عرفتهم مُذ كانوا في الثانوية، ومنهم القذافي وعبد السلام جلود، ولم تنشأ بيني وبينهم صداقة لأنهم كانوا ينتمون للمجموعة التي صنفتنا في خانة «الرجعيين». وكان معروفا أني مع بعض أصدقائي نحمل رأيا مخالفا، وأجرينا مناقشات مع القذافي ومع الآخرين ولم نتفق. بعد ذلك انضم بعضنا إلى النظام وصاروا وزراء، أما أنا والآخرون فبقينا خارج الحكم، لأننا لم نكن نحمل تطلعات أخرى.

○ هل تعرضت لمضايقات لكونك حافظت على استقلالك؟

● في إحدى المناسبات كنت ألقي محاضرة في «مركز الجهاد الليبي» فاستفزني أحدهم وصاح «العظمة... العظمة» وكان يقصد الجماهيرية العظمى، فأجبتُهُ بأنني لم أر هذه العظمة إلا في ثلاثة أشياء هي الفوضى وكثرة الكلام والكناسة. وبعد تلك الجلسة خاطبني بالهاتف وزير الداخلة محمد المصراتي، مستفسرا، وكان طالبا في القانون لما كنت رئيسا للجامعة. لكن عموما لم يظلمني أحد، وبطبعي لم يكن لدي طموح أن أصبح وزيرا أو مسؤولا في الدولة، إذ رفضت المناصب مع عدد من زملائي، ولم تُقطع معاشاتنا بل بقينا محترمين. كان هناك أفراد مثل حالتي لديهم هامش صغير يلعبون فيه، بشرط ألا ينضموا إلى مجموعات، فالقذافي كان يخشى المجموعات، مثل جماعات التشدد الديني، الذين كان يخاف منهم كثيرا وقد أدخلهم السجون، وكذلك قليل من جماعة اليسار الذين سجنهم أيضا، فقد كان هناك ظلمٌ في الحبس وقمع شديد.

○ في المجال الأكاديمي كنت من مؤسسي الجمعية العربية للعلوم الاجتماعية في 1985 التي ترأسها الباحث الراحل عبد الباسط عبد المعطي (1943–2010) فماذا أنجزت الجمعية على صعيد مُراكمة الخبرات البحثية؟

● أنا توليتُ رئاستها بعد المرحوم عبد الباسط، وبقيتُ على رأسها عشر سنوات، قبل أن يتسلمها مني الدكتور خلدون النقيب. وبصراحة لم يكن للجمعية دورٌ في تطوير البحث في العلوم الاجتماعية، بقدر ما كان لها دور في التقريب بين علماء الاجتماع العرب والتعريف بأعمالهم، بالإضافة لدورها الهام في تأطير الطلاب الجدد لدى إعداد أطروحاتهم. ومن تقاليدنا في الجمعية أن نلتقي سنويا في إطار أطلقنا عليه اسم «لقاء الأجيال» وكان يجمع طلابا وطالبات مع أساتذة من مختلف البلاد العربية، لكي يُقدموا مشاريعهم البحثية ويستمعوا إلى مناقشات الأساتذة لمضامينها. وساهم هذا الإطار في تقريب الشقة خاصة بين الجزائريين والتونسيين والليبيين والمغاربة، فأصبحنا أصدقاء، لكننا لم ننجح كثيرا في جلب زملائنا المشارقة.

الفساد تضاعف عشر مرات ما كان عليه في ظل النظام السابق

هناك تدخل لكن الليبيين هم المسؤولون عما يحدث لبلدهم

حريات

اللبنانيون إلى صناديق الاقتراع:
أرقام ساقطة وأوراق ممزقة وأيادٍ مكبلة تحت عباءة الديمقراطية

رلى موفّق

في الأنظمة الديمقراطية، يكون الكلام عن دور الانتخابات وتأثيرها على مستقبل الشعوب والدول والكيانات والقضايا المصيرية له معنى ملموس وحقيقي. في حالة لبنان الذي يتغنّى بنظامه الديمقراطي في محيطه العربي، تغيبُ وظيفة الانتخابات. هي أساساً وسيلة لتحقيق مشاركة الشعب في صنع القرار وإدارة الشأن العام والوطني. يتمّ ذلك من خلال اختيار ممثلين عنهم لأداء هذه المهمة، فإذا أخفقت الطبقة الحاكمة، تتمُّ محاسبتها في صندوقة الاقتراع عبر تجديد النُخب السياسية. غير أن هذا الاستحقاق الدستوري تحوَّل إلى عملية تجديد للطبقة السياسية ذاتها المتحكمة بالسلطة لعقود خلت، بحيث بات دور الناخب مقتصراً على إضفاء الشرعية لاستمرار وجودها في جنّة الحكم.

اعتبر كثيرون أن «ثورة 17 تشرين» أدخلت وقائع جديدة على المشهد، وأن هذه «الثورة» أو «الحراك» أظهرت تبدلات في المزاج الشعبي، فشعار «كُلّن يعني كُلّن» أضحى متداولاً على ألسنة الصغار والكبار، يُجاهر كلٌّ منهم بـه رغم أنه يُدين زعيمه بوصفه جزءاً من المنظومة. خرجتِ الناسُ إلى الشوارع والساحات مطالبةً بالتغيير. ارتفع منسوب الاعتراض الشعبي على تدني مستوى الوضع المعيشي والحياتي. صبَّت الناس غضبها على القيادات السياسية التي تُدير البلاد، وتجرّأت على الزعامات. مَنْ لا يتذكر صور الزعماء التي عُلّقت على المشانق والتي لم تستثنِ أحداً؟ ذلك الغضب كان يُعبِّر عن رغبةٍ جامحة في خلق نخب جديدة تكون بديلاً لـ«المنظومة» التي يريدون محاسبتها ومحاكمتها. عبَّرت كلمة «المنظومة» على مدى السنتين والنصف الماضيتين عن طبيعة الهدف. دلّت على «العدو» أو «الخصم» الذي تتم مواجهته لإسقاطه في الشارع أو في صناديق الاقتراع.

لم تقلب «الحركة الاحتجاجية» في الشارع الأمور رأساً على عقب. تماهى معها رئيس الحكومة آنذاك سعد الحريري بأن استقال. لكن استقالته لم تُحدث التغيير المنشود، بل نظر الأفرقاء السياسيون، على الضفة الأخرى من نظام المحاصصة الطائفية، إلى الاستقالة على أنها فعل خيانة للتسوية السياسية عام 2016 التي فاقمت من الخلل في موازين القوى لمصلحة إيران وأطاحت بمرتكزات التوازن الداخلي والخارجي الذي كان يحكم البلد. بعد تحرك الشارع، أطلّ الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله بوصفه «مرشد الجمهورية» ورئيس البلاد الفعلي ليُعلن أنه الحامي للتركيبة الحاكمة.

القيادة من الخلف

تراجعت المنظومة إلى «القيادة من الخَلْف» عبر تشكيل حكومة تكنوقراط برئاسة حسان دياب علّها تمتصّ النقمة، لكنها عمّقت الأزمة بعجز أدائها وسياساتها الخاطئة وغياب الغطاء العربي عنها، فزاد الانهيار الاقتصادي – المالي ما كان يُنبئ بانفجار اجتماعي آت لا محالة. جاء تفجير المرفأ في 4 آب/أغسطس 2020 الذي دمَّر نصف العاصمة ليزيد الاحتقان ويُطيح بالحكومة. هبَّ العالم لنجدة بيروت بمساعدات إنسانية بفعل هول الحدث. وأسهم الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في تقديم دور الحامي للمنظومة حين خاطب اللبنانيين الغاضبين بأنهم هم مَن أتوا بنوابهم إلى البرلمان مصدر السلطات، وأن عليهم أن يُغيِّروا في صناديق الاقتراع.

هي صناديق الاقتراع التي ستُفتح في 15 أيار/مايو المقبل في انتخابات نيابية أصرَّ عليها المجتمع الدولي وهدد بفرض عقوبات على كل مَن تسوّل له نفسه التفكير بتطييرها. لكن هذا المجتمع الدولي الذي حمل العصا منادياً بضرورة إجراء الانتخابات في موعدها وبالحاجة إلى التغيير، أمعن في الوقت ذاته بتقديم الجزرة للمنظومة نفسها من خلال ضمان عودتها من جديد مكلّلة بشرعية لسنوات أربع مقبلة. ذلك أن عواصم القرار، من واشنطن إلى باريس وبروكسل، تعلم علم اليقين أن الأرضية ليست مهيّأة لانتخابات نزيهة وشفّافة. فلا هي ضغطت من أجل إصلاحات انتخابية بدءاً من إقرار قانون انتخاب جديد بديلاً للقانون الحالي الذي يُعمّق الانقسام والطائفية وفُصّل على قياس قوى معينة لضمان فوزها، ولا عملت على ضمان أمن الناخبين لتصويت حر، بعيداً عن سطوة السلاح وتأثيره، ولا سيما في مناطق نفوذ «حزب الله» حيث الكلمة العليا له في حضرة دولة «شاهد ما شفش حاجة». ولا ساهمت عواصم القرار في تمويل تنفيذ إصلاحات مقررة سابقاً مثل مكننة الانتخابات وإنشاء «الميغا سنتر» الذي يُمكّن الناخب من أن ينتخبَ في مكان سكنه من دون الحاجة للانتقال إلى مسقط رأسه، متكبّداً مشقة المسافات الطويلة والتكاليف المالية والضغوطات التي تُمارس عليه من محيطه الاجتماعي، ولا هي عملتْ على تقديم تمويل مالي لهيئة الإشراف على الانتخابات لتأمين مراقبة فعلية على العملية الانتخابية، خصوصاً أن الموازنة التي رُصدت للهيئة متواضعة جداً (18 مليون دولار مقارنة مع 54 مليون دولار عام 2018) بحجة عجز مالية الدولة.

المجتمع الدولي قاطبة، المصرّ على تعزيز المسار الديمقراطي في لبنان من بوابة الانتخابات، يُدرك ملياً أن هذا الهدف لا يتحقق مع سطوة «صناديق الإعاشات» و«المازوت الانتخابي» للناخبين الذين فقدوا أدنى مقومات الحياة، ولا نزاهة مع انفلات «المال السياسي» وغياب شفافية الصرف الانتخابي والترويجي والإعلامي. ولا يكفي أن تأتي هيئات رقابية أممية ليوم الانتخابات تجول مثل السائحين في المناطق لتوفير شرعية دولية للاستحقاق الديمقراطي بشكل الصوري. فيوم الانتخاب ليس سوى صدى لما سبقه من زرع، ليس بالضرورة زرعاً صالحاً، بل هو في أغلبه زرع مسموم أبشع ما فيه حملات التحريض الطائفية والمذهبية الجاهزة لحرق الأخضر واليابس كرمى عيون الفوز بمقعد هنا أو هناك، أو الحصول على أكثرية لا تُجيَّر في خدمة نظام المصلحة العامة بغية تحقيق مسارات التنمية والازدهار للمجتمع، بل في خدمة مصالح سياسية ضيّقة داخلية وأجندات خارجية تحوّل البلاد والعباد إلى ساحة لتعزيز نفوذها وأوراقها وخططها وسياساتها الاستراتيجية.

تواطؤ على التغيير

وعليه، تصبح الانتخابات – في ظل هكذا واقع – عملية تواطؤ، وتحالف ضمني بين هذا المجتمع الدولي العالم بالحقائق وبين الطبقة السياسية المتنفذة التي تتسم بالوقاحة، وهو الانطباع السائد لدى شرائح واسعة من اللبنانيين سواء اقترعوا أو انكفأوا عن التصويت في يوم الاقتراع، فهم يُدركون أنهم عاجزون عن إحداث تغيير.

خرجتِ الناسُ إلى الشوارع والساحات مطالبة بالتغيير

يقول مؤلف كتاب «وظيفة الانتخابات النيابية في لبنان» الدكتور أنطوان ساروفيم: «إنه في مسارنا السياسي حوَّلتنا الانتخابات إلى دمى متحركة». و«حوَّلت الناخب إلى رقم، يُضاف إلى أرقام كثيرة، والرقم قد يُحذف، وقد يسقط، وقد يُستعمل في أي رصيد في عمليتي البيع والشراء» و«الورقة التي يُسقطها الناخب في صندوقة الاقتراع، ليست إلا الناخب نفسه، لقد تحوَّل إلى ورقة. إنها ورقة تحمل ورقة، لا تُستعمل إلا مرّة واحدة، كتلك التي نستعملها عندما نحضر فيلماً سينمائياً، أو عند ركوب قطار، ومن بعدها تتمزّق الأوراق».

الناخبون على اختلاف مشاربهم وطوائفهم ومذاهبهم هم أرقام تُستخدم كل أربع سنوات لتمديد شرعية نخبهم السياسية المتصادمة حيناً، والمتعايشة حيناً آخر، والحامية لبعضها البعض في كل الأوقات، على قاعدة «بقائي من بقائك». الناخبون أوراق تُستخدم لمرة كل أربع سنوات لتكريس زعمائهم الذين لا يُساءلون ولا يُحاسبون ما داموا هم يوفرون الحماية للجماعات في طوائف خائفة من بعضها البعض، ومناطق تأبى الانفتاح كي لا يأكلها القادمون الجدد الذين يُنظر إليهم على أنهم غزاة وأصحاب مشاريع استقوائية وإلغائية للآخر في بلد يحمل سمة التعددية. هنا تصبح الأسئلة مشروعة: كيف يمكن بناء وطن تخاف فيه الأقليات من أكثريات إن حكمت، وتشعر الأكثريات بالغبن من أقليات رُسم على مقاسها الوطن لضمان حمايتها؟ كيف يمكن لمواطنين أن يعيشوا المواطنة فيما هم ليسوا متساوين أمام القانون، ولا ينظرون إلى الدولة بنفس المنظار، ولا يرون فيها الحامي والضامن، ولا يحملون نفس المفاهيم والرؤى، ولا يملكون الإرادة والرغبة للعبور إلى الدولة الواحدة؟ لقد بات لافتاً حجم الانكفاءات للجماعات اللبنانية بحيث تقوى حالة الجموح الداخلي لتأمين مقومات الكيانات والكانتونات والفيدراليات.

ضياع الفرصة

كان الرهان على القوى التغييرية التي قدَّمت نفسها على أنها وليدة «ثورة 17 تشرين» أو رافدة لها أو متماهية معها. استطاعت أن تهز كيان الجالسين على الكراسي، لكنها لم تفلح في خلق قيادة على الأرض قادرة على إدارة الجماهير نحو الهدف السياسي المنشود. التقطت الطبقة السياسية أنفاسها فيما كان نَفَسُ الحراك يتلاشى. تحولت إلى مجموعات لا تحمل رؤية مشتركة حول لبنان الغد الذي نريد. كان المطلوب رفع عنوان جامع اسمه استعادة الدولة. فالمطلوب أولاً استعادة الدولة ومؤسساتها من سلطة المافيا – الميليشيا كخطوة أولى نحو إعادة بناء الدولة عبر تطبيق القانون والدستور الذي ما زال ينتظر استكمال تنفيذ بنوده التي جرى الاتفاق عليها في «وثيقة الوفاق الوطني» في الطائف عام 1989 وهو الدستور الذي يضم في نصوصه آليه تطويره عبر اعتماد خطوات تمهيدية وإجراءات تدريجية نحو إلغاء الطائفية السياسية بما يأخذ اللبنانيين مجتمعين إلى دولة مواطنة بديلاً عن نظام المحاصصة في دولة فيدراليات الطوائف. مع اقتراب الانتخابات تشتتت قوى ما يسمى بـ«مجموعات الثورة» بدل أن تتّحد. سقط كثير من الأسماء في فخ «الأنا» المدمرة واللاهثة وراء لقب «سعادة النائب» أو نجومية زائفة. لم تنجح القوى التغييرية في تأليف لوائح موحدة على مستوى الوطن تُشكّل ما يشبه «تسونامي» انتخابي بحيث يكون للصوت صداه، وللورقة في صندوقة الاقتراع فعلها التغييري ووظيفتها في المحاسبة. أقصى ما يمكن أن يحصل في الاستحقاق حصول اختراقات محدودة.

تامين شرعية «المحور»

معركة الحفاظ على الأكثرية النيابية التي يتولاها نصر الله شخصياً، والذي بات ضامناً لها مع تعليق «تيار المستقبل» بزعامة سعد الحريري العمل السياسي،

الأرضية ليست مهيّأة لانتخابات نزيهة وشفّافة

لا تنطلق من حسابات لبنانية تهدف إلى تكوين سلطة جديدة تحمل برنامجاً إنقاذياً للأزمة الاقتصادية – المالية التي تغرق فيها البلاد، إنما هدفها هو إعادة تأمين الغطاء الشرعي لـ«المحور الإيراني» الذي يمثله وحلفاؤه، وذلك لحسابات ما فوق لبنانية ترتبط بحاجات المشروع الاستراتيجي لطهران وتمدد نفوذها في المنطقة، في وقت عاد الغريق المقابل للاتكاء على العنوان السيادي وحصرية السلاح بيد الجيش اللبناني لشد العصب الانتخابي بعدما كان وضعه جانباً لسنوات لضرورات الانخراط في التسوية السياسية، فيما بعض القوى التي كانت تدور في فلك «14 آذار» سابقاً ورفضت التسوية، حافظت على أدبيات مواجهة هيمنة الدويلة على الدولة، وتخوض الاستحقاق بسقف سياسي عالي النبرة.

تذهب مراكز الإحصاءات الانتخابية إلى اعتبار أن نحو 110 مقاعد نيابية من أصل 128 مقعداً هو مجموع البرلمان بات محسوماً، بمعنى أن معارك اللوائح تدور حول 18 مقعداً في 15 دائرة، ربما تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً لكنها لن تكون نسبة قادرة على إحداث تحوّلات في حياة اللبنانيين الذين ينتظرهم صيف حار وشدائد أكبر مما يعيشونه اليوم.

بعد 15 أيار/مايو، لن تعود الطبقة السياسية بحاجة إلى كبح جماح الانهيار خوفاً من تصويت عقابي. فعلى صدى كلمات «إلى اللقاء في الانتخابات المقبلة» سيدخل اللبنانيون كأرقام ساقطة وأوراق ممزقة إلى الكارثة المنتظرة. سيكون هناك من يقول: هذا نتاج ما فعلته أيادي الناخبين. وسيكون هناك من يسأل: هل كانت أياديهم حرة أم مكبلة تحت عباءة الديمقراطية؟

كتب

رواية السورية ابتسام تريسي «سلّم إلى السماء»: ترميم الذات بألوان تحفظ رائحة المكان

المثنى الشيخ عطية

كما في كل الفنون، لا يتوقف الكتّاب ويتبعُهم قرّاؤهم، عن توليد الطاقة التي تساعد الكاتب نفسه، ومن ثم القارئ الذي يحلّ محله، على الحياة، إن كان العمل مميزاً بقوة التأثير، سواء بترميم الذات المجروحة بسكاكين الواقع والآخرين، أو التشافي من آثار لوم النفس وجَلْدها على ما ارتكبت وما لم ترتكب، أو حتى الانتشال من كآبة انسداد المخارج بشباك العجز، وربما الإنقاذ حتى من تخييم ليل فكرة الانتحار.

وتزيد قدرة الكتّاب على التأثير عندما يراكبون بغموض الجمال الحديثَ عن الأفعال ورودهـا، وما يستتر داخل الشخصيات، مع فعل الكتابة نفسه، سواء بخلق الثيمات الخاصة المستقاة من تلاقي الأحداث والطبيعة، أو بإقامة التداخل مع أعمال فنية خاضت في أنهار ذاتِ الموضوعات، تفاعلاً متضاداً أو متناغماً أو متشابكاً بإثارات تساؤلات التناغم والتضاد. وتنجح إقامات التراكب والتداخل هذه بصور مثيرة عندما يكون الأبطال أنفسهم روائيون أو فنانون أو شعراء يكتبون الرواية داخل الرواية.

رواية السورية ابتسام تريسي «سلّم إلى السماء» من الأعمال الأدبية التي لا تكتفي بتوليد الطاقة من خلال رواية أحداثٍ تمرّ وشخصيات تعيشها فحسب، وإنما تزيد توليدها بتداخلٍ مزدوج، من ذاتِ بطلتها الرسامة المعجونة بالطبيعة إلى درجة محاولاتها تزويد اللون بالرائحة، ومن أعمال فنانين آخرين يمرّ منهم بيكاسو في لوحة عازف القيثار العجوز من مرحلته الزرقاء، وأماديو الذي اشتهر بصور الطفل الباكي، ورامبرانت بعاصفة بحر الجليل التي تصور تهدئة المسيح للعاصفة؛ والشاعر الألماني شيلر في كتابه عن فلسفة الجمال، وسيرفانتس مع طواحينه وفرسانه ونسائه المعشوقات والعاشقات.

وقد ساعد تريسي في ألا يكون هذا التداخل الغني إثقالاً للرواية اختياراً بطلتها المتشظية بطعنات الواقع، ورحى سحق النساء بالاغتصاب في أحداث الثورة السورية، والعادات التي تجبر الأهل على وأد بناتهم بزواجات المصالح وخوف الفضائح، ونذالات الأزواج الذكوريين التي تتجاوز سحق شخصية الأنثى إلى القتل. مع وقوع هذه البطلة المعرضة للسحق في الذهان ونهش الكوابيس، وأمراض الروح التي تصرخ مترجمة ألمها من خلال جسدها، بالإضافة إلى روحها الشفافة التي لا تجعلها أسيرة الحب فحسب وإنما توقعها كذلك في مرض العشق. ويبرر التداخل الغني نفسه وبالأخص ما يتعلق بالثقافة من خلال موهبة وثقافة البطلة نفسها كفنانة ومثقفة تصل في سعيها للتشافي إلى قرارها وفعلها بكتابة روايتها «سلّم إلى السماء» التي هي رواية تريسي بسرد بطلتها حكايتَها.

ولم يكن عبثاً في تأكيد تريسي على الترميم أن يأتي تقديم بطلتها شاملاً لغاية التشافي بالفن من خلال توليد طاقته التي تقود التشويق إلى تجلِّية غوامض ما حدث، وبالشكل الذي يدفعها إلى خلق التناغم بين تكوين بنية روايتها وتداخل الأزمنة في سردها مع طبيعة بطلتها الذهانية، من أجل دفع الرواية للارتقاء إلى مستويات مرموقة في الرواية الحديثة:

«فاحت رائحة الدم قرب أنفي، ورأيت لينا ممددة على الرصيف وقد غطتها أمي بشرشف وردي بانتظار قدوم الطبيب الشرعي، ما لبث لونه أن أصبح أحمر قانياً، رأيت جانب وجهها الشمعي، حين أزاح الهواء الشرشف قليلاً، كانت تحدق في وجهي.. سمعتها تهمس: «احذري».. لم أعرف مم كانت تحذرني بالضبط. تذكرت تحذيرها ذاك حين رأيت تلك النظرة الحاقدة في عيني زوجي ذلك المساء بعد معرضي في السفارة الفرنسية، وبعد ما كتبته الصحف عن المعرض»... «مزق الجرائد وما تبقى من اللوحات وخلط الألوان بعضها ببعض، وخرج من البيت. عاد في ساعة متأخرة من سهرته مع أصدقائه الأجانب وهو سكران. أغلقتُ باب غرفتي من الداخل، وسحبت السرير، وجلست أرتجف في العتمة.. حين مَلّ من الشتائم، خبط الباب بقبضته وانسحب إلى غرفة النوم. حدقت في الألوان التي امتلأ بها الوعاء، لم أشعر بيدي التي أمسكت بالفرشاة... كان هناك شيطانٌ يمنحني القوة والهمة ما جعلني أعمل ساعات طويلة، أجمع حطام الزجاج وما تبقى من الزيوت العطرية، وأرسم حقلاً من الخزامى والأقحوان والحنون، أرسم أفقاً أزرق، أرسم زهرةً غريبة. ما أعيه جيداً أني كنت أرسمني كما أتمنى أن أكون. أرسم ماضيا ومستقبلاً».

في سرد حكايتها، المتشظية من غير ترتيب زمني إلا ما يتلمله في نهاية الرواية بذهن القارئ من قطع زجاج مآسيها، ووفق التماثل مع ذهانيتها وصحوها وتداخلات مقاوماتها للانسحاق من قبل الزوج، والتعرض لأهوال الهجرة مع المهربين إلى ألمانيا، والهجرة المعاكسة مع المهربين كذلك إلى سوريا، وذكريات حبها وفقدها التي تحتل محور الرواية، يمكن للقارئ إيجاز الحكاية نفسها بافتاة الحالة الموهوبة بالرسم هيفين، التي تحب صديق طفولتها بدر وتتمو معه إلى اللحظة التي يوشك فيها الحب أن يكتمل في سنتها الجامعية الأخيرة. لكنها تُصدم باغتيال أختها لينا التي تزوجت حبيبها وعاشا في السعودية، أمامها خلال إجازتها، من قبل عاشق هددها بالقتل إن تزوجت غيره. وتضطر هيفين تحت ضغط العادات أن تتزوج زوج أختها لترعى ابنتها، وتُفاجأ بقسوة وعنف هذا الزوج وغيرته من نجاحها إلى درجة محاولته سحق شخصيتها، فتهرب مع حبيبها السابق إلى تركيا، ومن ثم تعيش معاناة السوريين الرهيبة في رحلة لجوء مريعة معه تنتهي بغرقه على شواطئ جزيرة كيوس اليونانية، وفي تداخلات ذكرياتها خلال هذه الرحلة ورحلة العودة المعاكسة إلى سوريا بعد غرق حبيبها، وعدم قدرتها على تجاوز مأساتها في بلد اللجوء، بالإضافة إلى مقاوماتها. تكتشف ويكتشف القارئ معها بعد الوصول إلى عزلتها وتشافيها حكايةً أخرى مغايرةً صادمة عن القاتل المفترض الذي يرافقها في رحلة اللجوء. وترسم تريسي من خلال أوديسا هذه الفتاة، المأساة السورية خلال الثورة مع الغوص عميقاً بهذه المأساة إلى جذورها فيما يكتنف المجتمع السوري والشخصية السورية من خراب، وتحافظ في كل هذا على صراط الحب الذي لا تحيد عنه الرواية، ويرسم شخصية الحبيبين بما يمكن اعتباره قصة حب مميزة، وإن زادت فيها فلسفة الحب بحوارات الحبيبين في بعض المواضع على حساب عرضها في صور ومواقف، بما يفصح عن بعض ارتباكات مطابقة الواقع والخيال والتركيب، وبما قد يُشعر القارئ بالبرود. ولكن ربما يبرر هذا بمعالجة الروائية لحالة امرأة منكوبة تحاول لملمة فقدها من أنياب الغياب، وبالشغل على بلورة طبيعة الحب في الجنسين، وهو مميز حقاً بابتكار تريسي لسلّم الرجل الأحمر، وسلّم المرأة الأبيض إلى سماء الحلم البسيط ببيت في الجبال فيه حديقة خضراء بأشجار، حافلة بفاكهة وخضار، وعابقة بأزهار، مثلما هو مميزٌ بجرأة تصوير عشق المرأة ومرضها بالعشق الذي يقتصر بالتصوير عادةً على الرجال: «كيف بكَ إذن وأنت تريدني أن أقبل فكرة إقدامك على الفعل ذاته؟ كثيراً ما فكرتُ بزواجكَ! وتساءلتُ عما شدّك إليها! كيف أحببتَها؟ كيف ارتبطت بها برباط مقدس؟ دوختني الأسئلة كثيراً، وعلى مدى سنوات كنت أرجو أن أشفي من إدماني بك.. قال لي الطبيب: يحتاج العاشق عادةً إلى ستة أشهر لكي يسحب من جسده مادة الأندروفين المسببة لحالة الإدمان العشقي».. لكني – بعد سنوات – اكتشفت أني لم أشفَ، وأن الحب الذي رجوت الله أن أخرج منه بأقل الخسائر قد تحول في جسدي إلى مرض لم يستطع الأطباء توصيفه أو معرفة أسبابه».

في متابعة هذه الأوديسا غير الخاضعة لتسلسل زمني تُكوّن تريسي روايتها في بنية ظاهرة من ثمانية فصول: (سيلفغيزو غيتي 25 – 1 – 2015، باب الهوى 2015، غربا نحو الحرية، اليونان الأحد 14 – 9 – 2014، سلم أحمر، سلم أبيض، لاكورونيا 2015، حرية بنكهة الفقد). وتضع لها منظومة سرد تقتصر على السرد الذاتي من بطلتها، بالحديث عن نفسها والآخرين، وبتوجيه خطابها عندما يتعلق الأمر بحبيبها الغائب إليه، في إحساسٍ واضح بمحاولتها لملمته من أبعاد الغياب.

في البنية العميقة للرواية، وفيما هو واضح من عرض مأساة التهجير واللجوء السورية بأبعادها الإنسانية التي يدخل فيها بصورة مؤثرة تضامن الشعوب وبالأخص اليونانيين مع اللاجئين السوريين، إلى جانب خذلان دول أخرى لهم، يكتشف القارئ بالنسبة للمعنى كسر الرواية لثنائية الأسود والأبيض بالنسبة للثورة، والغوص عميقاً في بنية المجتمع السوري التي تولد الاستبداد، وبالنسبة لفن الرواية ما سبق تقديمه من اتجاه ترميم الذات إضافة إلى ما يمكن اعتباره جزءاً جوهرياً من هذا الترميم. ويلمسه القارئ بقوة في تشكيل الرواية كحديقة أشجار ونباتات وأزهار وحيوانات وطيور تتفاعل مع بطلة الرواية، مع إغناء في تعريفها بهوامش، لتعميق فعلها في ربط القارئ بتفاصيل طبيعة مكانه، وإثارة تمسكه به من خلال وخز ذاكرته بالأشكال والألوان والروائح، بدراية تتعدى بَلْسَمَةَ الجسد إلى جبر الروح، وإطلاقها.

ابتسام تريسي، روائية سورية خريجة كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة حلب، عضو هيئة تحرير مجلة «أوراق» الصادرة عن رابطة الكتاب السوريين. لها العديد من الأعمال الأدبية وحازت مجموعتها القصصية «جذور ميتة» على الجائزة الأولى لمسابقة سعاد الصباح عام 2001، ودخلت روايتها «عين الشمس» القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية عام 2010.

ابتسام تريسي: «سلّم إلى السماء»
دار جامعة حمد بن خليفة للنشر،
الدوحة 2019
196 صفحة.

«أفندينا» رواية الكاتب المصري محسن الغمري: بنية الإيهام والمراجعة وتغييب الهوية المستقرة

عادل ضرغام

تأتي رواية «أفندينا» للكاتب المصري محسن الغمري لتثير الكثير من الأسئلة، ولكن بعض هذه الأسئلة يرتبط بالكتابة الروائية التاريخية في العقود الأخيرة التي انطوت على مفهوم خاص، لا يأخذ من الماضي بقدر ما يعطي محيلا هذا الماضي إلى حركة دائمة، لإقامة حوار له خصوصية ينطلق من مناخ فكرية معاصرة. ويرتبط بهذا النمط الكتابي تغيير في طبيعة الدوافع، ووقوفها وتوزعها بين عقد المشابهة بطريقة إسقاطية بين الماضي والحاضر، أو تعاظمها على هذا المسلك، حين تجعل الآني والمعاصر رافدا للماضي، فلا يظل هذا الماضي ثابتا في ظل سردية وحيدة مشدودة للصمت والثبات والامتداد.

فالرواية تجعلنا نعيد التساؤل والنظر والمقاربة والمراجعة حول مرحلة زمنية مهمة من تاريخ مصر، وربما تكون هذه المرحلة الزمنية الممتدة من بداية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين – بالرغم من أن الرواية تقف عند نهاية عهد عباس حلمي – هي المرحلة الأكثر تأثيرا في تشكيل الوعي، وفي تنميط العادات والتقاليد التي يتمّ تداولها في اللحظات الآنية بالرغم من انتقالها من بيئات بعيدة.

في إمداد القارئ بالسياقات وتولد هذه السياقات بوعيها اللافت، وبداية تشكل هوية منفتحة على الآخر بعيدا عن الدين أو العرق أو الجنس انطلاقا من رؤية وتوجيه محمد علي، تشكل الرواية بالإضافة إلى ذلك خطاب مراجعة حول مرحلة زمنية ترتبط بشخصية عباس حلمي، واعتمدت في تحقيق ذلك على مجموعة من الآليات الفنية الخاصة ببنية الرواية وتشكيل السرد. أهمها اعتمادها على كتابة المذكرات (المخطوط) الذي يعثر عليه بطلان يمثلان اللحظة الآنية، ويمثلان – في ظل حضور المخطوط الذي يعيدان نسخه – سياقا للمشابهة والمقارنة في معاينة التحولات والتباينات بين الماضي والحاضر، وفي ثبات الأنساق التي تنتجهما الدول الكبرى في وجود أجندات طويلة المدى للتطويق والسيطرة مطروحة للتحقيق، خاصة حين يتعلق الأمر بمكان حيوي يكتسب حضوره التاريخي من مكانه الجغرافي.

بنية الإيهام (المذكرات والمخطوط)

يتشكل خطاب (القولي) من خلال اعتماده على المذكرات (المخطوط) التي تمت كتابتها بعد نهاية الحدث، وكتابتها بعد العودة إلى قريته، وهي على هذا النحو تؤدي إلى وجود شيئين: الأول يتمثل في قراءة الأحداث وتأويلها، فالمذكرات لا تقدم وعيا لحظيا آنيا، وإنما تقدم للقارئ وعيين، وعي لحظة كتابة المذكرات، ووعي خاص بلحظة الكتابة، وهذا الوعي الأخير لا يخلو من التأويل، ومن ثم لا تخلو الكتابة في نص المخطوط من إضاءات معرفية مرتبطة بمقاربة الحوادث بشكل مختلف، ومن المهمّ التأويلي في نمطي التبرير والدفاع اللذين تنتجهما في معاينة سلوك وتوجهات عباس حلمي المغايرة لتوجه الجدّ محمد علي.

وهناك – أيضا – نتيجة لهذه البنية الإيهامية الخاصة بالمذكرات مساحة كبيرة من الاستباقات والنبوءات، وهذا يجعلها منفتحة على التشويق، مثل قول الشيخ الضرير(حسن الفناجيلي) للقولي صاحب المخطوط أو المذكرات حين ذهب إليه بنفحة مالية أرسلها إليه عباس حلمي لتحقق نبوءة حكمه (حزين أنا على صاحبك، فهو لا يعلم أنه يسعى إلى نهايته)، أو في حديثه عند ميلاد الأميرة زينب وإشارته إلى دورها لحظة ميلادها في تشكيل الاتجاه المقابل والمضاد لعباس حلمي، من خلال قوله (لم يخطر ببال بشر أن هذه المولودة الصغيرة التي لا حول لها ولا قوة سيكون لها في الغد حول وقوة للغاية في حياة ابن أخيها الأمير عباس حلمي).

الخطاب في ظل حركته بين بلاط الحكام والحرملك يظل مشدودا إلى مساحة محددة، يمارس فيها النص الروائي من خلال عمليات الاختيار والتحييك قدرته في تشكيل سردية المراجعة، ولكن هناك كوة تنفتح على المصريين بداية من دخول جاريته (روبية) إلى بيته الذي عاشت فيه بعد موت زوجته، وانفتاحه على جاره (مسعود) حيث يكشف جزءا من هوية هؤلاء المصريين في انفتاحهم على الآخر المغاير، فهم يحتفون بالغريب أكثر من احتفائهم بنماذجهم وأنفسهم، وربما بسبب ميراثهم الطويل المرتبط بالحاكم الأجنبي.

إن هذه الآلية لا تجعل التاريخي دائم الحضور في الآني، وإنما تجعل الآني دائم الحضور في الماضي مؤشرا فيه، بل تجعله يتجلى بشكل مغاير من خلال الانتصار لرؤية معاصرة، تثبت ديمومتها واستمرارها ووجودها في ظل معاينة الماضي بوجوده الهامشي، فينعش هذا الهامشي، ويصبح مساويا للخطاب المتفق عليه. لقد ولدت آلية المخطوط مساحة للتأويل، مساحة لتقديم خطاب مغاير، فهناك خطاب تاريخي عليه شبه اتفاق، ولكن الرواية فيما يخصّ عباس حلمي تقدم من خلال المخطوط المرتبط بخطاب (القولي) وتأويله، خطابا آخر، بداية من الكلمة الدالة (المغدور به) التي شكلت نقطة الانطلاق، وأصبحت محركا ومسيجا للرواية وتحبيكها سواء في مجال اختيار الأحداث الكاشفة، أو في تكوين وتشكيل الشخصيات.

في ظل هيمنة وصدارة خطاب المذكرات المشكل داخل المخطوط، بما يجليه من هواجس القيمة المختزنة المناوئة للسائد، هناك توجه آخر يتمثل في خطاب معاصر من خلال شخصيتين معاصرتين –السفير الذي حصل على المخطوط لطبيعة عمله وسفرياته، وصديقه الذي شكلت له شخصية عباس حلمي حضورا لافتا من البداية– تقومان بفعلي القراءة والنسخ، وهو تداخل مهم بالرغم من حضوره البسيط في نص الرواية، فقد كان من الضروري في ظل التنبه إلى قيمة وحيوية الآني في رؤية الماضي، وتحريكه أو تقليبه في ظل جدل وجهات نظر مختلفة أن يتمدد هذا الخطاب، ويأخذ مساحة أكثر اتساعا، للكشف عن الجانب المعرفي الخاص بمنطلقات الرؤية.

وفي سياق هذا الحضور المبتسر للخطاب المعاصر تتباين وظائفه، ففي أغلب الأحيان يأتي بوصفه إعلانا عن الوجود، وفي التذكير الدائم للقارئ بأن ما يقومان بتدوينه ونسخه خطاب ماض، ولكنه وثيق الصلة بالحاضر، وإمكانية تكراره، بالإضافة إلى حضور التجاوب والتباين بين الزمنين.

الخطاب المضاد وتغييب الهوية المستقرة

تشكل الرواية من خلال خطابها الخاص بالمخطوط خطابا يمكن أن نطلق عليه خطابا مضادا، أو خطاب مراجعة لما اتفق عليه، أو كان عليه نوع من الإجماع والشيوع. فالقارئ لإسهامات غالبية المؤرخين لتاريخ أسرة محمد علي، سوف يقابله خطاب تنميطي خاص بعباس حلمي، تتشكل حدوده في إطار أحكام جاهزة مستقرة، فعهد أو فترة عباس حلمي في ظل ذلك الخطاب كان عهد تراجع على أكثر من صعيد، وأنه كان عصرا يرتبط بالتخلي عن الأسس التي كونها جدّه، حيث توقفت حركة التقدم والنهضة.

ولكن الجزئية الأكثر أهمية في الخطاب التاريخي المؤسس والمتفق عليه عن عباس حلمي تتمثل في معاداته للتحديث، ولحركة الترجمة، وإغلاقه لمدرسة الألسن، ونفيه لرفاعة الطهطاوي إلى السودان وآخرين من الأساتذة والمهندسين النابهين، وكذلك إعادته للمبتعثين، بالإضافة إلى تعالبه في تعامله مع الأجانب وقناصل الدول الأجنبية.

تتأسس ملامح هذا التوجيه السردي بداية من ميلاده بالسعودية أثناء حملة أبيه الأولى عليها، وظروف ميلاده التي جعلته مريضا بالصرع، وطبيعة هذا المرض التي جعلته أكثر حدة وابتعادا وأكثر توجسا وريبة. ولكن الجزئية الأكثر أهمية في هذا التوجيه السردي تتمثل في ارتباطه بالشيح الإحسائي السلفي الذي أثر في رؤيته للآخر المباين، ولغير المسلمين بشكل عام، وانحيازه لأيديولوجيا الدين التي تؤمن لأصحابها يقينا فريدا ومستقرّا.

لقد أصبح عباس حلمي وفق هذا التوجيه السردي ينطلق ويتصرف وفق محدد وسنن أيديولوجي يرتبط بالدين الإسلامي، وذلك من خلال تأثير شيخه الحنبلي السلفي، وارتباطه وصداقته بالوهابيين، فقد رفض وضع شارة الحداد على ذراعه قائلا (تلك بدعة محدثة ليست من الإسلام في شيء). ولكن هذا الانتماء يصبح ذا أثر سلبي إذا ارتبط بتحديد حدود الأمن القومي، فحين جمع جدّه محمد علي كبار رجال دولته للتشاور حول حملته على الشام، قدم عباس حلمي رأيا استوجب توبيخ عمه إبراهيم قائد الحملة، لأنه في بناء رأيه يستند إلى محدد أيديولوجي، يجعله يقف بحدود أمن مصر القومي عند خليج السويس، مبررا ذلك بقوله (ونكفي أنفسنا شرّ القتال، ونتجنب ارتكاب إثم كبير بإراقة المسلم دم أخيه المسلم).

يكشف خطاب الرواية عن رؤية مشدودة إلى نسقين متقابلين، يسهمان في تشكيل هويتين، أو – بشكل قد يكون أكثر دقة – في تشكيل توجهين، يرتبط الأول منهما بالاحتياج للآخر في جزئيات تفرده وإنجازه، بينما يتوقف التوجه الأخير عند حدود الذات مستندا إلى يقينه بذاته والاكتفاء بما لديها. وإذا كانت الرواية تشير بخطابها إلى توجهين كاشفين عن هوية منفتحة على الآخر والإفادة منه، وهوية محتمية بما لديها مكتفية به، فإنها في الوقت ذاته تؤسس من خلال جدل التشابه والاختلاف بين خطابها وخطاب الجبرتي التاريخي حضورا لافتا، فثمة تشابه في الأطر العامة يظل حاضرا للإشارة إلى خطاب الجبرتي التاريخي، وثمة تباين تتشكل حدوده من حدود الموقعية، وحدود الوظيفة المعرفية، وطبيعة الانتماء والأصول لصاحب كل خطاب.

فالجبرتي في هذه الرواية وجه ورمز للمثقف الحقيقي، لا يكتب إلا ما يؤمن به ولو ألحّ محمد علي في الطلب لتغيير خطابه، وقد أدى ذلك إلى تفاقم علاقته بالسلطة في عهد محمد علي الذي أوحي للدفتردار بتأديبه والتعامل معه، وتسبب ذلك في مقتل ابنه خليل الجبرتي. ويمكن أن نتوقف في إطار تلك الجزئية للإشارة إلى المغايرة بين خطاب الجبرتي وخطاب القولي، نظرا لانتمائه إلى مسقط رأس محمد علي، ومدى أثر ذلك في تبريره ومقاربته لبعض الحوادث.

ثمة فارق أخير في المقارنة بين خطاب تاريخي متفق عليه، بل وعليه إجماع وانتشار وشيوع، وخطاب منزو لا تتم الإشارة إليه كثيرا في كتب التاريخ، يتجلى ذلك في تصوير لحظة النهاية الخاصة باغتيال عباس حلمي، فالسبب الرئيسي الذي تذكره الكتب التاريخية يتمثل في سوء معاملته لبعض مماليكه، فاجتمعوا عليه في نوبة من نوبات حراسته وقتلوه. ولكن خطاب رواية أفندينا لا يكتفي بهذا السبب بمفرده، وإنما يضيف إليه سببا آخر عملت الرواية على التأكيد على مشروعية حدوثه من بداية السرد من خلال التوجيه السردي الخاص بخصومة عمته نازلي له ولأمه.

فقد أشارت الرواية إلى الخطاب المتفق عليه والمرتبط بضلوع مماليكه في قتله، لأنهم أكثروا الغمز واللمز لمن عينه رئيسا عليهم، وهو حسين باشا الصغير، وقد أمر عباس حلمي بجلدهم، وإرسالهم للإسطبل للعمل، وتشفع لهم رئيس خزانته، فعفا عنهم وقتلوه. وقد جعل الخطاب الروائي عملية الاغتيال مشدودة إلى الجانب السابق، وإلى جانب جديد، وهي رواية مدام أولب التي أشارت إلى أنها سمعتها بمصر في أوائل عهد إسماعيل، ودونتها في كتابها «كشف الستار عن أسرار مصر»، وهي رواية تفيد ضلوع عمته نازلي للمشاركة في قتله، وإرسالها شخصين من تركيا في مقتله.

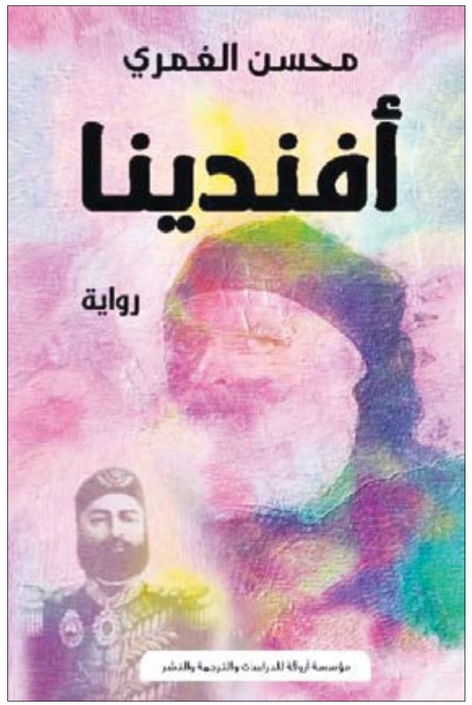

محسن الغمري: «أفندينا»
مؤسسة أروقة للدراسات والنشر،
القاهرة 2021
393 صفحة.

المقال

زياد ماجد

الانتخابات الفرنسية: التصويت «المفيد» وخطر اليمين المتطرّف

تتحضّر فرنسا للدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية التي سيتواجه فيها كما في العام 2017 إيمانويل ماكرون ومارين لوبان. وإذا كانت المواجهة الأولى بين المرشّحين انتهت قبل خمس سنوات بفوز ساحق لماكرون، فإن المواجهة الثانية لن تكون سهلة، ولو أن تكرار فوز ماكرون فيها مرجّح لأسباب عديدة.

وقبل الخوض في هذه الأسباب، يفيد التوقّف عند بعض الملاحظات المرتبطة بما ظهّرته انتخابات الدورة الأولى من معطيات وديناميّات وموازين قوى سياسية.

فرنسا المنقسمة إلى ثلاثة معسكرات

أولى الملاحظات هي تلك المرتبطة بانقسام فرنسي حاد بين معسكرات شبه متساوية.

الأول، هو معسكر اليمين المتطرّف واليمين القومي (مارين لوبان وإريك زمّور ونيكولا ديبون آنيان وجان لاسّال) الذي حاز على 35 في المئة من الأصوات. الثاني هو معسكر يمين الوسط واليمين (إيمانويل ماكرون وفاليري بيكريس) الذي حاز على قرابة 32 في المئة من الأصوات، والثالث هو معسكر اليسار واليسار المتطرّف (جان لوك ميلانشون وآن هيدالغو ويانيك جادو وفابيان روسّيل وفيليبيب بوتو وناتالي آرتو) الذي حصل أيضاً على حوالي 32 في المئة من الأصوات.

على أن العديد من التمايزات والاختلافات في التوجّهات وفي الخلفيات تبرز عند التدقيق في قوى كل معسكر.

ففي اليمين المتطرّف، تبدو لوبان مرشّحة ثلاث شرائح من الناخبين مدّتها بـ22 في المئة من أصوات الفرنسيين. شريحة ريفية واسعة، يوحّدها عداء للاتحاد الأوروبي وللعولمة وما تُمليه من شروط استيراد وتصدير زراعي، ويحرّكها حقد على الاستبلاشمنت السياسي. شريحة عمّالية أو من طبقات شعبية من مدن صغيرة أو من تجمّعات سكّانية نشأت على مفترقات طرق سريعة رئيسية في وسط فرنسا أو من مناطق صناعية ومنجمية سابقاً أطاحت بها التحوّلات الاقتصادية (في الشمال بخاصة) ووجدت أيضاً في العداء لسياسات «المركز» وللمهاجرين كما للاتحاد الأوروبي ملاذاً لها. وشريحة ثالثة من فئات ميسورة بعضها متقاعد أو من الموالي تاريخياً لحزب الجبهة الوطنية الذي ترأسه والد لوبان، وله في الجنوب الشرقي معاقل مهمة، وهو لا يخفي تصويته من منطلق عنصري صرف ضد المهاجرين والمسلمين. وتشير معظم الدراسات إلى أن أكثرية هؤلاء في الشرائح المختلفة من محدودي المستوى التعليمي أو متوسّطيه.

وفي المعسكر اليميني المتطرّف إياه، تتكوّن الكتلة الناخبة التي دعمت زمّور من مجموعتين أمّتا له 7 في المئة من أصوات الفرنسيين. مجموعة من الخارجين من حزب لوبان لاعتبارهم أنها اعتدلت في بعض مواقفها وهو معسكر شديد التشتّت رغم إحراز أحد أقطابه ميلانشون النتيجة الأعلى واستقطابه لوحده ثلثي ناخبي اليسار.

فميلانشون الحاصل على 21 في المئة من أصوات المقترعين قاد حملة انتخابية هي بلا شك الأكثر حيوية، وهي الوحيدة التي ظلّت تتصاعد وتتوسّع وتعبّئ قواعد تاريخية أو الفئات مرتفعة الدخل في المدن التي ترى في القيم التي يعلنها زمّور من دون موارية قيمها. ومن بين المنضوين في صفوف الداعمين لزمّور في الأوساط المدينية جامعيّون وكوادر طبقة متوسطة عليا وناشطون في جمعيات وحركات نيو–فاشية.

أما المرشّحان الآخران، ديبون آنيان (من اليمين القومي) ولاسّال (من خلفية يمينية ريفية)، فيختلفان في خصائص جمهوريهما عن لوبان وعن زمّور ولو أن التقاطعات السياسية تجعلهما بالمحصّلة في معسكر واحد مع اليمين المتطرّف.

في معسكر يمين الوسط واليمين، يبرز بالطبع إيمانويل ماكرون. فالرئيس الساعي لولاية انتخابية ثانية نجح في انتخابات العام 2017 في اجتذاب الوسطيّين من الحزبين التاريخيين اللذين حكما فرنسا في جمهوريتها الخامسة (أي منذ العام 1958)، وشكّل عبرهم وعبر جيلٍ جديد من المتعلّمين المدينيين التكنوقراط «المعولمين» والخارجين عن الاصطفافات اليمينية واليسارية السابقة حزبه «الجمهورية إلى الأمام». بهذا بدا برنامجه يمينياً في الاقتصاد وفي الإعفاءات الضريبية و«إصلاحات» التعليم والخدمات والنظم التقاعدية، مع محافظة على إنفاق اجتماعي عالٍ أبقى على تراث دولة الرعاية وعزّزه خلال أزمة كوفيد، إذ أنفقت حكومته مئات المليارات دعماً للمؤسسات ولمستخدميها وتعويضاً عن البطالة وتراجع الأنشطة الاقتصادية. وحضّر ماكرون للانتخابات عبر تعديلات حكومية في النصف الثاني من ولايته أتت بوجوه يمينية، فبان أنه يسعى إلى إضعاف حزب الجمهوريين تماماً كما سبق أن أضعف الحزب الاشتراكي في نصف ولايته الأول عندما استقطب كثراً من قياداته الوسطية أو ممّن كانوا معه خلال ولاية فرنسوا هولاند حيث بدأ حياته السياسية الرسومية. وقد نجح ماكرون بالفعل في جذب بعض قواعد اليمين الفرنسي، وممّن علاقته ببرجوازيات مدينية وبرجال أعمال وباصحاب مصالح كبرى أفادتهم سياساته المالية ويفضّلون توجّهاته في أي حال، وفي مقدّمها التوجّهات الأوروبية والمعولمة، على سواها من التوجّهات المعلنة لدى جميع منافسيه. وحافظ ماكرون على داعميه في الطبقات الوسطى والوسطى العليا في المدن، وأدّى كل ذلك إلى وضعه في صدارة الدورة الأولى جاذباً إليه قرابة 28 في المئة من الأصوات.

أما اليمين، فلم تستطع مرشّحته فاليري بيكريس الاحتفاظ بقواعده وبعدد من قادته ومسؤوليه السابقين، فتسرّب وسطيّوه إلى حزب ماكرون في حين جنح المتشدّدون فيه نحو زمّور في المدن ونحو لوبان (وأحياناً نحو لاسّال) في الأرياف، ولم تحصل بيكريس بالتالي سوى على نسبة 4 ونصف في المئة من الأصوات.

يبقى المعسكر الثالث، أي معسكر اليسار. وهو معسكر شديد التشتّت رغم إحراز أحد أقطابه ميلانشون النتيجة الأعلى واستقطابه لوحده ثلثي ناخبي اليسار.

فميلانشون الحاصل على 21 في المئة من أصوات المقترعين قاد حملة انتخابية هي بلا شك الأكثر حيوية، وهي الوحيدة التي ظلّت تتصاعد وتتوسّع وتعبّئ قواعد تاريخية أو جديدة للميسار في المدن الكبرى والمتوسّطة وضواحيها، وفي مناطق غرب فرنسا كما في وسطها وجنوبها الغربي. وقد وإلى حملته عدد كبير من العاملين في القطاع التعليمي، وحظي بتأييد واسع في النقابات العمالية والمهنية، ونافس لوبان في جذب الشرائح الاجتماعية الشعبية، كما نافس الشيوعيين في أوساط الفرنسيين المتحدّرين من أصول مغاربية وأفريقية.

وأدّى تقدّم ميلانشون إلى تراجع المرشّحين اليساريّين الآخرين الذين آثر قسم من جمهورهم التصويت له لاحتمالات بلوغه الدور الثاني. هكذا لم يتخطّ يانيك جادو مرشّح البيئيين نسبة الـ5 في المئة من الأصوات (نال حوالي 4 ونصف في المئة) آتت من شرائح مدينية متعلّمة وتنتمي غالباً للطبقة الوسطى العليا. ولم يستطع مرشّح الحزب الشيوعي فابيان روسّيل تخطّي نسبة 2 في المئة من الأصوات وفرّتها له قواعد الحزب التاريخية في بعض الضواحي الشعبية والأحياء المدينية الكبرى وفي مدن وبلدات انتمت عائلات فيها إلى الحزب واستمرّت على ولائها.

من جهتها، فشلت عمدة باريس ومرشّحة الحزب الاشتراكي في إبقاء حزبها «حيّاً» في هذه الانتخابات، فحصل على أسوأ نتيجة له في تاريخه إذ لم يبلغ عتبة الـ2 في المئة. أمّا المرشّحان التروتسكيّان فيليب بوتو وناتالي آرتو اللذان استمرّا في الانتخابات (بعد فشل مرشّح ثالث في الاستمرار) فقد نال كلّ منهما أقل من 1 في المئة.

روسيا وكراهية ماكرون وانتخابات «التصويت المفيد»

الملاحظة الثانية حول انتخابات الدور الأول تبيّن أن ثلاثة عوامل لعبت دوراً رئيسياً في تحديد خيارات الناخبين. العامل الأول هو عمق الكراهية لماكرون التي أبعدت عنه 72 في المئة من المشاركين في التصويت، والتي بانت في كمّ الحملات والانتقادات التي استهدفته من قبل المرشّحين والمرشّحات بحيث تبارى الجميع على إظهار معارضتهم لسياساته ولشخصه.

العامل الثاني، هو عامل «التصويت المفيد»، أي التضحية ببعض المبادئ والمواقف السياسية لصالح اختيار المرشّح الأقرب سياسياً والأكثر قدرة على الوصول إلى الدورة الثانية. وأدى الأمر كما ذكرنا إلى تصويت يساريّين كثر، من البيئيين والاشتراكيين والشيوعيين، وحتى في بعض الأوساط التروتسكية، لميلانشون. الأمر نفسه سرى على أوساط اليمين المتطرّف واليمين القومي، واستفادت منه لوبان، إذ استعادت جزءاً من الأصوات التي بدا في بداية الحملة الانتخابية أنها أقرب إلى زمّور، وأخذت أصواتاً أخرى من اليمين القومي وحتى من أصوات اليمين التقليدي، ممّن اختاروها بسبب تأكيد استطلاعات الرأي أنها الوحيدة من معسكرها التي يمكن أن تبلغ الدور الثاني. وماكرون بدوره استفاد من التصويت إياه إذ اعتبر يساريون ويمينيون أقرب إلى الوسط أن حلوله في المرتبة الأولى في الدورة الأولى يعطيه أفضلية على لوبان في انتخابات الدورة الثانية، والأهم يحول دون بروز مرشّحة اليمين المتطرّف كصاحبة القاعدة الشعبية الأوسع في البلاد.

والعامل الثالث المؤثّر في الخيارات هو تحوّل الموقف من روسيا ومن نظام فلاديمير بوتين وحربه في أوكرانيا إلى عنصر فرز في عدد من الأوساط والبيئات السياسية. فزمّور مثلاً فشل في التبرّؤ من تأييده لبوتين في وقت نجحت لوبان في ذلك إذ أدانت على نحو أوضح العدوان الروسي على أوكرانيا، ولو أن مواقفها الأخيرة التالية للدورة الأولى والداعية إلى التصالح مع موسكو والخروج من التحالف العسكري للأطلسي ستجعل هجوم ماكرون عليها في المناظرة المنتظرة بينهما ينطلق في أحد جوانبه من هذه الزاوية.

وليس مستبعداً أن يكون فشل ميلانشون في حصد المزيد من «التصويت اليساري المفيد» على صلة بمواقفه الداعمة لبوتين في السنوات الأخيرة، رغم تبديلها بعد بدء الغزو لأوكرانيا.

الدور الثاني والتطبيع مع اليمين المتطرّف

تتحضّر فرنسا إذن لانتخابات الدورة الثانية بين ماكرون ولوبان. وتتوالى الدعوات من المعسكرات السياسية الرئيسية للتصويت لواحدهما. وإذا كان التطبيع مع حضور اليمين المتطرّف في المشهد السياسي وفي الانتخابات الرئاسية تكرّس في العقدين الأخيرين وصار بديهياً منذ سنوات، فإن الخوف من وصوله إلى السلطة سيحرّك فئات من الفرنسيين لم تصوّت سابقاً (26 في المئة لم يقترعوا في الدورة الأولى) أو ستضطر للتصويت لماكرون من منطلق أنه «أهوَن الشرّين».

وثمة أسباب عديدة تدعو إلى القول بأرجحية ماكرون في الدورة الثانية. منها الخوف الذي أشرنا إليه، ومنها تقدّمه في الدورة الأولى بفارق أكثر من أربع نقاط، ومنها دعوات مرشحي اليسار (جادو وروسّيل وهيدالغو) للتصويت له اضطرارياً أو أقله عدم التصويت للوبان (ميلانشون وبوتو وآرتو)، ومنها دعوة اليمين الجمهوري والوسط (بيكريس، ولكن أيضاً رؤساء جمهورية وحكومة سابقين مثل ساركوزي ورافاران وفيليب) للتصويت له.

في كل الأحوال، فرنسا مقبلة على دورة انتخابية ثانية قاسية، ومقبلة على أزمات حُكم، ذلك أن الرئيس المنتخب أيّاً كان سيواجه مشهداً سياسياً شديد الانقسام، لا اكتريّات ممكنة فيه ولا تحالفات من دون مقايضات تصعّب من مهمّات حُكمه. وإذا كان انهيار الاشتراكيين يساراً والجمهوريّين يميناً ميّز الدورة الأولى بموازاة تقدّم ميلانشون ولوبان، فإن الانتخابات التشريعية في حزيران/يونيو المقبل قد تشهد تناتُج مختلفة لأن التصويت المفيد فيها لا فعلَ حاسماً له ولا حاجة إليه أصلاً في دوائر عديدة. وهذا يعني أن موازين قوى مغايرة للموازين الحالية يساراً ويميناً ووسطاً قد تبرز وتؤسّس لمرحلة سياسية جديدة.

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

أمير تاج السر

اختيار النصوص للقوائم

في كل فترة اعتاد أن تطل علينا قائمة فيها روايات لكتاب من أجيال مختلفة، وتوضح أن هذه أعظم مئة رواية كتبت، والأمر ليس عندنا فقط ولكن حتى في الغرب حيث تظهر تلك القوائم بأسماء ثابتة لا تتغير، وأخرى جديدة في كل مرة. وبما أن تلك القوائم توضع كأمور مسلم بها، وأنها نهائية، ويتداولها الناس بهذا الفهم، وتجد حتى كتابا مجيدين يرددون ما تحتويه بيقين كبير، فمن المفترض أن توضع الآلية التي يتم اختيار تلك النصوص بها، ولماذا اختيرت دون سواها، مع وجود كم هائل من الكتابات التي يصعب حتى النظر إلى أغلفتها، ناهيك عن تقليبها وقراءتها، وضمها لقوائم الأفضل.

هذا الموضوع يبدو لي مهما، أي مسألة الترشيح تلك، وأرى بصرامة شديدة أنه لا ينبغي أن توضع قوائم كهذه، ولا يلزم بها أحدا، فالقارئ المثابر، المتمكن، يستطع وحده تكوين قائمته من الكتب التي قرأها، وأكرر، التي قرأها وليس التي سمع بها، أو سمع سيرتها عند غيره. وأنا مثلا استطعت تكوين قائمتي الخاصة منذ فترة طويلة وأجددها في كل مرة، بحيث أضيف إليها، أو أسحب منها كتابا أعيد قراءته، وأجد فيه ما أظنه خللا، أو أجد تسرعا مني في تصنيفه عظيما. وتظل هناك كتب موجودة باستمرار مثل «مئة عام من العزلة» و«الحب في زمن الكوليرا» لماركيز، و«ثلج» لأورهان باموق، و«طرف من خبر الآخرة» لعبد الحكيم قاسم، و«فساد الأمكنة» لصبري موسى، موجودة في أماكنها لا تتزحزح.

وأظنني ذكرت مرة افتتاني في مرحلة ما برواية «خزي» لكوتزي، تلك التي تدور في بلده جنوب أفريقيا، وبطلها مدرس جامعي، يستدرج طالبة صغيرة إلى مجونه، ويسقط في ضياع لا ينتهي، ثم أعدت قراءتها مؤخرا، فلم أحس بذلك البريق الكبير، ولا ذلك الإشعاع الذي منحتني إياه في لحظة قراءتها القديمة منذ سنوات.

إذن تتكون القناعة كما يبدو، بتغير الزمن والظروف، وبيدو ما هو رائع في وقت ما، باهتا إلى حد ما، في وقت آخر، والعكس صحيح بالطبع.

وقد سألت مرة أحد المهتمين بقوائم الأفضل تلك، عن الآلية في الاختيار التي يستند إليها المجهولون الذين يضعون القوائم، فقال إنه التذوق بكل تأكيد، لأن المعايير الفنية موجودة بحذافيرها وربما أفضل، في نصوص أخرى خارج تلك القوائم، وكان ردا مطابقا لما أراه.

أتحدث عن مسألة اختيارات القوائم في الجوائز الأدبية أيضا، تلك التي انتشرت في الآونة الأخيرة، وأصبحت الشغل الشاغل للأدباء وغير الأدباء. الأدباء تغريهم بالكتابة بسرعة والتقديم لها، ومحاولة العثور على محكميها أو أشخاص مقربين من هيئتها للتوصية. وغير الأدباء تغريهم بالتحول إلى أدباء في غمضة عين، والركض في هذه السكة، على ثمة وصول يحدث. وكلما أعلن عن جائزة جديدة، تراكضت إليها النصوص، وتقف البوكر طبعا على رأس تلك الجوائز المغرية، إنها حسناء الجوائز المزينة بأساور المستقبل الذهبية، وعقد الانتشار اللامع على جيدها.

وبالطبع هذا السباق المستمر، يعود في البداية لشح الموارد عند الأدباء الذين أمنوا بحرفة الأدب، واتخذوه مصدرا للقمة العيش، وما كان عند حسن الظن أبدا، وثانيا إلى محاولة الرسوخ في الساحة الأدبية، حين يحصل الأديب على جائزة.

ولأنني من السودان، يظن كثيرون أن لي يدا أو خيط تواصل متين بجائزة الطيب صالح السنوية، التي تقدمها شركة زين للاتصالات منذ رحيل الطيب، وأظنها بلغت عشر دورات حتى الآن. لذلك تنهمر علي الرسائل التي تستفسر مني عن احتمالات الفوز لأدباء قدموا لها، وأنا في الحقيقة بعيد كل البعد عن الجائزة، ولا أعرف بماذا أرد.

أيضا وجودي في قطر يجعلني هدفا لرسائل بلا انقطاع، عن الجائزة الكبرى التي تقدمها مؤسسة الحي الثقافي «كتارا» في كل عام، وتساعد كثيرا في دعم الأدب والأدباء. إنها أيضا جائزة حسناء، ومزينة، وفيها أدوات جذب كثيرة.

قوائم الجوائز تلك خاضعة بكل تأكيد للتذوق الشخصي للمحكم، ولن تكون قوائم نهائية تحت أي ظرف، بمعنى لو غيرنا طاقم المحكمين في العام نفسه، وأعطينا النصوص المقدمة للمحكمين الجدد، قطعا سيختارون نصوصا مغايرة، وربما يختاروا النصوص نفسها، أو بعضها، إن كان التذوق متقاربا.

أنا مثلا أحب اللغة كثيرا، أحب الصور الموحية، وتبدو لي النصوص الخالية من الإيحاءات، والتي تجنح للغة المباشرة، أو الواقعية الصرفة، أقل من مستوى تذوقي، لكن ذلك لا يمنع أن اختارها لجودة الحكاية، وما قد تحويه من معرفة للمتلقي.

وأعتقد وإن كنت لا أذكر جيدا أنني قرأت مرة في شروط التقديم لإحدى الجوائز بندا يسمح بتقديم الكتاب نفسه في العام التالي، إن لم يفز هذا العام، وهذا إن كان بالفعل صحيحا يعتبر إجراء ممتازا، وأشبه بالفرصة الثانية في كثير من الأمور الحياتية، قبل أن يحكم بالفشل.

لذلك كله، لا ينبغي أن يلعن أحد كتابته، أو يسأم منها، أو يهجرها لمجرد أنها لم تأت له بجائزة. رأيي أن يحب الناس ما يكتبون، ويستمرون في الحب والوفاء، ما داموا علقوا في هذا الدرب، نحن نلد أبناءنا، ونربيهم، ونصرف عليهم حتى يكبروا، ولكن لا نعلم إن كانوا سيرعوننا في المستقبل أم لا؟

كذلك الكتابة، نتعب فيها، وندفع للناشرين في بداياتنا حتى ننشر، ونحصل على القليل حين نكبر، أي لا رعاية تامة ولا حتى ربع رعاية، من تلك الكتب التي رعيناها سابقا.

كاتب من السودان

عيد الفصح

يحتفل المسيحيون في أرجاء العالم بعيد الفصح الذي يعد من بين أهم الأعياد لدى المسيحيين والذي يصادف اليوم الأحد. وأقامت الكنائس المسيحية طقوس قبيل عيد الفصح، ومنها قداس «طريق الصليب» يوم «الجمعة العظيمة» وهو اليوم الذي يسبق «سبت النور» أو ما يعرف بـ«القيامة». ودعا البابا في كلمة خلال القداس الذي اقيم في ساحة الكوليسيوم التاريخية في العاصمة روما إلى إحلال السلام في العالم.

الفاتيكان

باكستان

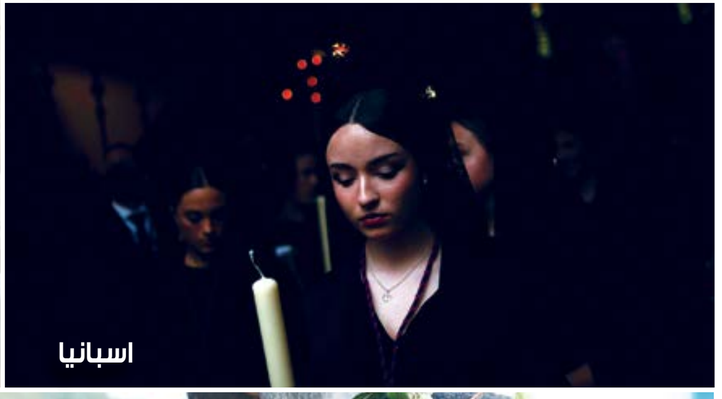
اسبانيا

فلسطين

بريطانيا

لبنان

كينيا

أدب وفنون

أيّ قراء نحن؟ وفق أيّ مقياس؟ الرواية وهي تمتحن كاتبَها

أمبرتو إيكو

إبراهيم محمود

نتحدث عن الرواية، بوصفها سرداً، إنما لا يكون ذلك في حضور الأخير، في الخلف، أي بعد نشره بعنوان يُهتدى إليه، وإن كنا نُقبل على قراءة نصوصه، إنما في الأمام، وهو طوع المكاشفة أو المقاربة النقدية، في مختلف الجهات، وقد توزعت أصواته، طبقاته، تداعيات رموزه، مجتمعه المترقب باعتداد.

وما يمكن للروائي أن يقدّمه، هو نصه، وما يمكن لنصه أن يقدّمه هو في قراءته والباقي في عهدة القارئ، قارئ متعدد الألسنة، يتعرض له دون علم منه، فهو نفسه رهانه ومرهنه في آن. حيث الروائي هو كاتب روايته، وهذه ليست محميته، وقد دفع بها إلى النشر، بمقدار ما يكون هو نفسه، وككاتب، عرضة لضروب المساءلة اللامتوقعة، وإدخاله إلى خانة التساؤلات، ومباغتته أحياناً بتسمية ما أغفل عنه، وهو غير مدرك له. فثمة جانب من العمى الذاتي، من الغفلة الكامنة فيه، لا تتوارد إلى ذهنه، وهو إذا يكتب روايته، فلكي يقاوم نسياناً ما أرهبَه له، وهو يمتد في الزمن، وحين يكتبها، قد يصبح هو ذلك المنسي الأول، وتتركه روايته خلفها. إذ يحدث فك ارتباط لا بد منه، حرصاً على مصلحة الاثنين، ولمصلحة الأدب بالذات، وليس مسمّى الرواية نفسه، بل المأخوذ باسم، قد يُتّخذ ليكون وسيطاً بينه وبين نصه.

أليس القرين، الذي تخوّف منه بورخيس، هو نفسه هذا الوسيط بين كونه الإنسان العادي، والرحالة في الزمن؟ لا رأب للصدع الوجودي بين الاثنين، فهو شرط مطلق ليكون الأدب أدباً.

نعم، هناك ما يفترَض أن يشار إليه، وما يُرى وليس من قبل أيّ كان، كما يؤكد بول ريكور: «إن هذا التبادل عينه بين الذات المتأثرة والآخر المؤثر هو الذي يحكم على الصعيد السردي تمادي قارئ القصة بالأدوار التي تقوم بها شخصيات مكتوبة في غالب الأحيان بصيغة الغائب، وذلك حين تدخل هذه الشخصيات في صياغة حبكة القصة، في وقت واحد، مع الأحداث المروية. إن المطالعة، بما هي المحيط الذي يتم فيه تحويل عالم القصة – وبالتالي عالم الشخصيات الأدبية كذلك – إلى عالم القارئ، تشكل مكاناً ممتازاً وصلة ممتازة لتأثر الفاعل القارئ».

لتنقسم الذات الواحدة إلى ذوات، وهذه تستمر في الانشطار والانتثار، وهي في قابليتها للانقسام، قابلة للتنوع، ليكون هناك تفسير وتأويل ومزج بينهما. إنه درس الأدب الذي لا يكتفي بالتعليم، وإنما يراهن على اللامتعلَّم، على معايشة المجهول، لإبقاء قوى النفس في وضعية اليقظة، لتكون المتعة المنشودة، أو المتعة المترتبة عليها، والمميَّزة جداً قائمة بالفعل، وهي ناقصة، كما تقتضي الكتابة الفعلية.

والحديث عن درس الأدب هنا لا يقتصر على نوع معين، وإن كانت الرواية معتبَرة بحظوتها أكثر هنا. إذ حتى الإبداع يجري الإعداد والاستعداد له. ومن المؤكد أن التعلم لا يعني الإبداع حرفياً، سوى أنه يسهم في تنمية الملكات الدافعة إلى ذلك، بمقدار ما يهيء الأرضية التي من شأنها بناء مجتمع الإبداع والنقد بالتوازي. ألم ينوّه إلى هذه العلاقة الخاصة، بشأن كيفية الإقبال على ما هو إبداعي وقراءته، من قبل جيزيل سيجينجر، حول فلوبير والفلسفي: «كل ما يمكننا فعله هو، بحكم المهارة، تشديد أوتار الغيتار التي تم كشطها عدة مرات، وقبل كل شيء لنكون موهوبين، لأن السذاجة في عصرنا هي وهم». (رسالة إلى لويز كوليت، 4 أيلول/ سبتمبر 1852).

ما يدخل في حكم الموهبة، نعم، لأن هذه تسمّي الطبيعة ذات الغرائب والعجائب، وما يدخل في فضاء الاستثناء بمفهومه الإبداعي الروائي، ينوّه إلى المقام «السامي» للرواية اعترافاً تاريخياً بدورها الجمالي الخاصة، وهي أهواء مصدرها عالم آخر غير عالم النص، ولا يقوم النص سوى بإثارتها بشكل عرضي».

ثالثاً، ما يجب على القارئ المزكّى هنا أن يكونه في الامتلاء بالمعرفة المطلوبة: «يبدو أنه من واجب القارئ أن يكون على اطلاع واسع على العالم الواقعي لكي ينظر إليه باعتباره الأساس الذي يشيد عليه العالم التخييلي». من المؤكد أن توضيحاً من هذا النوع، يبدد الكثير من أوجه اللبس ذي الصلة بمفهوم «القارئ»، حين نعلم جيداً، أننا نكون قرّاء، إنما أي قراء نحن، ووفق أي مقياس؟

لا بد أن هناك علاقة مضاءة، حيث كل ناقد قارئ، وإلا لما كان ناقداً، وأن مدى اتقانه لقراءة تلك النصوص التي تشهد له ببراعة النفاذ إلى داخلها، ومن ثم مساءلة سرها، وقوة هذا السر، والعكس ليس صحيحاً. كما هو الكم الكبير من القراء الذين نلتقي بهم، أو نقرأ لهم، باعتبارهم نقاداً، ولكنهم لم يتأهلوا قرائياً بعد، من خلال نوعية ما يكتبونه، ويذيلونه بأسمائهم وصفتهم بالمقابل.

وأطروحتي، إذا قمت بتبسيطها، هي أن الرواية واحدة من الأماكن المميزة التي ينعكس فيها هذا التساؤل بأكبر قدر من الاتساع، والأكثر دقة، حيث يتم إحياء «السؤال القديم» ولكن وفقاً لتصريفات فردية، وإجابات جزئية، وغير قابلة للتقرير. أطرح حدساً كبيراً لفالتر بنيامين الذي يرى في الرواية الحديثة البحث العاطفي عن معنى الحياة في الوعي المنفصل والانفرادي. في مقال كثيف ومشرق، يوضح دومينيك رابانيه كيف أن الرواية الحديثة قدمت منذ البداية مساحة مفتوحة للأسئلة الناتجة عن الفردية وتراجع الأشكال التقليدية لنقل التجربة. لماذا نقرأ؟ ماذا تخبرنا الروايات عن «اللغز الملتهب لمعنى الحياة»، على حد تعبير فالتر بنيامين؟ هذا هو السؤال الوحيد الصحيح في الأدب. يؤكد دومينيك رابانيه أنه من الضروري «إعادة الرواية إلى قلب الجدل، وإعادة فضيلتها الجدلية»، لأن الرواية تقدم لنا إمكانية التفكير في الحياة في غموضها، فكرة لا تخلو من عواقب سياسية.

سأرتد إلى الوراء قليلاً، إنما حيث يكون نظري مثبتاً على محتوى ما أوردته آنفاً، وسؤالي الذي يهمني جهة ما يشغلني بحثياً: ما الذي يلزمني بالبحث عن حقيقة سؤال كهذا، وأنا هنا؟ أي حكمة تكلّفني تعباً وصداعاً وربما أكثر من ذلك، جرّاء هذا المفحص عنه، أو الانشغال به في صمت، أو من وراء مسافات طويلة، إن لم يكن في ذلك استنارة بالآخر؟

إننا لا نكتبُ إلا لأن هناك من نلمحه عن بعد، من نفترضه قارئاً لنا، وبالعكس، حيث الكتابة تضفي جمالية ذات تجذّر روحي، ما كان لها أن تحدث لولا هذا الارتحال عبر الكتابات والقراءات، أبعد من مجرد الفضول، أو تزجية الوقت، طالما أن المكتوب يتضمن حساً جمالياً، وما فيه من نكهة مستساغة، أو أن المقروء يدفع بقارئه إلى تأمل ما يتعدى حدود المرئي، ما يخص الآخر البعيد، ومحاورته، والشعور بحيوية الحوار عن بعد.

من هنا كان هذا الدأب، هذا الانكباب داخلاً وخارجاً، على تقاسم الفنون والآداب، لأن في ذلك تشاركاً وجودياً محتفىً به، أو لأن الوجود لا يتاح إلا عبْر هذه المزدوجات المتجاذبة.

البأخ، هو الذي دفع بمقولة قد تصدم في بنيتها، أو في محتواها، إنما للتأكيد على مأثرة الرواية الكبرى، بصدد «قوة الروائي» وكاريزميته!

إن هذا الامتثال لسلطة الآخر، وهو الكاتب المبدع، لا يمثّل طوعية ذات الممتثل لاستبداد الممتثَل له، إنما هو احتفاء متبصر بواقع غير موجود، إلا بوصفه ندرة. إنه الامتثال الذي يتعدى عتبة الرؤية المباشرة، صوب منفتح ما كان له أن يشار إليه، أن يبعث على البهجة لولا هذا الروائي الذي أشير إليه بالطريقة الآنفة الذكر.

إنه الاتجاه المعاكس للوارد إلى الذهن مباشرة، وهو الاتجاه المقابل لخط تحرك الروائي الذي يتألق نجما هنا.

روائي يدشّن عالماً، وهو العالم الذي ينغلق على أي كان، وليس أياً كان، يفتح بقدرات يتطلبها الإبداع.

وثمة قارئ وقارئ، لأن ثمة روائياً وروائيا.

ولإمبرتو إيكو أن يضيء صفحة هذه العلاقة، مقام الندرة في فضاء الإبداع، وهو المتمرس في هذا الشأن: أولاً، ما يخص القارىء المطلوب: «على قارئ كل نص سردي أن يكون مستعداً للاختيار، بل يمكن قول أكثر من ذلك: إن هذا الاختيار يتجلى على مستوى كل الملفوظات، أو على الأقل ضمن أي فعل متعدّ. ففي اللحظة التي سينهي فيها المتحدث جمله، فإننا نقدّم، ربما بشكل لا شعوري، رهاناً نستبق اختياره أو نتساءل بأسى إلى أي الاختيارات سينحاز». أي ما يخرج النص عن نطاق سيطرة قراءة معينة، وتابعة لسلطة تفسيرية مؤطرة، ليكون في مقام النص!

ثانياً، ما يفرق القارئ النموذجي عن القارئ الفعلي: «إن القارئ النموذجي في قصة ما ليس هو القارئ الفعلي، إن القارئ الفعلي هو أي كان، نحن جميعاً، أنت وأنا ونحن نقرأ النص، فهذا القارئ قد يقرأ بطرق مختلفة، فلا وجود لقانون يفرض عليه طريقة معينة في القراءة. وعادة ما يتخذ النص وعاء لأهوائه

تونس: مهرجان المدينة يعود ضاربا موعدا مع الإبداع والأصالة

تونس- «القدس العربي»: روعة قاسم

شهد شهر رمضان في تونس لهذا العام حدثا ثقافيا هاما تمثل في عودة واحد من أهم المهرجانات الثقافية في أرض القرطاجيين ألا وهو مهرجان المدينة الذي احتجب لسنتين بسبب جائحة كورونا وذلك خلافا لمهرجانات تونسية أخرى لم تعرف الانقطاع رغم الجائحة. فلهذا المهرجان، الذي ينتظم بمناسبة شهر رمضان ليؤثث لياليه بالعروض الفنية في بلد يعشق الثقافة إلى حد النخاع، جمهوره الخاص ومريدوه الذين يقبلون عليه بشغف وهو الذي حافظ على رقيه ولم يسقط في فخ الشعبوية ولم يشرع أبوابه بوجه العروض التجارية أو الهابطة.

وقد كان المسرح البلدي الفخم في مدينة تونس، الذي يعبق أصالة وجمالا في معماره الشبيه بأروع المسارح الأوروبية والروسية القديمة، شاهدا على انطلاق الدورة 38 لمهرجان المدينة في جو بهيج حضره عدد هام من الفنانين والوجوه البارزة في الساحة الثقافية التونسية. كما حضر الافتتاح جمهور غفير وهام من حيث العدد غصت به كراسي المسرح البلدي، جاء متعطشا للعروض الفنية والثقافية ولما يتم تأثيث السهرات به في هذا المهرجان الراقي الذي قاطع من أجله في وقت ما الفنان اللبناني مارسيل خليفة باقي المهرجانات التونسية وصار وفياله بالنظر إلى مستوى عروضه.

لقد تم الافتتاح بعرض موسيقي للفرقة الرشيدية، وهي الفرقة العريقة التابعة للمعهد الرشيدي للموسيقى التونسية أو المدرسة الرشيدية، التي تأسست سنة 1934 بغاية إحياء وتطوير الإرث الموسيقي للبلاد على يد مجموعة من المثقفين التونسيين وأعيان البلاد. وسميت بهذا الاسم نسبة إلى محمد الرشيد وهو أحد الأدباء والموسيقيين الذين ظهروا في القرن الثامن عشر، وينتمي إلى العائلة الملكية الحسينية المطاح بها سنة 1957 وقد تخلى عن عرشه عشقا للموسيقى التونسية العتيقة. وبالتالي فقد استجاب المهرجان لذوق الجماهير الوفية الباحثة عن العروض الراقية والتي ترتاده منذ سنوات، كما أنه تجذر في هويته الموسيقية التونسية وفاء للأقطاب من مؤسسي الرشيدية ولن انتمى لاحقا إلى هذا المعهد ولم يكن من المؤسسين.

لقد عاش الجمهور ليلة استثنائية استمتع خلالها بالتراث الموسيقي التونسي الأصيل ومقاماته الساحرة التي استعملها الرواد في تلحين وغناء أروع المعزوفات والأغاني الخالدة التي تم توثيقها والحفاظ عليها في مكتبات موسيقية هامة وأرشيفات على غرار مركز النجمة الزهراء للموسيقى العربية والمتوسطية. فقد شعر من عاش تلك الليلة أنه عاد إلى عصر أحمد الوافي، وصالح المهدي الملقب بزرياب تونس، وخميس الترنان، وغيرهم من أقطاب الموسيقى التونسية ومؤسسيها الأوائل.

لقد أحالت أصوات الألحان الشجية المنبعثة من الآلات الموسيقية التي أبدعت في توظيفها أنامل العازفين المهرة من أبناء الرشيدية وكذا الكورال الغنائي المصاحب للفرقة الموسيقية، الذي تعلم الإنشاد على أصوله بالمعهد الرشيدي، المستمعين إلى زمن جميل ولى واندثر ازدهرت فيه الموسيقى التونسية بشكل لافت. ولعل من العوامل التي ساهمت في ازدهار الفن الموسيقي في أرض الخضراء هو الهجرات الأندلسية بأعداد كبيرة، ومنذ العهد الحفصي وصولا إلى فترة العثمانيين، حيث بات تراث الأندلس رافدا هاما من الروافد التي ساهمت في تطوير الموسيقى التونسية.

لقد صدحت أصوات المنشدين في الكورال بالموشحات الأندلسية في حنين إلى زمان الوصل في قرطبة وغرناطة وإشبيلية وطليطلة ومالقة وغيرها من المدن والحواضر والأقاليم الأندلسية التي شيد الكثير منها القرطاجيون في عصور ما قبل الميلاد وورثها الرومان والإيبيريون والقوط وزاد من بهائها العرب الذين حكموا تلك البلاد لثمانية قرون. ففي الموشحات شعور بالإنتماء لمكون هام من مكونات الشعب التونسي وهو المكون الأندلسي الذي حل جزء كبير منه بهذه الديار التونسية بطلب من أحد سلاطين بني حفص الذي شجع الهجرة الأندلسية إلى الخضراء بسبب تراجع أعداد ساكنتها بفعل وباء ضرب البلاد، فوفر لهم الأراضي الفلاحية الخصبة وكل ما يساعدهم على تأمين العيش الكريم الذي لم يعد ممكنا في الأندلس مع موجة الاضطهاد الإسباني للمسلمين.

لقد أثبت جمهور مهرجان المدينة الرمضاني أن الذوق العام مازال في القمة ولم تتمكن الموسيقى الهابطة من استهدافه، وأن الفن التونسي العتيق وكذلك الموروث الأندلسي ما زال باستطاعتهما أن يجلبا الجماهير من مختلف الشرائح العمرية. كما أثبتت سهرة الافتتاح أن الرشيدية أو المعهد الرشيدي ما زال على عهده حافظا للتراث الموسيقي والغنائي التونسي وقادرا على القيام بدوره على أكمل وجه باحترافية استثنائية تليق بعراقته وبالغاية التي بعث من أجلها.

وللإشارة فقد بقي المهرجان وفيا لعاداته في شهر رمضان حيث يخصص سهرة خاصة للموسيقى الصوفية والروحية والإنشاد الديني الذي تلقى عروضه باستمرار إقبالا جماهيريا لافتا باعتبار انتشار الإسلام الطرقي في تونس منذ قرون وتجذره في ربوع المنطقة المغاربية بوجه عام. ولقيت عروض صوفية مثل الحضرة، نجاحا لافتا في السابق سواء في تونس أو خارجها، ولا يمكن تصور مدينة تونس العتيقة في شهر رمضان من دون إنشاد صوفي ينبعث من أماكن العرض على غرار دار بن عاشور ودار لصرم ودار الثقافة بئر الأحجار والنادي الثقافي الطاهر الحداد وغيرها.

ومن بين العروض التي يشهدها مهرجان المدينة عرض للفنان الموسيقي العراقي محمد العطار الذي ينتظره الجمهور التونسي للاستمتاع بالتراث الموسيقي العراقي العتيق الذي يعبق أصالة وتاريخا ضاربا في القدم. لقد عشق التونسيون نصير شمة الذي أثث سهرات مهرجان المدينة في سنوات سابقة بعوده الشجي، وقدم عروضا ناجحة، وجاء الدور اليوم على محمد العطار، هذا الشاب اليافع الذي يشق طريقه بنجاح في عالم الفن الملتزم والراقي والذي استطاع لفت الانتباه إليه في السنوات الأخيرة.

كما يتضمن المهرجان حفلا فنيا هاما للفنان التونسي لطفي بوشناق في قاعة الأوبرا الضخمة بمدينة الثقافة كتكريم لهذا الفنان الذي قدم الكثير للفن التونسي وغنى ولحن كل الأنواع الموسيقية وبرع فيها. ويدرك القائمون على المهرجان ومنظموه بوزارة الثقافة التونسية أن للطفي بوشناق جمهورا غفيرا يشاهد عروضه أينما حل وتغص به قاعات العرض لذلك وقع الاختيار على مدينة الثقافة وعلى قاعة الأوبرا الكبرى لعلها تستطيع استيعاب الجماهير التي ستتوافد للاستماع إلى الفن الراقي الذي يقدمه بوشناق منذ أن انطلق يافعا في عالم الفن والغناء وإلى يوم الناس هذا. لقد أقبل التونسيون على العروض الفنية الراقية لمهرجان المدينة متحدين الوضع الإستثنائي الذي يمر به البلد متجاوزين مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية - فكل شيء يهون على ما يبدو في سبيل الثقافة والاستماع للفن الراقي الذي تحول إلى متنفس هروبا من ساحة سياسية خانقة لا مكان فيها إلا للأزمات والمشاكل والصراعات الحزبية أينما ولى المرء وجهه.

تحقيقات

فرنسا: مشهد سياسي جديد لا يخلو من المفارقات على ضوء رئاسيات 2022

باريس»–القدس العربي»: آدم جابر

مثلت الانتخابات الرئاسية، الـ11 بالاقتراع العام المباشر للجمهورية الخامسة إعادة تنظيم المشهد السياسي الفرنسي، حيث تركزت الأصوات المرتفعة لصالح ثلاثة مرشحين: الرئيس المنتهية ولايته الوسطي إيمانويل ماكرون الذي حصل على نحو 28 في المئة من الأصوات، ثم اليمينية المتطرفة مارين لوبان التي حصدت نحو 23 في المئة من الأصوات، واليساري الراديكالي جان ليك ميلانشون الذي حصل على نحو 22 في المئة من الأصوات، متبوعا باليميني المتطرف المثير للجدل إريك زمور، الحاصل على نحو 7 في المئة من الأصوات. في المقابل، مُني حزب «الجمهوريون» اليميني التقليدي والحزب الاشتراكي بهزيمة تاريخية، أتت لتؤكد تلك التي تعرضت لها قبل خمس سنوات في الانتخابات التي أتت بالوسطي الشاب إيمانويل ماكرون إلى سدة السلطة.

خريطة سياسية جديدة

أفرزت رئاسيات عام 2022 وبشكل واضح عن توزيع جديد يعمل حول قطب مركزي يشغله الرئيس الوسطي المنتهية ولايته إيمانويل ماكرون، الذي حسن نتيجته لعام 2017 بمقدار 4 نقاط، محاطا بكتلتين احتجاجيتين بقيادة مارين لوبان، مرشحة حزب «التجمع الوطني» (23.41 في المئة) على أقصى اليمين وجان ليك ميلانشون (21.95 في المئة) على أقصى اليسار. ويجمع أصوات إريك زمور، مرشح حزب «الاسترداد» اليميني المتطرف، ونيكولا ديبون إينيون، مرشح حزب «ففي يا فرنسا» اليميني المتشدد، فإن مجموع أصوات أقصى اليمين هو 32.53 في المئة من الأصوات، بينما يمثل إجمالي الأصوات على اليسار 30.58 في المئة. وعليه، يمكن القول إن المشهد السياسي الفرنسي تمت إعادة تعريفه حول ثلاث قوى سياسية: كتلة توحد يسار الوسط ويمين الوسط، يجسدها إيمانويل ماكرون، وأخرى تمثل اليمين المتطرف، بقيادة مارين لوبان، وثالثة يسارية راديكالية، يجسدها جان ليك ميلانشون.

يشكل هذا الواقع الجديد الذي أفرزته الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية التي جرت يوم الأحد الماضي، زلزالا مزدوجا بالنسبة للتشكيلتين الفرنسيتين الرئيسيتين اللتين هيمنتا على غالبية الحياة السياسية للجمهورية الخامسة منذ عام 1958؛ الحزب الاشتراكي وحزب «الجمهوريون» اليميني الديغولي. حول هذه النقطة يقول الباحث السياسي الفرنسي غايل بروستير في تصريح لإذاعة «فرانس انتر» الفرنسية: «بدأنا في تفكك وإعادة تشكيل الحياة السياسية الفرنسية منذ عام 2017 مع صعود الماكرونية (نسبة إلى ماكرون) وانهيار الحزب الاشتراكي. وشهدنا الأحد الماضي الموسم الثاني، مع تأكيد تفتيت الحزب الاشتراكي، وتفكك حزب الجمهوريين الذي يعد الركيزة التاريخية الثانية للمشهد السياسي الفرنسي».

«الديغوليون» بين التفكك والإفلاس

فمع أقل من 5 في المئة من أصوات الناخبين، يفقد حزب «الجمهوريون» اليميني الديغولي بالتأكيد مكانة الحزب الرئيسي. علاوة على ذلك، فإن رحيل الشخصيات المؤثرة داخل الحزب الذي بدأ مع وصول إيمانويل ماكرون إلى سدة الحكم قبل خمس سنوات (إدوار فيليب، رئيس الوزراء السابق. جان كاستيكس، رئيس الوزراء الحالي. برونو لومير، وزير الاقتصاد الحالي. جيرار دارمانان، وزير الداخلية حاليا وأيضا كريستان استروزي، عمدة نيس. وغيرهم. حتى الرئيس الأسبق نيكولا ساركوزي يبدو أنه يميل أكثر لدعم ماكرون) مرجح أن يتضاعف، ما قد يؤدي إلى ذوبان وزن الحزب داخل الجمعية الوطنية كالثلج تحت أشعة الشمس، على ضوء الانتخابات التشريعية التي ستشهدها البلاد في الفترة ما بين يومي الثاني عشر والتاسع عشر من حزيران/يونيو المقبل.

وفي الوقت الذي يبدو فيه أن حركة الرئيس إيمانويل ماكرون «الجمهورية إلى الأمام» باتت اليوم متموضعة في الوسط، وأصبحت خاصة ممثلة ليمين الوسط في فرنسا، فإنه من المحتمل أن يكون حزب «الجمهوريون» محل حرب داخلية عنيفة بين جناحه المتشدد وجناحه المعتدل، على خلفية الانسحابات المتتالية لشخصياته المعتدلة الرئيسية نحو حركة إيمانويل ماكرون «الجمهورية إلى الأمام» أو نحو الوافد الجديد حزب «الأفق» الذي أسسه إدوار فيليب.

على اليسار، واصل الحزب الاشتراكي

انهياره الذي بدأ منذ عام 2017 مع قرار الرئيس الاشتراكي فرانسوا أولاند عدم الترشح لفترة رئاسية ثانية على خلفية التراجع القياسي لشعبيته والانقسام الشديد داخل حزبه، ثم حصول مرشح الحزب حينها بنوا آمون على نحو 6 في المئة من أصوات الناخبين في الجولة الأولى من الانتخابات. وأتت النتيجة التي حصلت عليها مرشحة الحزب آن هيدالغو في اقتراع يوم الأحد الماضي بحصولها على 1.7 في المئة من الأصوات لتؤكد انهيار هذا الحزب العريق، على غرار حزب «الجمهوريون» بعد تعاقبهما على السلطة والهيمنة على البرلمان على مدى عقود متتالية.

وفي سابقة من نوعها، فشل الحزبان التقليديان العريقان من الوصول إلى 5 في المئة من أصوات الناخبين، وهو السقف المطلوب لسداد نفقات الحملة الانتخابية بالنسبة للمرشحين للانتخابات الرئاسية الفرنسية. وسارعت مرشحة حزب «الجمهوريون» فاليري بيكرس، التي حصلت على 4.8 في المئة من الأصوات، إلى الإعلان أن الوضع المالي لحزبها في حالة مقلقة، وأنها هي شخصياً مدينة بنحو خمسة ملايين يورو، مطلقة نداءً وطنياً للتبرعات. ومن شأن هذه الأزمة المالية أن تلقي بظلالها بقوة على حملة الحزب في الانتخابات التشريعية المقبلة، والحزب يواجه أصلا هجرة مجموعة من قياداته التي توصف بالمعتدلة.

رغم النتائج: بعض المفارقات

رغم النتائج التي أسفرت عنها الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية لعام 2022 إلا أن ثمة مفارقات توقف عندها المراقبون والمحللون السياسيون في فرنسا. أولى هذه المفارقات، أن مارين لوبان، رغم وصولها إلى الجولة الثانية للانتخابات الرئاسية واحتمال وصولها إلى سدة الحكم يوم الأحد المقبل، فهزيمتها متوقعة بنسبة كبيرة، ويرى مراقبون أن من شأنها أن تضعف قيادتها التي سبق وأن كانت موضع شك داخل حزبها، الذي انضمت شخصيات منه إلى حزب زمور. ويعتبر محللون أن عدم حصولها على أكثر من 40 في المئة من الأصوات في الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية يوم الأحد المقبل قد يفقدها المزيد من الثقة داخل معسكرها. كما أن بروز إيريك زمور، الأكثر تطرفاً منها، على الساحة السياسية مع حزبه حديث النشأة «الاسترداد» الحاصل على المرتبة الرابعة بحوالي 7 في المئة من الأصوات في أول استحقاق يخوضه، يعني أنه أصبح لدى لوبان الآن منافس لاذع.

المفارقة الثانية، جان ليك ميلانشون باعتباره الفائز الأكبر على اليسار، حصل على نتيجة كان يحلم الحزب الاشتراكي في الحصول عليها في 2002 أو 2017 لكنها لم تكن كافية لوصوله إلى الجولة الثانية في مواجهة إيمانويل ماكرون. ومع أنه يفخر بكونه بنى قوة سياسية خلفت الحزب الاشتراكي الذي كان منتمياً إليه ذات يوم، إلا أنه مع ذلك لا يخطط للترشح مجدداً للانتخابات الرئاسية. وبالتالي فإن مراقبين ومحللين يرون أن القوة التي يجسدها ميلانشون، البالغ من العمر 70 عاماً، مهددة بالتفكك.

ثمة مفارقة أخرى، تتمثل في كون حزب «الخضر» أنصار البيئة تلقى هزيمة في صناديق الاقتراع، لكنه فاز في معركة الأفكار. فرغم حصول مرشحه يانيك جادو على 4.6 في المئة فقط من الأصوات في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية، مع أن هناك حالة طوارئ مناخية وتغطية إعلامية كبيرة حول الوعي بالتحدي البيئي، إلا أن الحزب فاز بمعركة الأفكار، مع تحضير حقيقي للبرامج، لدرجة أن الناخبين فضلوا البرنامج الكامل ولكن الأخضر للغاية لجان ليك ميلانشون أو لإيمانويل ماكرون بدرجة أقل. وتعد الانقسامات الداخلية من أسباب فشل هذا الحزب، الذي حقق انتصارات مهمة في الانتخابات البلدية الأخيرة. كما أن المشروع المجتمعي المقترح يغطي فقط الموضوعات البيئية والاجتماعية.

تطلع إلى أصوات اليسار للوصول إلى الإليزيه

قبل أسبوع من موعد الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية ومعرفة ساكن الإليزيه في السنوات الخمس المقبلة، يبدو إيمانويل ماكرون في موقع قوة لإعادة انتخابه، بعد أن قام بتحسين درجاته لعام 2017 على عكس كل من سبقوه (نيكولا ساركوزي، فاليري جيسكار ديستان، إلخ). فرغم السخط الكبير على سنواته الخمس في الحكم، إلا أن ذلك لم يؤثر عليه في صناديق الاقتراع، وإن كانت استطلاعات الرأي تتوقع فوزه على مارين لوبان يوم الأحد المقبل، بنسبة تتراوح بين 53 و55 في المئة، وهي أقل بكثير مما حققه أمامها قبل خمس سنوات بفوزه بنسبة 64 في المئة مقابل 36 في المئة لمارين لوبان. كما أن هناك غموضاً، خاصة، حول نسبة المشاركة وكيفية تصويت الناخبين الذين أيدوا جان ليك ميلاشنون، الحاصل على نحو 22 في المئة في الجولة الأولى يوم الأحد الماضي. وهذا ما يفسر تطلع ماكرون ولوبان، نحو اليسار لاستقطاب ناخبي ميلانشون، الذين بإمكانهم إحداث الفرق في الدورة الثانية يوم الأحد المقبل.

وأيا كانت النتيجة يوم الأحد المقبل، فإن من الواضح أن المشهد السياسي الفرنسي يتجه إلى الانقلاب رأساً على عقب في الأشهر الستة المقبلة، على ضوء النتائج التي أفرزتها صناديق الاقتراع يوم الأحد الماضي وفي ظل التحديات الجديدة ولوحة الشطرنج السياسية التي أعيد تشكيلها، مع بروز فاعلين جدد على غرار إريك زمور.

ميديا

غضب واسع على شبكات التواصل في مصر بعد مقتل خبير اقتصادي بالتزامن مع تدهور الجنيه

لندن ـ «القدس العربي»:

أشعلت وفاة خبير اقتصادي بشكل غامض في مصر موجة من الغضب والجدل على شبكات التواصل الاجتماعي، وسرعان ما أصبح اسم «أيمن هدهود» على قائمة الوسوم الأوسع انتشارا والأكثر تداولا في مصر، خاصة وأن مقتله جاء متزامناً مع تفاقم الأزمة الاقتصادية في البلاد والتي ظهرت تجلياتها بهبوط حاد في سعر صرف الجنيه.

وكان الباحث الاقتصادي أيمن محمد علي هدهود قد اختفى منذ يوم الثالث من شباط/ فبراير الماضي، فيما قالت عائلته إنها علمت في وقت لاحق بأنه معتقل لدى أجهزة الأمن المصري، لكن المفاجأة كانت أنهم تلقوا بلاغاً بوفاة هدهود يوم الأحد العاشر من نيسان/أبريل الحالي، وهو ما أشاع الاعتقاد بأن وفاته لم تكن طبيعية، بينما نفت الأجهزة الرسمية أي شبهة في الحادثة.

وحسب رواية شقيقه، فإن أيمن تعرّض للإخفاء القسري في مساء يوم 3 شباط/فبراير الماضي، بعد تناول العشاء معه في حيّ الزمالك بقلب العاصمة القاهرة، مشيراً إلى أنه احتجز بعد أيام من اختطافه في قسم خاص بمستشفى العباسية للصحة النفسية، على خلفية إصابته بحالة من الاضطراب النفسي في أعقاب احتجازه، وتعرضه للتعذيب.

وكان الخبير الاقتصادي الراحل قد ترشح عن حزب «الإصلاح والتنمية» في انتخابات مجلس الشعب عن دائرة الزيتون في القاهرة عام 2010 غير أنه خسر أمام منافسه الرئيس السابق لديوان رئاسة الجمهورية زكريا عزمي. وهدهود خبير اقتصادي وخرّيج الجامعة الأمريكية في القاهرة، وهو عضو بارز في حزب الإصلاح والتنمية وعضو في المجلس القومي لحقوق الإنسان.

وجاءت وفاته بالتزامن مع الهبوط الحاد في سعر صرف الجنيه المصري واتضاح ملامح الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها البلاد أكثر من أي وقت مضى، إضافة إلى الحديث عن ارتفاع حاد في المديونية العامة لمصر.

وكتب الفنان عمرو واكد بأن قضية هدهود قد تنسحب على كل الشعب المصري قائلاً: «الله يكون في عون الشعب المصري. لا أحد آمن فيها. حقيقة مرعبة».

أما المحامي جمال عيد فكتب يقول: «اللي ضربوني في الشارع وكسروا ضلوعي كان معاهم طبنجات ولاسلكي وموتسيكل وعربية ميكروباص، والنيابة سمعت الشهود وشافت الكاميرات، وقمت باتهام ضباط، النيابة لم تحقق معهم، وحفظت القضية، رغم أنها جريمة إرهابية ويصبر أهله».

وهاجمت الناشطة منى سيف، الأطقم الطبية قائلة: «كم الجرائم المرتكبة من الأمن الوطني المتواطئ فيها أطباء ودكاترة عاملين في أماكن حكومية، مرعب... في يوم لازم كل دكتور شارك في تعذيب أو طمس تعذيب مواطن، يتحاكم ويتحاسب قبل الضباط».

وأضافت في تغريدة ثانية: «ده أنا اللي ما أعرفش أيمن هدهود حاسة قلبي هينفجر مع كل تفصيلة تتكشف.. ايه البشاعة دي؟ خلاص كله بقى مسخ! داخلية ونيابة ودكاترة ومستشفى.. كل دول نجحتوا تحولوهم لسفاحين بالشكل ده؟!.. كل دول مستعدين يتشاركوا دم بني ادم اتقتل بالوحشية دي؟».

أما خالد البشري فاعاد التذكير بحالات مماثلة مثل حالة مصطفى النجار المختفي قسرياً هو الآخر، وقال: «حد فاكر دكتور مصطفى النجار اللي اختفى في ظروف غامضة من كام سنة ومحدش عارف هو فين في بلد الأمن فيها بيعد الناموس والدبان وعارف تمامه؟ أيمن هدهود كمان اختفى قسرياً وبعدين الأمن قال انه اتجنن وودوه مستشفى المجانين والنهاردة انتحر في ظروف غامضة في جمهورية الخوف اللي احنا فيها».

ونشر الناشط محمد عبد الرحمن صورتين واحدة للطالب الإيطالي جوليو ريجيني الذي قُتل في مصر، والثانية للباحث الاقتصادي أيمن هدهود، وكتب معلقاً على الصورتين: «شخصين مختلفين في الشكل والملامح والفكر والدين والاتجاه.. ولكن نهايتهم واحدة، النظام المصري لا يفرق في القمع.. الاول قتلوه كما لو كان مصرياً، والثاني قتلوه لانه مصري».

وكتب ناشط مصري مقيم في نيويورك بالولايات المتحدة ويُدعى خالد قائلا: «ستظل مصر مسكونة لأجيال بسبب الجرائم التي ارتكبها الدكتاتور المفضل لترامب: السيسي وعائلته».

ونشر معلق يُدعى محمد صلاح تغريدة بالانكليزية يقول فيها: «ربما قاموا بقتله في مستشفى الطب النفسي بصعقة كهربائية عالية خلال جلسات العلاج بالصدمات الكهربائية بدعوى أنه رجل مجنون، لكنه ليس كذلك.. كان رجلاً حراً وعالماً».

وغردت سارة خورشيد: «الدليل على الوفاة غير الطبيعية للباحث الاقتصادي يمتد ليشمل الأمن الوطني والنيابة العامة ومستشفى العباسية للصحة النفسية».

وعلق الصحافي أحمد شلبي بالقول: «نستنكر جهود الحكومة المصرية المستمرة لإخفاء الحقيقة وإخفاء المعلومات حول وفاة الباحث الاقتصادي، الذي علمت عائلته بوفاته في 9 نيسان/أبريل بعد أن رفضت السلطات الأمنية والقضائية الكشف عن مكان وجوده».

وكتبت حنان خيري: «كيف عاش هذا الرجل الصالح لحظات عذابه وموته؟ وكم عدد القتلى على يد شرطة الديكتاتور السيسي الذين دفنوا في مقابر مجهولة كما كانت ختلهم لدفن أيمن هدهود؟ ثماني سنوات من العيش في هذا الرعب اللامتناهي».

وعلق الباحث والكاتب عمرو مجدي بنشر فيديو يصور بعض أساليب التعذيب في المعتقلات، وأضاف قائلاً: «بعض مما يمكن أن يفعل أصغر ضابط شرطة في مصر بأي إنسان معتقل في أماكن الاحتجاز. أساليب التعذيب تلك بالتأكيد يمكن أن تؤدي للوفاة كما وقع في حالات كثيرة. أو التأثير على الصحة العقلية والنفسية بأثار تبقى مدى الحياة».

وغرد حسام الغمري، وهو نائب رئيس حزب غد الثورة، قائلاً: «أتابع ما ينشره رموز من التيار المدني في قضية أيمن هدهود فأجدها كما توقعت أو كما أتمنى تبشر بانتفاضة لهذا التيار الذي هو الوريث الشرعي للحركة الوطنية التي قادها سعد زغلول والمنوط باستكمال ثورتنا الأم.. تقرير النيابة فاجر، والضابط أحمد فوق الحساب».

وغرد الدكتور تقادم الخطيب: «هل لك أن تتخيل أيمن هدهود محتجزا عند الأجهزة الأمنية منذ فبراير وقُتل منذ شهر، وأخفوا جثته، وكان هناك تخطيط لدفنه في مقابر الصدقات لإخفاء الجريمة، وحينما ضغط أهله أخرجوا لهم الجثة.. هل لك أن تتخيل ما وصلت إليه الأجهزة الأمنية؟!... اللي حصل مع أيمن ومن قبله مصطفى النجار وغيرهم، مرعب جداً».

وكتب الصحافي جمال سلطان: «شقيق أيمن هدهود الذي اختطفه الأمن الوطني ومات في المستشفى، ذهب إلى النيابة للحصول على تصريح دفن، فأصدرت له النيابة تصريحا بدفن الجثمان في مقابر الصدقة باعتبار أنه شخص مجهول الهوية، فرفض شقيقه استلام التصريح، وقال إن أيمن كان محتجزا في الأمن الوطني – النيابة هي محامي الشيطان».

وعلق أحد النشطاء بالقول: «جريمة قتل أيمن هدهود شاركت فيها وزارة العدل متمثلة في النيابة العامة وزارة الصحة متمثلة في الطب الشرعي ووزارة الإعلام متمثلة في مطبلتيه بلحة».

يشار إلى أن العديد من المنظمات الحقوقية تؤكد أن «الإهمال الطبي في السجون ومقار الاحتجاز هو سياسة قتل بطيء تنتهجها السلطات المصرية تجاه خصومها، وذلك رغم حملاتها الإعلامية المستمرة لتأكيد احترام حقوق المحتجزين، وعلى رأسها الحق في تقديم الرعاية الصحية».

وبحسب منظمة «نحن نسجل» الحقوقية، تُوفي 60 محتجزاً داخل السجون المصرية في عام 2021 و774 آخرين داخل مقارّ الاحتجاز المختلفة في السنوات السبع التالية لانقلاب الجيش على الرئيس الراحل محمد مرسي.

عشرون انتهاكاً لحقوق الصحافيين في اليمن خلال ثلاثة شهور

لندن ـ «القدس العربي»:

تبين من أحدث التقارير الصادرة عن نقابة الصحافيين اليمنيين أن العاملين في مجال الإعلام في اليمن تعرضوا لعشرين انتهاكاً موثقاً على الأقل خلال الشهور الثلاثة الأولى من العام الحالي 2022.

ووثقت النقابة 20 حالة انتهاك لحقوق الصحافيين في البلاد خلال الربع الأول من العام الحالي، شملت التعذيب والاعتداء والاحتجاز والتهديد وإيقاف إذاعات أهلية.

وقالت النقابة في تقريرها الدوري، إن جماعة «أنصار الله» المسلحة (الحوثيون) تصدرت القائمة بـ11 انتهاكاً، تليها الحكومة المعترف بها دولياً بـ4 حالات، ونُسب ما تبقى من الانتهاكات لجهات مجهولة.

ووثق التقرير 5 حالات اعتداء على صحافيين ووسائل إعلام؛ منها 3 حالات بحق صحافيين، وحالتان على مؤسسات إعلامية، علماً أن مجهولين يقفون وراء 3 حالات، وحالة واحدة ارتكبتها عناصر أمنية تابعة للحكومة وأخرى ارتكبها مسلحو جماعة الحوثيين.

وسجلت النقابة 5 حالات تعذيب طاولت الصحافيين المختطفين في سجون الحوثيين والمحكوم عليهم بالإعدام (عبد الخالق عمران، وتوفيق المنصوري، وحارث حميد) بالإضافة إلى الصحافية هالة باضاوي، المعتقلة منذ أشهر في محافظة حضرموت (شرقي البلاد).

ولا يزال 10 صحافيين وراء القضبان أو مختفين، منهم 8 صحافيين في سجون الحوثيين، وهم وحيد الصوفي (مخفي قسرا) وعبد الخالق عمران، وتوفيق المنصوري، وأكرم الوليدي، وحارث حميد، ومحمد عبده الصلاحي، ومحمد علي الجنيد، ويونس عبد السلام، فيما يحيط الغموض بمصير الصحافي محمد قائد المقري المخفي قسراً لدى تنظيم القاعدة في حضرموت منذ 2015.

وأعلن محامي الصحافيين، عبد المجيد صبره، أخيراً، عن إطلاق الحوثيين سراح الصحافي كامل المعمري، المختطف منذ أشهر في سجون صنعاء.

ورصدت النقابة حالتي احتجاز حرية، ارتكبت الحكومة حالة منهما، فيما ارتكب مجهولون حالة أخرى.

كما أحصت النقابة حالة تهديد واحدة، فيما سجلت حالة قتل طاولت المصور الصحافي فواز الوافي في مدينة تعز (جنوب غربي البلاد) من قبل مجهولين، ولا تزال ملابسات الجريمة غير واضحة، لترتفع حالات قتل الصحافيين في اليمن إلى 49 حالة منذ عام 2011.

وأغلق الحوثيون، أواخر كانون الثاني/يناير الماضي، ست إذاعات محلية بعد اقتحامها تحت ذرائع «إدارية» تتعلق بتصريح العمل، وتسديد رسوم غير قانونية فرضتها الجماعة المسلحة.

ويفرض الحوثيون رقابة مشددة على نشاط وسائل الإعلام والصحافيين العاملين في مناطقهم، فضلاً عن رصد ما يُنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، ونتيجة لهذه الرقابة تعرّض صحافيون للاعتقال بسبب نشرهم لانتقادات ضد الجماعة.

وأشار تقرير النقابة إلى زيادة القيود المفروضة على العمل الصحافي، فيما حُرم الكثير من الصحافيين من ممارسة مهنتهم بحرية في مختلف مناطق اليمن. وذكر أن هذه القيود أفضت إلى غياب الصحافة المعارضة والمستقلة في كل منطقة، ليتم التعامل مع الصحافي كعدو، ما دفع كثيراً منهم لترك المهنة والعمل في أعمال لا تناسب إمكانياتهم ومهاراتهم ووضعهم، خشية الاعتقال أو الأذى والموت.

ولفت التقرير إلى غياب المؤسسات القضائية والبيئة التشريعية من أجل توفير حماية كافية للصحافيين في ظل غياب وجود حقيقي لسلطات الدولة، واستخدام الأطراف لهذه المؤسسات بطريقة تعسفية، ما يحتم ضرورة تعزيز مساندة الصحافيين والدفاع عنهم بشكل قوي.

وأضاف: «يفتقد الصحافيون المعتقلون الحقوق المكفولة لكل إنسان تُحتجز حريته، وتحفظ كرامته الإنسانية الأصيلة، حيث يتعرضون للمعاملة القاسية والتعذيب، ويحرمون من حق التطبيب والزيارة».

يشار إلى أن منظمة «مراسلون بلا حدود» قالت إن اليمن يقبع في المرتبة 169 من بين 180 دولة على المؤشر العالمي لحرية الصحافة، أي أن أوضاع الصحافيين فيه من بين الأسوأ على مستوى العالم.

وفي التصنيف العالمي لحرية الصحافة 2021 قالت المنظمة إن العمل الصحافي يُعرقل كلياً أو جزئياً في 73في المئة من البلدان التي تم تقييم وضعها في سياق البحث التحليلي.

وأضافت: «من أصل البلدان الـ180 التي يشملها التصنيف، أصبحت 12 دولة فقط قادرة على توفير بيئة مواتية للعمل الصحافي، وهو ما يمثل 7 في المئة فقط من إجمالي دول العالم، بدلاً من 8 في المئة في عام 2020».

لبنان يوقف صحافية في المطار ويمنعها من دخول بيروت

لندن ـ «القدس العربي»:

أوقفت أجهزة الأمن اللبنانية الأسبوع الماضي صحافية عربية تحمل الجنسية الأمريكية لدى وصولها إلى مطار بيروت ورفضت السماح لها بالدخول إلى البلاد.

وقالت منظمة «هيومن رايتس ووتش» أن الأمن العام اللبناني احتجز الصحافية ندى الحمصي لدى وصولها إلى مطار بيروت، ورفض دخولها إلى البلاد، وهددها بالترحيل.

وقالت باحثة لبنان والبحرين في «هيومن رايتس ووتش» آية مجذوب إن «على الأمن العام اللبناني توضيح سبب منع دخول ندى الحمصي وإعطاءها فرصة حقيقية للطعن في القرار». وأوضح حساب «تجمع نقابة الصحافة البديلة» على «تويتر» أن «الحمصي اقتيدت إلى مكتب الترحيل بحجة وجود قرار إداري بمنع دخولها إلى الأراضي اللبنانية» وأشار إلى أن «هذا القرار غير معلل قانونيا وغير مستند إلى أي حكم قضائي».

وطالب «تجمع نقابة الصحافة البديلة» بـ«إطلاق سراح الزميلة ندى الحمصي فوراً، والتراجع عن قرار ترحيلها، واحترام حقها بالإقامة في لبنان».

وقالت محامية الحمصي، ديالا شحادة، إن موكلتها «تدفع ثمن موقفها المدافع عن حقوقها القانونية برفض ترحيل غير قانوني مستند لإشارة من شعبة معلومات الأمن العام التي لا تتضمن أي توضيح وأي سبب». وأضافت أن «الأزمة بدأت مع ندى الحمصي بحجة أنها رفعت علم فلسطين على شرفة منزلها في الأشرفية (شرق بيروت) علماً أنها متزوجة من لاجئ فلسطيني من أم لبنانية ومقيم في لبنان».

وكانت الحمصي قد نشرت عبر حسابها على «تويتر» صوراً، وكتبت بالإنكليزية: «أفتقد زوجي وقطتي. أتمنى رؤيتهم مجدداً قريباً».

يذكر أن الحمصي التي تحمل الجنسية الأمريكية أوقفت لنحو شهر العام الماضي، قبل إطلاق سراحها في 8 كانون الأول/ديسمبر بعد مطالبات أطلقتها منظمات حقوقية على رأسها «هيومن رايتس ووتش» و«منظمة العفو الدولية» اللتان وصفتا احتجازها بـ«التعسفي».

وأصدر الأمن العام اللبناني بياناً بعد إطلاق سراح الحمصي، قال فيه إنه «تبيّن خلال المتابعة من قبل الدوائر المختصة في هذه المديرية حيازة الأمريكية ندى الحمصي على جواز سفر أمريكي ثان يثبت دخولها وإقامتها في الأراضي الفلسطينية المحتلة كانت قد أخفته عن السلطات اللبنانية المختصة».

وذكر البيان أنه «بعد تركها بسند إقامة، صدر قرار مدير عام الأمن العام بترحيلها، خاصة أن الأنظمة اللبنانية تمنع دخول وإقامة الأجانب من أصل عربي في لبنان إذا كانوا مقيمين أو دخلوا سابقاً الأراضي الفلسطينية المحتلة».

علوم وتكنولوجيا

مركبة فضائية تنطلق قريباً وقد تعود إلى البشر بكنوز نادرة

لندن – «القدس العربي»:

تستعد وكالة الفضاء الأمريكية لإطلاق مركبة جديدة خلال الصيف المقبل لاستكشاف كويكب غريب بالقرب من كوكب المريخ، لكن هذه المهمة قد تعود على البشرية بكنز كبير، وذلك بسبب طبيعة الكويكب الذي تحاول «ناسا» الوصول له.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إن مركبة الفضاء التي سيتم إطلاقها في شهر آب/أغسطس المقبل تحمل اسم «Psyche» وسوف تطير خارج المريخ لاستكشاف كويكب غريب مصنوع بالكامل تقريباً من المعدن، ما يعني أن هذه المركبة قد تكتشف كنزاً جديداً عائماً في الفضاء الخارجي.

واقتربت مركبة الفضاء «Psyche» التابعة لوكالة ناسا والتي تدور حول الكويكبات من الإقلاع، حيث يضع المهندسون اللمسات الأخيرة على المسبار الذي من المقرر أن ينطلق في الفضاء من كيب كانافيرال بولاية فلوريدا الأمريكية في آب/أغسطس المقبل في رحلته إلى كويكب غني بالمعادن يحمل نفس الاسم.

وستطير المركبة الفضائية بالقرب من المريخ لمساعدة الجاذبية في أيار/مايو 2023 وفي أوائل عام 2026 ستدور حول الكويكب 16 سايكي في حزام الكويكبات الرئيسي بين المريخ والمشتري.

ويعتقد العلماء أن الكويكب الذي يبلغ عرضه حوالي 173 ميلا (280 كيلومترا) يمكن أن يكون مليئاً بالمعادن الثمينة وتبلغ قيمته 10 آلاف كوادريليون دولار أمريكي (الكوادريليون يعادل مليون مليار) وذلك على الرغم من أن تحليلاً آخر نُشر في وقت سابق من هذا العام يناقض هذه النظرية، حسب ما تقول «دايلي ميل».

ويعتقد باحثون وأكاديميون متخصصون أن هذا الكويكب قد يكون في الواقع صخوراً أكثر صلابة، لأن الطريقة التي تسحب بها جاذبية هذا الكويكب وداراتها بشكل مباشر.

وحصل ممثلو وسائل الإعلام على فرصة لرؤية المركبة الفضائية عن قرب في غرفة نظيفة في مختبر الدفع النفاث التابع لوكالة «ناسا» في الولايات المتحدة.

ووصف الصحافيون المركبة بأنها «أكبر قليلاً من السيارة الذكية وطولها مثل طوق كرة السلة التنظيمي» بينما إذا قمت بتضمين الألواح الشمسية التي ستعمل على تشغيل حركتها فيصبح حجمها بحجم ملعب تنس.

وقال بريان بون، مدير التجميع والاختبار والإطلاق في شركة «Psyche» في مختبر الدفع النفاث: «إن الترحيب بالمراسلين في الغرفة النظيفة يمنح الجمهور لمحة عن سنوات العمل الشاق التي مرت في هذه المهمة».

وأضاف: «بفضل تصميم ومهارة الفريق العامل نحن في المرحلة الأخيرة من تجهيز المركبة الفضائية للتوجه إلى موقع الإطلاق الخاص بنا في فلوريدا».

ولمنع المركبة الفضائية من جلب بكتيريا الأرض إلى الفضاء، قام الصحافيون بمسح معداتهم باستخدام كحول الأيزوبروبيل. كما ارتدوا أقنعة واقية وأغطية شعر قبل دخولهم غرفة النظافة في مرفق تجميع المركبات الفضائية التابع للمختبر في كاليفورنيا.

وكانت المركبة في المرحلة المعروفة باسم عمليات التجميع والاختبار والإطلاق لصالح وكالة «ناسا» مسؤولية الإدارة الشاملة للبعثة وهندسة النظام والتكامل والاختبار وعمليات المهمة.

وقدمت شركة «ماكسر تيكنولوجيز» في كاليفورنيا هيكل المركبة الفضائية الذي يعمل بالدفع الكهربائي بالطاقة الشمسية عالي الطاقة.

وستلتقي مركبة الفضاء «Psyche» وهي المهمة الرابعة عشرة التي تم اختيارها كجزء من برنامج ديسكفري التابع لوكالة ناسا، مع صخورها الفضائية التي تحمل الاسم نفسه بعد رحلة استغرقت أربع سنوات إلى حزام الكويكبات.

وستكون هذه هي المرة الأولى التي ترسل فيها وكالة الفضاء الأمريكية مسباراً إلى عالم مصنوع أساساً من المعدن، بدلاً من الصخور والجليد. وعندما يصل إلى الكويكب، فإنه سيدور ببطء أقرب وأقرب إلى سطح الكويكب المقصود حتى يتمكن من جمع البيانات للعلماء لدراستها، على أن يتم القيام بذلك على أربع مسافات مختلفة، تسمى مدارات التدريج، بحيث يمكن للخبراء مراقبة الجوانب المختلفة للصخور الفضائية.

ويأمل العلماء في أن تتضمن المعلومات تضاريس الكويكب، وخصائص جاذبيته، وطريقة توزيع العناصر المختلفة في جميع أنحاء الجسم. كما يريد العلماء أيضاً تأكيد نظريتهم القائلة بأن الكويكب «Psyche» هو في الواقع جوهر كوكب مبكر وتحديد عمره. ومن المقرر أن تنتهي هذه المهمة في تشرين الأول/أكتوبر 2027 حسب ما هو مخطط لها.

تقنية خارقة تقضي على الشيخوخة وتعيد الكهول إلى مرحلة الشباب

لندن – «القدس العربي»:

تمكن باحثون في جامعة كامبريدج البريطانية من ابتكار تقنية ثورية وخارقة من شأنها أن تقضي على الشيخوخة وتعيد الكهول ليصبحوا شباباً من جديد، وهو ما يمكن أن يشكل طفرة طبية جديدة على مستوى العالم.

وقال العلماء إنهم نجحوا في إعادة برمجة خلايا جلد لأشخاص تتراوح أعمارهم بين 38 و53 عاما لجعلهم «أصغر سنا» بمقدار 30 عاماً، حسب ما نقلت جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

وحسب الباحثين ستساهم هذه الطريقة في إعادة عقارب الساعة القديمة إلى الوراء أكثر من طرق إعادة البرمجة السابقة، من دون الإضرار بالخلايا، حيث استطاع العلماء استعادة الوظائف التي فقدت في الخلايا القديمة.

وأظهرت نتائج البحث الأولية أن هذه التقنية يمكن أن تحدث ثورة في الطب التجديدي، خاصة إذا أمكن تكرارها في أنواع الخلايا والأنسجة الأخرى في الجسم، كما يزعم الباحثون. وأصبحت الخلايا المسنة في التجارب الجديدة أشبه بخلايا الجلد المسماة الخلايا الليفية التي تنتج الكولاجين، وهو بروتين يربط الجسم ببعضه البعض ويحافظ على قوته.

ويتناقص عدد الخلايا الليفية في جلد الإنسان تدريجيا مع تقدم العمر، وتصبح هذه الخلايا أيضا ذابلة مع تقدمنا في السن.

وتم إجراء البحث الجديد في معهد بابراهام، وهو معهد لبحوث علوم الحياة في كامبريدج، ونشر في مجلة «eLife».

وقال الدكتور ديلجيت جيل من معهد بابراهام حيث تم إجراء البحث: «تمثل نتائجنا خطوة كبيرة إلى الأمام في فهمنا لإعادة برمجة الخلايا، لقد أثبتنا أن الخلايا يمكن أن تتجدد دون أن تفقد وظيفتها وأن التجديد يسعى لاستعادة بعض الوظائف للخلايا القديمة».

وأضاف جيل: «حقيقة أننا رأينا أيضا انعكاسا لمؤشرات الشيخوخة في الجينات المرتبطة بالأمراض تعد واعدة بشكل خاص لمستقبل هذا العمل».

وينشغل الباحثون والعلماء في عمل مضني من أجل التوصل إلى علاج للشيخوخة، حيث كان فريق علمي في كوريا الجنوبية قد أعلن في العام 2020 اكتشاف إنزيم جديد مضاد للشيخوخة من شأنه أن يطيل عمر الإنسان ويكافح الأمراض المرتبطة بالشيخوخة، وتمت تجربته بنجاح في المختبرات.

وقام الفريق التابع للمعهد الكوري المتقدم للعلوم والتكنولوجيا بتعديل إنزيم مضاد للشيخوخة بنجاح وتجربته على الديدان المخبرية، ونجح الباحثون في التحكم بعمر هذه الديدان المخبرية عن طريق زيادة أو إنقاص نسبة هذه الإنزيمات في أجسامها، ما يمثلا تطورا كبيرا من شأنه أن يفتح آفاقا واسعة في مجال تصنيع العقاقير المؤخرة لأعراض وأمراض الشيخوخة.

ويسمح الإنزيم الذي تم تعديله من قبل الباحثين للديدان المستديرة بتحويل السكر إلى طاقة عندما تنخفض الطاقة الخلوية، واستطاع الفريق إيجاد طريقة للسيطرة عليه.

وحسب البحث فقد نجح العلماء في زيادة أعمار الديدان المستديرة في المختبرات، وهي ديدان خيطية طويلة يتم استخدامها بشكل شائع في الاختبارات العملية، حيث نجحوا في إطالة أعمارها بعد القيام بعدة تعديلات على البروتينات المشاركة في إنتاج الطاقة في الخلايا.

اكتشاف خمسة آلاف فيروس جديد فهل تصمد البشرية أمامها؟

لندن – «القدس العربي»:

فجرت دراسة علمية حديثة جدلاً كبيراً في أوساط العلماء بعد أن تمكن القائمون عليها من اكتشاف أكثر من خمسة آلاف فيروس جديد، وهو ما يعني أن البشرية قد تكون مهددة بمزيد من الأمراض والأوبئة، وأن فيروس «كورونا» الذي أرعب العالم طيلة العامين الماضيين ربما لا يكون الأخير ولا الأسوأ حتى الآن.

وبحسب تقرير نشره موقع «لايف ساينس» المتخصص في أخبار العلوم، فقد تمكن العلماء من تحديد أكثر من خمسة آلاف نوع جديد من الفيروسات في محيطات العالم.

وحلل الباحثون في دراسة جديدة أجروها عشرات الآلاف من عينات المياه من جميع أنحاء العالم، بحثا عن فيروسات الحمض النووي الريبي، أو الفيروسات التي تستخدم الحمض النووي الريبي كمواد جينية. ويعد فيروس كورونا الجديد، على سبيل المثال، نوعا من فيروسات الحمض النووي الريبي. وقال المعدون إن هذه الفيروسات لم تُدرس جيدا مقارنة بفيروسات الحمض النووي، التي تستخدم الحمض النووي كمواد جينية.

وكان تنوع الفيروسات المكتشفة حديثا كبيرا لدرجة أن الباحثين اقترحوا مضاعفة عدد المجموعات التصنيفية اللازمة لتصنيف فيروسات الحمض النووي الريبي، من الشعب الخمس الحالية إلى 10 شُعب.

وقال المعد الرئيسي للدراسة ماثيو سوليفان، أستاذ علم الأحياء الدقيقة في جامعة ولاية أوهايو، في بيان: «هناك الكثير من التنوع الجديد وعثر على شعبة جديدة بالكامل (Taraviricota) في جميع أنحاء المحيطات، ما يشير إلى أنها مهمة من الناحية البيئية».

ووفقا لسوليفان، ركزت الدراسات التي أجريت على فيروسات الحمض النووي الريبي عادة على تلك التي تسبب الأمراض. (تشمل بعض فيروسات الحمض النووي الريبي المعروفة الإنفلونزا والإيبولا والفيروس التاجي المسبب لـ«كوفيد-19»). لكن هذه ليست سوى «شريحة صغيرة» من فيروسات الحمض النووي الريبي على الأرض.

وقال سوليفان في البيان «أردنا دراستها بشكل منهجي على نطاق واسع للغاية واستكشاف بيئة لم ينظر إليها أحد بعمق».

وحلل الباحثون في الدراسة التي أجريت مؤخراً 35 ألف عينة مياه مأخوذة من 121 موقعا في جميع محيطات العالم الخمسة. والباحثون جزء من اتحاد «Tara» للمحيطات، وهو مشروع عالمي لدراسة تأثير تغير المناخ على المحيط.

وقال الباحثون إنهم فحصوا التسلسلات الجينية المستخرجة من الكائنات المائية الصغيرة المعروفة باسم العوالق، والتي تعد مضيفا شائعا لفيروسات الحمض النووي الريبي. واستقروا على تسلسلات تنتمي إلى فيروسات «RNA» كما تم تحديد أكثر من 44 ألف تسلسل مع هذا الجين.

وبشكل عام، حددوا حوالي 5500 نوع جديد من فيروسات الحمض النووي الريبي التي وقعت في الفئات الخمس الموجودة، بالإضافة إلى الفئات الخمس المقترحة حديثا.

وكانت أنواع الفيروسات في فصيلة «Taraviricota» وفيرة بشكل خاص في المياه المعتدلة والاستوائية، في حين أن الفيروسات الأخرى كانت وفيرة في المحيط المتجمد الشمالي.

بريطانيا تعمل على اختراع «دماغ طائر» لاستكشاف الفضاء والكواكب الأخرى

لندن – «القدس العربي»:

بدأ علماء بريطانيون العمل من أجل إنتاج أكبر «عقل طائر» في العالم، وهو ما وصفوه بأنه «دماغ لاسلكي» عملاق يجوب الفضاء الخارجي ويتجول بين الكواكب من أجل استكشافها واستكشاف ما يجري خارج الكرة الأرضية ومن ثم إرسال المعلومات إلى البشر.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية إن المملكة المتحدة ستقوم ببناء «عقل» لأكبر تلسكوب لاسلكي في العالم، والذي سيقوم باستكشاف تطور الكون المبكر، على أنه سيكون جاهزاً بحلول نهاية العقد.

وتم منح أكثر من 15 مليون جنيه إسترليني لمجموعة من المؤسسات البريطانية لمساعدتها في إنشاء برنامج النموذج الأولي الذي سيتحكم في مرصد صفيف الكيلومتر المربع «SKA» الذي يقع مقره في بريطانيا.

ويعد التلسكوب أحد المشاريع العلمية الكبرى في القرن الحادي والعشرين وسيتألف مبدئياً من 197 طبقاً و130 ألف هوائي منتشر في جميع أنحاء جنوب إفريقيا وأستراليا، حسب تقرير «دايلي ميل». ويجب ربط كل هؤلاء مع برنامج «الدماغ» الذي يساعدهم على العمل معاً، وبذلك فسوف يكون «الدماغ» الذي يجري تطويره في بريطانيا هو الأكبر على مستوى العالم.

وسيخبر هذا «الدماغ» التلسكوبات أين تبحث ومتى وتشخيص أي مشاكل وترجمة إشارات التلسكوب إلى بيانات قابلة للاستخدام يمكن من خلالها إجراء الاكتشافات.

وللبدء بالتجربة سيتم إجراء التجربة على نطاق صغير قبل طرح البرنامج عبر الشبكة بأكملها إذا كان ناجحاً.

وستنضم شبكة «SKA» إلى عدد من تلسكوبات الجيل التالي الأخرى التي من المقرر أن تصبح جاهزة للعمل في وقت لاحق من هذا العقد، بما في ذلك تلسكوب جيمس ويب الفضائي الذي تبلغ قيمته 10 مليارات دولار والتلسكوب الأوروبي فائق الحجم للغاية.

ومن المقرر أن يتم استخدام «الدماغ العملاق الطائر» لاستكشاف تطور الكون المبكر والتعمق في دور بعض العمليات المبكرة في تشكيل المجرات مثل مجرتنا درب التبانة، إضافة إلى العديد من الأهداف العلمية الأخرى.

وتقول «دايلي ميل» إن المملكة المتحدة لعبت بالفعل دوراً حيوياً في برنامج التلسكوبات خلال مرحلة التصميم، وهي الآن مستعدة لمواصلة قيادة هذا المجال أثناء بناء التلسكوبات.

وقال وزير العلوم البريطاني جورج فريمان: «ليس من المستغرب أن يلعب علماء بريطانيا البارزون مثل هذا الدور الحيوي في تشكيل مستقبل هذا المرصد العالمي المتطور، بدعم من تمويل حكومي قيمته 15 مليون جنيه إسترليني».

وبالإضافة إلى توفير الأساس للاكتشافات الجديدة على مستوى المجرة، سيساعد هذا الابتكار على ضمان العقود المستقبلية للصناعة في المملكة المتحدة، وتأمين الوظائف الماهرة وتطوير تقنية قابلة للتحويل بشكل كبير في بريطانيا وتوجيه المزيد من الأموال إلى اقتصاد المملكة المتحدة. وأضاف فريمان: «يعكس هذا المهارة المذهلة لمجتمعنا العلمي، الذين يعملون جنباً إلى جنب مع الصناعة لضمان استمرار المملكة المتحدة في النمو كقوة علمية عالمية عظمى».

ومنح مجلس منشآت العلوم والتكنولوجيا «STFC» أكثر من 15 مليون جنيه إسترليني للمؤسسات البريطانية مثل جامعات أكسفورد وكامبردج ومانشستر، وكذلك في مختبرات «STFC» في هارويل ودريسبري وإدنبرة.

وتعد حكومة المملكة المتحدة أكبر مساهم في «SKA» ولديها حالياً التزام بدعم 15 في المئة من التكلفة الإجمالية للإنشاءات والعمليات الأولية من 2021 إلى 2030.

وقال البروفيسور مارك طومسون، الرئيس التنفيذي لشركة «STFC» إن «بريطانيا تواصل لعب دور رائد في تطوير التلسكوبات» مشيراً إلى أن «أي مسعى علمي كبير، يكمن محور نجاحه في البنية التحتية. وبدون القدرة على معالجة وتنظيم الكميات الهائلة من المعلومات التي ستجمعها هذه التلسكوبات، لن نتمكن من تحقيق الاكتشافات المهمة».

وأضاف: «من خلال مهارات وخبرات باحثينا وزملائنا في الصناعة، ستوفر بريطانيا الدماغ الحاسوبي والجهاز العصبي للتلسكوبات لتمكين عمليات الرصد وإطلاق العنان للعلم».

وتلقت «SKA» التي يقع مقرها بالقرب من مانشستر الضوء الأخضر مؤخراً لبدء مرحلة البناء والتي من المتوقع أن تكتمل بحلول نهاية العقد، مع توقع تشغيل التلسكوبات لأكثر من 50 عاماً.

وباعتبارها واحدة من أكبر المساعي العلمية في التاريخ، فهي تجمع أكثر من 500 مهندس و أكثر من ألف عالم من أكثر من 20 دولة، بحسب معلومات «دايلي ميل».

وستكون التلسكوبات قادرة على مسح السماء بشكل أسرع بكثير من التلسكوبات الراديوية الحالية، وبالتالي ستتطلب حوسبة قوية لاستيعاب ومعالجة معدل البيانات المتوقع في الوقت الفعلي وهو 8 تيرابايت من البيانات في الثانية.

ومن المأمول أن يكون أول نموذج أولي للدماغ جاهزاً للانطلاق في عام 2024.

اقتصاد

«ميثاق الاستثمار الجديد» في المغرب:

آلية تشاركية بين الحكومة والقطاع الخاص والمصارف من أجل تنمية متوازنة

الرباط ـ «القدس العربي»: الطاهر الطويل

تواصل الحكومة المغربية جهودها من أجل تنفيذ «ميثاق الاستثمار الجديد» والإصلاحات الهيكلية التي يتعين القيام بها، من خلال إعطاء الأولوية للقطاعات الواعدة في الاقتصاد المغربي، وتحقيق تنمية عادلة ومتوازنة لمختلف مناطق البلاد، وخلق المزيد من الوظائف وفرص العمل، واعتماد تدابير ناجعة كفيلة بأن تزيد من جاذبية المغرب وتسمح للأنظمة المنتجة باغتنام المزيد من الفرص، بالموازاة مع التعافي من تداعيات أزمة «كوفيد–19».

في هذا السياق، عقد رئيس الوزراء، عزيز أخنوش، اجتماعا الأربعاء 13 نيسان/أبريل، مع مسؤولي عدد من القطاعات الحكومية المعنية، لتتبع مختلف وُرَش الأولوية المتعلقة بالميثاق الجديد للاستثمار، والتي تعمل القطاعات الوزارية على تنفيذها. ومن ضمنها بالخصوص إعداد النصوص التطبيقية لميثاق الاستثمار، لاسيما المرسوم المتعلق بآلية الدعم الرئيسية والآلية المحددة المطبقة على المشاريع الاستثمارية ذات الطابع الاستراتيجي، وآلية الدعم المحدد للمقاولات الصغيرة جدا والصغيرة والمتوسطة، ونظام الدعم المحدد الذي يهدف إلى تشجيع تطوير المقاولات المغربية دوليا.

تسريع وُرش الإصلاحات

ووفق بيان تلقت «القدس العربي» نسخة منه من رئاسة الحكومة المغربية، فقد انكب الاجتماع أيضا على تتبع التنسيق بين الدولة والاتحاد العام لمقاولات المغرب والمجموعة المهنية لبنوك المغرب، بهدف الإشراك الفعال للقطاع الخاص والقطاع البنكي، باعتبارهما فاعلين أساسيين في خلق دينامية في الاستثمار.

وشدد المجتمعون ـ بحسب المصدر ذاته ـ على ضرورة تسريع وُرش الإصلاحات الهادفة إلى تسهيل فعل الاستثمار والغفل المقاولاتي، مع إعطاء الأولوية لتبسيط الإجراءات ورقمنتها، واللاتمركز الإداري، خاصة وثائق التعمير والرخص ذات الصلة، والوعاء العقاري، والتمويل والوصول إلى الطلبات العمومية.

وفي تقدير الخبير المغربي مصطفى السحيمي، فإن موضوع ميثاق الاستثمار يعود إلى أكثر من ربع قرن، ومع ذلك، لم تحقق الحكومات المتعاقبة أي تقدم ملموس فيه إلى أن جاءت حكومة عزيز أخنوش، فأدرجت الملف ضمن أولوياتها. كما أن العاهل المغربي محمد السادس أعطى توجها حازما خلال جلسة العمل التي ترأسها في 16 شباط/فبراير المنصرم.

ولاحظ في مقال نشره في أسبوعية «فيناس نيوز» الصادرة باللغة الفرنسية، أن ميثاق الاستثمار الذي ما يزال ساريًا يقتصر على سلسلة من الإجراءات الضريبية وغيرها من التدابير المتعلقة بالوعاء العقاري، فكان من الضروري وضع بعض الضوابط الجديدة من خلال إعطاء المزيد من التماسك والفعالية لهذا النظام، بهدف زيادة حصة الاستثمار الخاص في إجمالي الاستثمار من الثلث فقط إلى الثلثين في أفق عام 2035. وهو ما من شأنه أن يخلق فرص عمل جديدة، ويعزز التنمية العادلة للمناطق، ويعطي الأولوية للقطاعات الواعدة في الاقتصاد المحلي.

في هذا الصدد، يأتي نظام الدعم الرئيسي بأقساط مشتركة مؤهلة لأهداف نموذج التنمية الجديد والأولويات التي تحددها الحكومة؛ بالإضافة إلى ذلك، يتم تشجيع الاستثمار في الأقاليم الأقل تنمية، وتشجيع المشاريع ذات الطبيعة الاستراتيجية (الصناعات الدفاعية والصناعات الدوائية) فضلا عن دعم الشركات الصغيرة والمتوسطة، ووضع آلية لتنمية الاستثمار الأجنبي.

وتنصب الدفعة الأولى من المزايا على رسوم التسجيل والرسوم الجمركية والضريبة على القيمة المضافة وإلغاء الضريبة المتغيرة وضريبة الشركات، بنسبة 0 في المئة للصناعات قيد الإنشاء خلال خمس سنوات، علاوة على مزايا أخرى تتعلق بحيازة العقارات والتدريب المهني وصندوق تشجيع الاستثمار.

ويرى الخبير السحيمي أن ثمة عدة أسئلة تطرح من أجل تحسين «ميثاق الاستثمار الجديد» وفي مقدمتها كيفية التعامل مع القطاع الاقتصادي غير المنظم الذي يدرّ أكثر من 30 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، فلا بد بالتالي من مساعدته على إعادة الهيكلة والتطور نحو الاندماج التدريجي في الاقتصاد المنظم. كما يتعين على الشركات الكبرى والمؤسسات العامة أن تنفتح على الشركات الناشئة باعتبارها مساهمة في الانتعاش الاقتصادي.

ولاحظ أن جائحة «كوفيد–19» التي استمرت لعامين، ساهمت في قيام الشركات بمراجعة بنياتها وعملياتها الداخلية من أجل المرونة، في سياق متغير باستمرار. وبالفعل، فإن المقاولات الناشئة تتقن التقنيات الجديدة، وتعرف كيفية الاستفادة من البيانات لاقتراح التحديات التشغيلية، وبالتالي يكون لها تأثير محتمل من خلال ابتكار حلول في الإدارة عن بعد. ومن المفيد أن يهتم «ميثاق الاستثمار الجديد» بتعزيز الجسور بين مراكز البحث والنظام البيئي للشركات الناشئة، واعتماد تدابير محفزة في هذا المجال؛ فضلا عن تسريع وتيرة الموافقة على الاتفاقيات وتلبية توقعات المستثمرين المغاربة والأجانب على أفضل وجه، بالإضافة إلى تعزيز الترسانة القانونية والتنظيمية من حيث الاستثمار، لا سيما ما تعلق منها بتبسيط الإجراءات والمساطر الإدارية.

الانخراط في الاقتصاد «المُعَوْلَم»

أما بخصوص معادلة الشراكة بين القطاعين العام والخاص، فيدور الحديث اليوم في المغرب عن إعادة تركيز الدولة حول القطاعات السيادية والأعمال الكبرى. الملاحظ أن ميزانية الاستثمار تبلغ حوالي 240 مليار درهم، وهي من أعلى المعدلات في العالم، ومع ذلك، فإنه لا يولد نموًا قويًا ولا ينتج الكثير من الوظائف. من ثم، تدعو الحاجة إلى إشراك القطاع الخاص بشكل أكبر، إذ لا يمكن تنشيطه إلا إذا وُفرت له ظروف مواتية له، مثل اقتصاد السوق بقوانينه القائمة على أقصى قدر من البحث عن الربح. وهو المعطى الذي أخذه «ميثاق الاستثمار الجديد» في الحسبان مع مختلف التدابير المحفزة.

وبما أن الاقتصاد مرتبط بالسياق الدولي، كيف يمكن ربط «الميثاق» الجديد بإصلاح الاستراتيجية الرقمية؟ الجواب، أنه ما دامت هناك إرادة لتطبيق برنامج «المغرب الرقمي» وسياسة «الحكومة الإلكترونية» فينبغي أن يتطور هذا المسار نحو تسريع التحول الرقمي، لأن الانخراط أكثر في «الاقتصاد المُعوْلَم» وتقليص الفجوة الرقمية سينعكسان إيجابا على الاستثمارات، وفق ما يؤكده الخبراء؛ إذ سيوفر للمستثمرين المزيد من الفرص الاقتصادية؛ فهو رافعة حقيقية للنمو الشامل، ما يجعل المغرب مركز مهما في هذا المجال على الصعيد الأفريقي.

ولدعم هذا المشروع، فإن الوزراء المغاربة معنيون بالاستمرار في وضع الآليات التي من شأنها تشجيع المبادرات وتسهيل ريادة الأعمال ودعم الاستثمار وتعزيز المناخ الاقتصادي، علاوة على التنفيذ الأمثل للإجراءات المختلفة القادرة على خلق ديناميكية استثمارية، وتسريع مشاريع الإصلاح ذات الصلة، مع ضمان مراقبة تنفيذها على أرض الواقع.

على صعيد آخر، ترأس رئيس الحكومة المغربية، عزيز أخنوش، الخميس المنصرم في الرباط، أعمال «اللجنة الوطنية للتنمية المستدامة» في نسختها الثالثة، حيث خصص الاجتماع لتدارس التقرير السنوي للمندوبية السامية للتخطيط، وكذا تقييم نتائج استراتيجية التنمية المستدامة وخريطة الطريق لمراجعتها.

وفي كلمته الافتتاحية، أشار إلى أن الاجتماع يشكل مناسبة للوقوف على الإكراهات والإنجازات المتعلقة بالتنمية المستدامة التي تعتبر اليوم أحد ركائز النموذج التنموي الجديد، الذي التزم البرنامج الحكومي بتفعيله في جميع محاوره وأهدافه من خلال مواكبة تحول الاقتصاد الوطني وتكريس الدولة الاجتماعية وتنمية الرأسمال البشري.

وذكر في هذا الإطار أن المغرب، بفضل سياسة عاهله محمد السادس، كان من أسرع البلدان استجابة للحد من آثار الجائحة اقتصاديا واجتماعيا، حيث لجأ في وقت مبكر إلى مجموعة من الإجراءات النوعية وغير المسبوقة.

ومكنت هذه الإجراءات على سبيل المثال من الحد من تعميق مستوى الفقر والهشاشة، حيث إن معدل الفقر ارتفع من 1.7 في المئة سنة 2019 إلى 2.5 في المئة أثناء الحجر سنة 2020 ومعدل الهشاشة من 7.3 في المئة إلى 8.9 في المئة، وقد كان من الممكن أن يصل معدل الفقر إلى 11.7 في المئة ومعدل الهشاشة إلى 16.7 في المئة في غياب هذه الإجراءات، وفق قول المسؤول الحكومي.

ورغم هذه الظروف الاستثنائية التي تسبب فيها الجائحة، تمكنت البلاد من تحقيق عدة أهداف وفقا لما هو مسطر بالأجندة الأممية 2030 وخاصة تلك المتعلقة بالرأسمال البشري، كما أن المغرب يسير بخطى ثابتة نحو تحقيق الأهداف ذات الصلة بالرأسمال المادي، وكذا تلك المتعلقة بمكافحة آثار التغير المناخي.

وخلال الاجتماع جرى التأكيد على أن حجم التحديات التي تنتظر المملكة المغربية في تنزيل الأجندة الأممية في هذه السنوات التي تفصل عن 2030 يستلزم مزيدا من التنسيق والخطط الاحترازية والالتقائية والفعالية في البرامج والمشاريع والسياسات القطاعية، مع إعادة ترتيب الأولويات بالنظر لتداعيات جائحة كورونا والظرفية الاستثنائية التي يمر منها العالم.

وصادق أعضاء اللجنة، على تكليف السلطة الحكومية المكلفة بالتنمية المستدامة بإعداد الاستراتيجية الجديدة من أجل ملاءمتها مع المستجدات المحلية والالتزامات الدولية.

غزة: غلاء الأسعار يقيد خيارات المواطنين على موائد الإفطار خلال شهر رمضان

إسماعيل عبدالهادي

أثار ارتفاع أسعار السلع الغذائية الأساسية في أسواق قطاع غزة امتعاض المواطنين، حيث انعكس سلباً على تجهيز موائد إفطار الصائمين خلال شهر رمضان، بعد أن بات الغالبية وخاصة الفقراء والمحتاجين منهم، يعجزون عن توفير الطعام على موائد الإفطار نتيجة الغلاء وعدم توفر سيولة نقدية، بسبب تراجع الدعم المقدم من قبل المؤسسات الإغاثية والشؤون الاجتماعية لآلاف المحتاجين.

وعلى الرغم من كون رمضان شهر الصوم للمسلمين، إلا أن معدلات الإنفاق فيه تزداد عن بقية الشهور، ويحتاج المواطنون إلى توفير طعام على موائد إفطارهم بعد صيام ساعات طويلة.

وشهدت أسعار اللحوم البيضاء من الدواجن والتي تعتبر من الأساسيات على موائد الإفطار، قفزة كبيرة حيث وصل سعر كيلو الدجاج إلى 17 شيقلا إسرائيليا بعدما كان 11 شيقلا، كما شهدت جميع أنواع الخضروات ارتفاعاً كبيراً في أسعارها بشكل مفاجئ.

ودعا غزيون إلى مقاطعة شراء الدواجن ومشتقاتها بعد الغلاء الفاحش الذي طالها، فيما غرد عدد من النشطاء عبر مواقع التواصل الاجتماعي بوسم «خليه يكاكي» مطالبين بمقاطعة التجار الذين يرفعون أسعار الدواجن واللحوم البيضاء الأخرى.

من جهتها شكلت الحكومة الفلسطينية في غزة ومع تصاعد الغضب الشعبي من غلاء الأسعار، خلية لإدارة أزمة الأمن الغذائي وأسناد جهود وزارة الاقتصاد، التي تعمل على التفتيش والمراقبة داخل الأسواق لحالات التلاعب بالأسعار، حيث أصدرت الحكومة قراراً طالبت فيه أصحاب مزارع الدواجن بطرح ما لديهم في الأسواق، وذلك لإحداث فائض وبالتالي تخفيض أسعار البيع.

ويشتكي عدد من الباعة في سوق الشيخ رضوان وسط مدينة غزة، من تراجع القوة الشرائية للمواطنين. ووفق الباعة فإن حالة الازدحام في الأسواق هي للمشاهدة فقط واستطلاع الأسعار، منوهاً إلى أن أسعار الخضروات ستشهد هي الأخرى ارتفاعا لزيادة الطلب عليها، كما أن أسعار الدواجن ستنخفض قليلاً لتصل إلى 14 شيقلا للكيلو، ولكن ستبقى المعاناة قائمة في الأسواق.

ويقول المواطن علام أبو العيش (47 عاماً) هناك تعمد من قبل التجار والباعة لرفع أسعار السلع مع بداية شهر رمضان من كل عام، وسبب عدم ردع الحكومة التجار الذين يستغلون حاجة المواطنين خلال الشهر الفضيل، صعوبة لدى الفقراء والمهمشين لتوفير لقمة عيشهم مع تزايد معدلات الفقر بين الغزيين.

وأشار لـ«القدس العربي» إلى أن أسرته تجد صعوبة في إحضار سفرة الفطور الرمضانية، بسبب الأسعار المرتفعة، فالخضروات التي تعتبر مصدرا أساسيا في تجهيز الفطور لم يعد قادراً على توفيرها.

أما ياسر خليل (62 عاماً) فحاله لا يختلف كثيراً، لكن معاناته ازدادت مع تراكم الديون عليه لدى الباعة في ذات السوق، فهو اعتاد على شراء ما يلزمه بالدين، على أمل السداد من مستحقات الشؤون التي تصرف كل ثلاثة شهور، لكن غياب المستحقات دفع الباعة إلى رفض بيعه بالدين.

ويقول لـ«القدس العربي» إن رمضان هذا العام يمر عليه بظروف قاسية لم يسبق أن تعرض لها بالرغم من أن أوضاعه المعيشية متأزمة منذ سنوات، لكن هذا العام نتيجة غلاء أسعار جميع السلع الغذائية، بات غير قادر على توفير لقمة عيشه وتحضير مائدة إفطار تسد جوع أفراد أسرته.

وأضاف أن فرحة قدوم شهر رمضان قد فقدت، بسبب ما وصفها بالمجاعة التي أصابت عائلته وغالبية عائلات القطاع، حتى أن المقتدرين في غزة باتوا يستصعبون شراء الدواجن، وحتى الخضروات.

وانتشرت في أحياء القطاع ما تعرف بالتكيات الرمضانية، ويحاول القائمون عليها من فرق تطوعية ورجال أعمال مقتدرين، إعداد الطعام وتوزيعه على آلاف الأسر المتعففة والفقيرة بشكل يومي خلال رمضان، ويهدف القائمون عليها مد يد العون والمساعدة والوصول إلى أكبر قدر ممكن من الفقراء والمحتاجين في محافظات القطاع، وتشكل هذه المبادرة طوق نجاة لآلاف الأسر التي تعاني من صعوبة توفير الطعام.

وأكد الخبير الاقتصادي ماهر الطباع أن غلاء الأسعار في أسواق قطاع غزة بصورة خيالية، فاقم من واقع الفقراء المنهكين من الأوضاع المعيشية الصعبة، وأثر على صعوبة تحضير الكثير من الفقراء موائد إفطارهم خلال الشهر الفضيل، كما أثر سلباً على الباعة الذين تكدست السلع لديهم، ويصعب عليهم تصريفها مع تراجع الحركة الشرائية في الأسواق.

وأوضح الطباع لـ«القدس العربي»: أن هناك العديد من العوامل التي فاقمت الوضع الاقتصادي السيئ الذي يمر به قطاع غزة، وفي مقدمتها توقف صرف شيكات الشؤون الاجتماعية التي تصرفها السلطة الفلسطينية بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي للفقراء منذ أكثر من عام، إضافة إلى الخصومات المالية على رواتب الموظفين سواء من الموظفين التابعين لرام الله أو لحكومة غزة، إلى جانب عواقب الانقسام الفلسطيني والتي أثرت على تصاعد نسب الفقر والبطالة في صفوف الشباب وكبار السن.

وبين أن غلاء أسعار الخضروات والدواجن ناتج عن شجع بعض التجار والباعة في استغلال حاجة المواطنين لشراء هذه السلع، فنلاحظ الغلاء يتكرر في كل عام مع حلول شهر رمضان، داعياً الجهات الحكومية المختصة إلى متابعة الأسواق، والعمل على تحديد أسعار مخفضة ومناسبة للسلع، حتى يتمكن الجميع من توفير ما يحتاجونه خلال الشهر الفضيل.

مدن وآثار

أسيوط المصرية أرض الآثار والمقاومة والكرامة

القاهرة – «القدس العربي»:
حسام عبد البصير

حينما تهبط للمرة الأولى على محافظة أسيوط التي تبعد عن القاهرة 392 كلم جنوباً، لا يمكن بأي حال ان تتصور ان تلك المحافظة خرج منها بني مر، الزعيم الذي قاد قرابة سدس بلدان العالم نحو التحرر وطرد الاستعمار. وبعد ما يزيد على نصف قرن على رحيله ما زال حلم آلاف الأسر ان يتم ترميم سقوف منازلهم للوقاية من برد الشتاء وحر الصيف وتوفير مكان للأطفال للعب. من المدهش إن لم يكن من قبيل الصدمة حينما تتسلل لقرية بني مر التي ولد وعاش بها لأعوام جمال عبد الناصر ان تجدها تفتقر للوسائل العصرية حتى تقرر رصدها ضمن مبادرة «حياة كريمة» التي أطلقها الرئيس السيسي. والمثير للدهشة انه عندما تطالع حياة مصر الفرعونية تجد نمطا من الحياة أكثر تطورا عن حياة أهالي القرى في القرون المتأخرة وصولاً لزمن الاستعمار وانتهاءً بالعقود التي تلت ثورة يوليو.

منزل بسيط ملحق به دورة مياه كان ذلك حلم عزيز المنال بالنسبة لمئات الآلاف من الأسر الفقيرة التي تقطن قرى أسيوط وغيرها من محافظات الصعيد والدلتا حتى جاءت مبادرة «حياة كريمة» لتعيد هندسة الأمل بين ملايين الفقراء.

رائحة الزعيم

حينما تحط في قرية بني مر لا يمكن ان تتخيل ان جمال عبد الناصر الذي تبنى خططاً غيرت وجه الحياة، ولكن قريته ما زالت مثل آلاف القرى والنجوع بينها وبين الحضارة مسافة شاسعة.

«لا أحد غير أبناء الصعيد بوسعه أن يتخيل أن هذه القرية الفقيرة بلد رئيس جمهورية» وعلى الرغم من العشق الجارف الذي ما زال يتمتع به عبد الناصر في قلوب الكثيرين إلا ان معيار العدل الذي سنه في المساواة بين المواطنين لم يشفع له عند البعض الذين اتهموه بأنه ناكر للجميل لانه لم يدعم القرية التي نشأ فيها واستمر تدهورها حتى عقب وصول الرئيس السادات، ثم مبارك وظل الحال على ما هو عليه حتى قيام ثورة الخامس والعشرين من يناير. لأجل ذلك يرى كثير من أعداء الناصرية ان بني مر كغيرها من القرى نالت الإهمال في كل العقود السابقة ومن المثير للأسى أنها مسجلة ضمن القرى النموذجية رغم أنه لا يوجد فيها مستشفى، وأضاف أهالي القرية أن الوحدة الصحية فيها تفتقر لأبسط التجهيزات الطبية، ويطلب من المرضى شراء المستلزمات على نفقتهم الخاصة.

تتوسط محافظة أسيوط محافظتي المنيا شمالاً وسوهاج جنوباً والبحر الأحمر شرقا والوادي الجديد غرباً وتحدها من الغرب الهضبة الغربية ومنها يبدأ أهم طرق القوافل القديمة التي تربط مصر بالسودان دارفور وكردفان عن طريق درب الأربعين، وقد كان لهذا الطريق حتى وقت قريب أثر كبير في تاريخ أسيوط من الناحية التجارية والصناعية. وتحدها من الشرق الهضبة الشرقية ويمتد بها الوادي الأسيوطي الذي تحيط به سلاسل من جبال الرخام. وتوجد أهم المزارات السياحية بمحافظة أسيوط وهي محمية الوادي الأسيوطي ومما لا خلاف عليه ان المحافظة تعد العاصمة التجارية للصعيد. وتبلغ مساحتها الكلية 13720 كم2 والمساحة المأهولة منها 1726.53 كم2. وتشتهر بالعديد من المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها القطن والقمح والذرة الشامية والرفيعة والفول البلدي ويتميز مناخها أنه قاري بارد شتاءً وحار صيفا. وتضم المحافظة 11 مركزا و11 مدينة، و55 وحدة محلية قروية تتبعها 235 قرية و908 كفر ونجوع. ويجمع كثير من المؤرخين على انه كان لأسيوط دور مهم في تاريخ الحضارة المصرية القديمة بل دور رائد في تاريخ البشرية وفي العصور الفرعونية المتأخرة لعبت دورا مهما لوجود 5 أقاليم فرعونية بها من العاشر حتى الرابع عشر.

البحث عن حياة

شأن العديد من قرى الصعيد تمثل عادة الثأر وصمة في جبين المجتمع، ومن أبرز القرى التي انتشرت فيها تلك العادة المذمومة قرية المعابدة، التي يشكل فيها الثأر والفقر تحالفاً يقضي على أي أمل بفجر جديد. إذ من النادر ان ترى عائلة واحدة ليست لها

خصومات ثأرية، وتعد القرية صاحبة سابقة لم تحدث في تاريخ مصر، ففي إحدى السنوات في زمن الرئيس الراحل مبارك قام أهل القرية عن بكرة أبيهم بزراعة أراضيهم بمخدر الأفيون وتبلغ مساحة القرية 7200 فدان. وعندما بدأت حملة أمنية لتطهير القرية من تلك الآفة وجدوا أما تربي أيتاما ولا حول لها ولا قوة تزرع الأفيون. وأعرب رجال الأمن عن دهشتهم فردت المرأة بتلقائية «زيي زي الناس، الجيران جابولي التقاوي وقالولي المحصول ده هيكسب فزرعت واللي يخرج عن الناس عايب». ومن اللافت أن حملة أمنية نفذت على عائلتين في المعابدة أسفرت عن جمع نحو 40 قطعة سلاح، هذا ما أكده سابقاً محمد كمال أبوحطب منسق حركة تنمية أسيوط بمدينة أبنوب الذي أوضح أن المعابدة تتوق الآن إلى نظرة شاملة من قبل المسؤولين بعدما أنهكتها الخصومات وكذلك يطمح الأهالي لجني ثمار مبادرة «حياة كريمة» وهو ما تم بالفعل. وشهدت القرية قبل عامين جريمة ما زالت ماثلة في الأذهان حيث أطلق فلاح النار على شقيقه وزوجته وابنيهما، ولم يمر 15 يوما على تلك المجزرة إلا وتلتها أخرى راح ضحيتها 4 من بينهم امرأة. ومن بين الكوارث التي حلت بالقرية قبل عامين السيول المنحدرة من أعلى الجبل الشرقي، التي أدت سببت خسائر كبيرة للأهالي، حيث غرقت القرية وانهار عدد من المنازل. وبتولي الرئيس السيسي تحسن الوضع الأمني في المعابدة كثيرا وهناك جهود تبذل لاحتواء كل الخصومات الموجودة. وبعد إطلاقه لمبادرة «حياة كريمة» بدأت عملية الرصد الميداني لاحتياجات القرى الأكثر فقرا، ومن بينها محافظة أسيوط، انقسمت لاحتياجات البنية الأساسية مثل الطرق والصرف الصحي والمياه والكهرباء، والخدمية مثل المدارس والوحدات الصحية والمستشفيات والمخابز والسكن. وجاءت محافظة أسيوط في صدارة المستفيدين من المبادرة الرئاسية، حيث تم الانتهاء من إعادة تأهيل 380 منزلا في 18 قرية كمرحلة أولى كما جرى تنفيذ المرحلة الثانية لـ 445 منزلا في 27 قرية.

يهود مصر

تقول الحكاية التي يحفظها الآباء ويرددها الأبناء: كان هناك يهودي قدم على أسيوط يركب على حمار والتقى طفلاً أراد ان يختبره فأعطاه 20 جنيها وقال له إحضر لي شيئا آكله وشيئا يأكله حماري وشيئا أتسلى به واحتفظ بالباقي لنفسك، فأحضر الطفل بطيخة حتى يأكلها الرجل ويأكل قشرها حماره ويتسلى الرجل ببذرها. انها قصة شديدة الدلالة على الاتهام الذي يلاحق المدينة كون البخل يسكن مفاصلها للحد الذي جعل لقب «يهود مصر» يلاحق أهلها. ولا أحد يعرف صحة الواقعة السابقة وإن كان البعض يرى أن نعت «الأسايطة» بيهود مصر تعني بان تفكيرهم يتسم بالدهاء والحنكة كتفكير اليهود وليست إهانة بأي حال. اسمها أسيوط مشتق من الكلمة الفرعونية «سيوت» أي الحارس. ظلت أسيوط على مدار العقود الماضية تمثل بالنسبة لطلاب العلم حارسة المعرفة في جنوب الصعيد، إذ استقطبت جامعتها منذ افتتاحها عشرات الآلاف من الطلاب في شتى التخصصات. وتضم المحافظة كنوزاً أثرية وتراثا حضاريا من مختلف العصور، الفرعوني والروماني والقبطي والإسلامي، وتعد من أبرز المقاصد السياحية. وتشير كتب التاريخ إلى أنه في عهد الفراعنة كان يسكن المدينة نائب الملك، إذ أنها كانت قاعدة للإقليم الثالث عشر، وفي عهد الإغريق قسمت مصر إلى الدلتا، ومصر الوسطى، ومصر العليا، وكانت أسيوط عاصمة للقسم الشمالي في عهد الرومان، أما في عهد محمد علي قسمت مصر إلى سبع ولايات من بينها جرجا وأسيوط، وسميت «نصف أول وجه قبلي» وعاصمتها أسيوط.

إله للزحام

من أبرز الآلهة التي عبدت في أسيوط القديمة بواوت، ومعناه «فاتح الطريق» وأستعان به المصريون القدماء كإله مهمته فتح الطرق أمام الملك في المعارك وفي الحياة الأخرى وصوروه على هيئة ذئب. ولحورية دوره كفاتح للطرق فقد كان يضعه الجيش المصري على الألوية التي تتقدمهم في المعارك، ويظهر ذلك في صلاية الملك مينا نارمر التي جسد فيها انتصاره في الدلتا أثناء توحيد البلاد حيث يرجع البعض ذلك الدور لكونه معبود أسيوط آخر أقاليم مصر العليا التي انطلق منها ملوك الصعيد لإخضاع الدلتا (مصر السفلى). ويشير مؤرخون إلى أن بواوت هو فاتح الطريق إلى الجبانة والعالم الآخر أمام الملك المتوفى، وفقاً للنصوص الجنائزية. كما أن الاسم فسره بعض المؤرخين على أنه يفتح الطريق أمام رب الشمس في رحلته في السماء. بدأت عبادة بواوت في مصر العليا وخاصة في أسيوط ومالبثت ان انتشرت في أماكن مختلفة. وقد

أشارت إليه، العديد من الوثائق وأرجعت أصله إلى مصر السفلى، حيث ذكرت أن وب واوت ولد في مقصورة المعبودة واجيت في مصر السفلى. وفي العصور المتأخرة انتشرت عبادته في أسيوط والتي أطلق عليها البطالة فيما بعد أسم «ليكوبوليس» أو مدينة الذئب لمكانة هذا المعبود هناك وقتها، وفي أبيدوس حيث ارتبط بالمعبود أوزير إذ كان يتقدم الموكب الجنائزي المهيب لأوزير رب العالم الآخر.

عزيز مصر

تعد قنطرة المجذوب من أشهر المنشآت الأثرية والتاريخية بأسيوط والتي ظلت شاهد عيان على الإهمال قبل ان توجه الجهود بهدف ترميمها أخيراً. ولها حكاية أزاح الستار عنها الدكتور أحمد سليمان عبد العال مدير عام مناطق مصر الوسطى للآثار الإسلامية والقبطية، والذي أشار إلى أن أسفل أرض ميدان المجذوب أنشئت القنطرة في عصر محمد علي مكان قنطرة قديمة وذلك عام 1251هـ/1835 والإشارة الوحيدة للقنطرة القديمة جاءت في كتاب «وصف مصر». وشيدت القنطرة من جسم داخلي من الطوب الأحمر مغلف من الخارج بالحجر الجيري المنحوت، وتتكون من ثلاثة عقود دائرية أكبرها أوسطها ويبلغ اتساعه 4 أمتار وارتفاعه 4 أمتار. وشملت العقود على دعائم ساندة فيما زخرفت الواجهة بنحت بارز لحيوان خرافي ربطت في رقبته سلسلة من طرفها بشجرة سرو والحيوان يشبه جسم القط والوجه يشبه وجه طائر، ثم نجد حيوانين متدابرين تتوسطهما دائرة وحيوان خرافي يليه رجل وبيده اليسرى عصا تشبه عصا البولو.

وتكشف اللوحة التأسيسية للقنطرة جزءا من تاريخها، وهي من الرخام مكتوب عليها بخط النسخ النص في صورة أبيات شعرية «عزيز مصر أدام الله رفعته حل الصعيد فحاله وزاد سنا. أوصى أمير اللواء البيك الذي كسا قناطر العارف المجذوب ثوب بنا. قواعد وآداب أشكال مهندسيها يسهو لرافعها في البيت حين بنا. كأنها كاعب زفت لذي كرم فكان في نهرها للمجد غنى. بكت سرورًا عبوس الأرض أرخة ليلى بكا عينها بالنيل يضحكنا. 1251هـ». وانتهى المؤرخ لحقيقة مفادها أن القنطرة الحالية طبقًا للنص التأسيسي بنيت سنة 1251هـ/1835م أي عصر محمد علي باشا أثناء حكمه مصر.

من الحجري للنحاسي

حسب رأي كثير من الأثريين من بينهم الدكتور سليمان، فأن ما يطلق عليه العلماء عصور ما قبل التاريخ كانت أسيوط فيها حاضرة تعلن عن نفسها. فبينما كان الإنسان يعيش حياة تقوم على الترحال من مكان لآخر بحثاً عن مصادر غذائه، وكانت الطبيعة تمده بالطعام والشراب ويعيش على صيد الطيور والمواشي والأسماك وجني الثمار والفاكهة، كانت أسيوط تنعم بحياة مستقرة تكونت فيها المجتمعات البشرية وظهرت فيها الزراعة والصناعة والمعتقدات الدينية. وفيها استأنس الإنسان الحيوان وقام بتربيته وهو ما ضمن له الغذاء. وأتاحت الفرصة أمامه استثمار وقته في أشياء أخرى مصاحبة ومكملة للزراعة كاتجاهه إلى صناعة ما يحتاجه من أدوات تساعده في الزراعة، تلك الأدوات التي ما زال يعتمد على أغلبها الفلاحون. وفي وقت سابق أشار عبد العال إلى أن حضارة أسيوط تمثلت في العصر الحجري الحديث في منطقة دير تاسا، وفي العصر النحاسي في منطقة البداري. أما منطقة دير تاسا فترجع حضارتها لعام 4800 ق.م تقريباً وتقع شمال البداري وكشف برونتون عام 1927م، عن منطقة المقابر فيها. وعرف أهل دير تاسا الزراعة وعثر على فئوس من الحجر الجيري، وعلى العديد من الرحى لطحن الحبوب والغلال. وعرف سكانها الكتان ونسجه، وصنعوا خمسة أنواع من الفخار. كما أبدعوا في اتقان أدوات زينتهم مثل العقود من الخرز والخرز المصنوع من العظم، وصلايات لسحق مواد الزينة. ودفنوا موتاهم بوضعهم على جانبهم الأيسر ووجوههم جهة الغرب. واعترف عبد العال بأن حضارة البداري، كانت غير مكتوبة بحروف أبجدية على أوراق أو جدران بل كتبت بالأدلة الأثرية التي خلفتها من أدوات تتحدث عنهم ناطقة بمعان لا يمكن جهلها، تعبر عن مدى رقيهم وتقدمهم في المجالات المختلفة كالزراعة والصناعة والصيد.

تقع البداري على الضفة الشرقية للنيل، كانت إحدى قرى الصعيد التي اشتركت في تدشين الحضارة المصرية، وتعد أقدم مكان في مصر عثرت فيه على أدوات صنعت من معدن النحاس، كشفته لنا الحفائر الأثرية منذ سبعة وتسعين عاماً وقد أجريت هذه الحفائر في بعض القرى والنجوع التابعة لمركز البداري وأهمها المستجدة والهامية ونزلة الشيخ عيسى والشيخ علم الدين. وتدل الآثار التي عثر عليها أن تاريخها يرجع إلى 4500 قبل الميلاد تقريبا.

ثقبوا الأبرة مبكراً

بعد دراسات مستفيضة ومتأنية خلص علماء المصريات إلى أن الآثار التي عثر عليها تؤكد بجلاء أن البداريين كانوا على درجة متقدمة من الرقي الحضاري بالمقارنة بغيرهم من المصريين الأوائل الذين عاشوا في الصعيد خلال العصور الحجرية. من صور ازدهار حضارة البداري وفقاً لشهادات الباحثين والبرديات التي عثر عليها أنهم عرفوا الزراعة واعتمدوا عليها في توفير ما يحتاجونه من غذاء وملابس، كما زرعوا الكتان واستخدموه على نطاق واسع في صنع ملابسهم بعد غزله ونسجه بطريقة أكثر دقة وتقدماً. كما استخدموا الملابس المصنوعة من جلود الحيوانات اتقاءً لبرد الشتاء، وبرعوا في دباغة الجلود وجعلها لينة ناعمة. ويدل غزلهم الكتان ونسجهم له على أنهم استطاعوا ابتكار أنوال للنسيج ذات كفاءة عالية. أما في مجال التعدين فتدل القطع الأثرية التي عثر عليها في البداري والمصنوعة من النحاس الذي كانوا يحصلون عليه من شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية مثل الحلي وحبات الخرز والمثاقب ودبابيس الشعر، على أن البداري أقدم منطقة لتعدين النحاس. ومن الأمور المحيرة كيف استطاع البداريون ثقب الإبرة المصنوعة من النحاس؟ فالثقب يستلزم صنعه وجود مثقاب ذي سن رفيعة جدا وحاد مصنوع من معدن آخر أشد صلابة من النحاس. كان سكان البداري القدماء يؤمنون بالبعث، ويدفنون موتاهم في الصحراء، بحيث تكون رأس الميت في اتجاه الجنوب وينظر إلى الغرب، وهو تقليد مشابه لذلك المتبع في عصر الفراعنة،لكن الفرق هو أن مقابرهم كانت أكثر بساطة، فكانوا يلفون موتاهم بالحصير، ويدفنونهم مع حيواناتهم المحببة.

احتوت أسيوط على عدد كبير جدا من القلائد والأساور والخواتم والأقراط والأحزمة والمآزر المزينة بالخرز الملون وكانت بعض هذه الأدوات مصنوعة من العاج وقشر بيض النعام والأصداف، ولم تقتصر أدوات الزينة هذه على النساء فقط بل كان يستخدمها الرجال والأطفال أيضاً. كما تم العثور على أمشاط للشعر صنعت من العظام وذات أسنان طويلة متقاربة وضيقة الفتحات، ورؤوسها مزينة بأياد ذات أشكال فنية آدمية وحيوانية وأشكال طيور. كما عثر على مطاحن من الإردواز لطحن المواد المستخدمة في الزينة وكذلك صلايات الكحل. ومن القطع الأثرية التي تؤكد درجة الرقي والرفاهية التي وصل إليها البداريون فقد عثر على ملاعق من العاج ذات تجاويف مربعة أو مستطيلة أو بيضاوية وصنعوا مقابضها على هيئة طيور أو حيوانات كالغزال. وتعد صناعة التماثيل حرفة موغلة في الجذور بأسيوط وتحديداً في البداري التي عرف أهلها القدامى صناعة التماثيل الآدمية وعثر على مجموعة من تماثيل النساء مصنوعة من الصلصال والفخار والعاج وهي بداية لفن النحت الذي تطور في العصور اللاحقة حتى أصبحت مصر رائدة لفن النحت في العالم القديم كله.

أدلتهم على البعث

كشفت حفائر ان القدماء دفنوا موتاهم في مقابر عبارة عن حفرة بيضاوية الشكل مبطنة جدرانها بالحصير في وضع القرفصاء كالجنين في بطن أمه، وكانوا يضعون جسد الميت على لوحة من الخشب أو الحجر وهي طريقة لم تكن مستخدمة من قبل حيث كان يوضع فوق التراب وكانوا يلفون جسد المتوفى في أكفان من الجلد أو قماش الكتان في سلال كبيرة من البوص، ويرجح بعض العلماء انها بداية لفكرة التابوت. وحرص البداريون على تزويد مقابر موتاهم بعدد من الأواني وأدوات الزينة المستعملة أثناء حياتهم. كانوا أيضاً يدفنون حيواناتهم النافقة في مقابر خاصة بعد لف أجسادها بالأكفان.

وخلص مدير إدارة الوعي الأثري بأسيوط الدكتور سمير عبدالتواب حمد في تصريحات سابقة إلى أن أصحاب حضارة البداري كانوا من الطبقات العليا، إذ كانوا يرتدون أرقى الثياب ويتزينون بالأساور والقلائد واشتهروا بالقوة وكانوا يصنعون أدواتهم التي يستعينون بها على مقاصدهم وتكشف طريقة دفنهم لموتاهم عن معتقداتهم الدينية التي تؤمن بوجود حياة أخرى قادم لها الإنسان بعد موته، وأن دفنه في وضع الجنين هو إيمان منهم بأنها عودة الولادة. أما تزويد موتاهم بأدوات للمأكل والمشرب والزينة فهو يدل كما أشار علماء المصريات على حياة في العالم الآخر وعلى تعاطفهم مع الميت وحرصهم على راحته الأبدية، ومن المشاعر السامية المعبرة عن تلك الأحاسيس الراقية حرصهم على وضع باقات من الزهور العطرية بالقرب من صدر المتوفي. لقد كان عصرهم بالفعل البداية الحقيقية للحضارة المصرية القديمة التي أبهرت العالم وما زالت. فإذا كان الإنسان قد هبط على سطح الأرض وهو لا يملك إلا جسده فإنه زرع وصنع وبنى وعمّر وأقام حضارة بما آتاه الله من عقل وفكر وبما سخره له من العالم حوله.

حمام ثابت

من آثار المدينة التي وثقها الدكتور أحمد سليمان عبد العال حمام ثابت، أحد المنشآت الأثرية المهمة في أسيوط. يقع الحمام في منطقة القيسارية غرب أسيوط، وتطل واجهته الرئيسية على شارع محمد محمود باشا وبجواره ثلاثة حوانيت.

وهو عبارة عن مساحة مربعة الشكل تقريبا أبعادها 8م × 7.50م، تتوسطها فسقية حجرية ترتفع عن سطح الأرض بحوالي 1.50م، كسيت بألواح من الرخام الملون وبوسطها ثقب تخرج منه الماء. والمدخل مستطيل يتوجه عقد المسلخ، وتزدان الفسقية بأربعة أعمدة من الغرانيت تحمل سقف الشخشيخة التي تشتمل على نوافذ الإضاءة والتهوية. ويحتوي المسلخ على جوانب لخلع الملابس وحفظ أمانات الأهالي ومكتب لجلوس صاحب الحمام. وتحيط بالفسقية أرضية من الرخام الملون بأشكال هندسية. عبر المسلخ ندخل إلى بيت أول وهو مساحة مستطيلة يغطيها قبو نصف دائري به فتحات مغطاة بالزجاج لتسمح بمرور الإضاءة دون الهواء وهذا المكان مخصص لجلوس المستحم حتى لا يخرج للهواء مباشرة. أما بيت الحرارة فيتكون من مساحة مربعة تغطيها قبة ضحلة مقامة على حنايا ركنية، ويفتح هذه المساحة إيوانان ومغطسان وثلاث خلوات مغطاة بقبو نصف دائري به فتحات مغشاة بالزجاج والحوض مغشى بالرخام وتعلوه حنفية للمياه الساخنة. ويحتوي الحمام على مغطسين الأول مطل على الجهة الشرقية والآخر بالجهة الغربية من بيت الحرارة ويغطى كل مغطس بقبو نصف دائري به فتحات مغشاة بالزجاج، ويشتمل الحمام على ثلاث خلاوي خاصة بالتنظيف. وقال عبد العال أن تاريخ الحمام يرجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي اعتمادًا على تشابه فسيفساء أرضيته مع حمامي بشتاك والسروجية، ورجح أن يكون الحمام شيد خلال نفس فترة بناء مجموعة المساجد والوكالات بشارع القيسارية وهي في العصر العثماني.

باللون الأزرق

ليس بوسع المار بأسيوط ان يمنع ذاكرته من ألا تستدعي المذبحة البشعة التي وقعت عقب حادث اغتيال الرئيس الراحل السادات، في 6 أكتوبر 1981 حيث اجتمع مجلس شورى الوجه القبلي للجماعة الإسلامية بزعامة القيادي كرم زهدي، وتم الاتفاق على استهداف خمس جهات في المدينة هي مديرية الأمن بالمحافظة، وقسم ثان، والدورية اللاسلكية، ومباحث أمن الدولة، والمباحث الجنائية، ونقطة شرطة إبراهيم.

واستقر اجتماع مجلس شورى الجماعة على موعد تنفيذ السيناريو الدموي الذي اطلق عليه لاحقاً «مذبحة أحداث أسيوط أكتوبر 1981» واختيرت ساعة الصفر في الثالثة فجر يوم 8 تشرين الأول/أكتوبر، والذي تزامن مع احتفالات عيد الأضحى المبارك. في تمام الساعة 6 صباحا، وقفت سيارة بيجو 404 بيضاء اللون مطلية بالأزرق، أمام مبنى مديرية أمن أسيوط، وسيارة أخرى فيات 125 ترجل من السيارتين 8 أفراد مسلحين أطلقوا النيران عشوائيًا على طاقم حراسة مبنى المديرية، وسقط شهيدًا الملازم أول أحمد وحيد عند مدخل المديرية، واقتحموا استراحة العميد شكري رياض مساعد مدير الأمن وأطلقوا عليه النيران، وسقط شهيدًا ومعه الرائد حسن الكردي و16 سائقا و32 خدمة مسلحين بالرشاشات. في توقيت متزامن مع ما حدث في مديرية الأمن، أطلقت المجموعة المسلحة الثانية من أفراد تلك الجماعة، النيران على الخدمات الأمنية في شوارع مدينة أسيوط مستقلين سيارة ملاكي، وفي الوقت ذاته اقتحمت مجموعة أخرى مبنى مركز شرطة قسم ثان وتمكنت من السيطرة عليه. وواصلت مجموعة مجلس شورى الجماعة تنفيذ مخططها باقتحام مجموعة منهم لمركز شرطة قسم أول أسيوط.

رياضة

هكذا نجا الريال من الإعصار الأزرق... وريمونتادا مزدوجة وحرب طاحنة في دوري الأبطال!

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

الريال نجا من عراقيل تشلسي

اكتملت أضلاع المربع الذهبي لدوري أبطال أوروبا لنسخة 2022–2021، بعد معارك كروية يُقال عنها من زمن العمالقة، بدأت مساء الثلاثاء بـ120 دقيقة من الدراما والخيال العلمي بين حامل اللقب تشلسي ومضيفه شهبندر الأبطال ريال مدريد، تلك الملحمة التي شهدت ريمونتادا مزدوجة، على إثرها ضمن اللوس بلانكوس مكانه في الدور نصف النهائي للمرة الـ31 في تاريخه، والتاسعة في آخر 11 نسخة، تزامنا مع كبرى مفاجآت العام وربما العقد، بخروج بايرن ميونيخ على يد الحصان الأسود الجامح فياريال، قبل أن يأتي رد الإنكليز في اليوم التالي، بحجز المقعدين الآخرين في نصف النهائي، بتأهل سهل لليفربول على حساب بنفيكا، وآخر بشق الأنفس لغريمه ومنافسه المحلي والقاري الأول مانشستر سيتي، بعد النجاة من حرب «واندا متروبوليتانو» مع أتلتيكو مدريد بالنسخة المختلفة التي كان عليها، خاصة في الشوط الثاني.

خدعة كلوب

«من أكبر التحديات أن تلعب مباراة وأنت ضيف على ملعب برنابيو، إذا كان يجب عليك أن تفوز على الأقل بهدفين، تصبح المباراة صعبة للغاية، شبه مستحيلة، ومن غير المرجح تأهلنا، ولكننا سنحاول، سنبذل قصارى جهدنا»، بهذه الكلمات، بارك مدرب تشلسي توماس توخيل، خطة ريمونتادا «سانتياغو بيرنابيو»، مقتبسا خدعة مواطنه يورغن كلوب، حين أبدع في تنويم برشلونة «مغناطيسيا»، بتصريحاته الماكرة عن استحالة العودة بعد السقوط في «كامب نو» في ذهاب نصف نهائي نسخة 2019، التي كان لها مفعول السحر على المعنويات والحالة المزاجية في المعسكر الكتالوني، بحالة الاسترخاء والتراخي التي كان عليها ليونيل ميسي ورفاقه، والعكس بالنسبة للفريق صاحب الأرض، الذي أحسن استغلال الظروف والفرصة النادرة، بتحول اللاعبين لمجموعة من الوحوش الكاسرة في المستطيل الأخضر، وفي مقدمتهم الرجل الذي كُتبت المباراة باسمه، في ما تُعرف من الخليج إلى المحيط بمباراة «الرابع سجله أوريغي»، التي مهدت الطريق لتتويج أحمر الميرسيساید بالكأس السادسة في تاريخه على حساب توتنهام في نهائي «واندا متروبوليتانو»، وهو السيناريو، الذي رسمه توخيل لنفسه وفريقه قبل سماع المعزوفة الموسيقية المدغدغة للمشاعر في قلب «البيرنابيو»، وطبقه بامتياز في أول 70 دقيقة، مستغلا حالة «اللا مبالاة» التي كان عليها الجميع في ريال مدريد، بداية من المدرب الإيطالي كارلو أنشيلوتي، الذي «أكل الطُعم» مثل طيب الذكر إرنيستو فالفيردي في ليلة ريمونتادا «الأنفيلد»، تارة بتصديق نوايا توخيل والوقوع في فخ «التصريحات المُخدرة»، وتارة أخرى بسوء تحضيره للاعبين وتأخره في إنقاذ الكارثة، وتجلى ذلك في قراءته غير الموفقة للمباراة، باعتماده على نفس الخطة والأفكار والجمل التكتيكية، التي قادته للنصر المظفر في ذهاب «ستامفورد بريدج».

الفارق الوحيد، أنه استبدال إيدير ميليتاو الموقوف بداعي تراكم البطاقات الصفراء، بالإسباني ناتشو، معتقدا أن إستراتيجيته في المباراة، هي مفتاح الحياة، أو بالأحرى الطريق السهل لضمان التواجد في المربع الذهبي، ليستفيق على الكابوس الأزرق، بهجوم كاسح بطول الملعب وعرضه، أسفر في أول ربع ساعة عن هدف ماسون ماونت الأول، الذي لخص الحالة المأساوية التي كان عليها الدفاع وثنائي الوسط توني كروس وكاسميرو، بترك الكرة تمر بهذه السهولة للشاب الإنكليزي، لكي يغالط الاخطبوط البلجيكي بدون مضايقة أو على أقل تقدير غلق زاوية التسديد عليه. معها أيقن الجميع في قلعة «البيرنابيو»، مدى صعوبة المباراة وخطورة المنافس، المتسلح بمجموعة من العدائين وأصحاب السرعات العالية، الذين قلبوا الطاولة على ميستر كارليتو، بتحويل نقطة قوته في مباراة الذهاب، بالضغط المتأخر من منتصف الملعب، والاعتماد على الهجمات المرتدة، إلى ثغرة أكثر وضوحا من الشمس في ظهيرة الصيف، خاصة في منطقة المثلث الفارغ بين الجندي المجهول في المباراة فيدي فالفيردي ودائي كاربخال وناتشو في الجزء الأيمن للملعب، تلك المنطقة التي سيطر عليها توماس توخيل، بالطريقة العسكرية المعروفة عن الروس «الأرض المحروقة»، راميا بكل أسلحته الثقيلة في هذه المنطقة الهشة، التي جاء منها هدف ماركوس ألونسو الملغي، وأيضا الهدف الثالث المهين كرويا، الذي سجله ملك الفرص المهدرة، تيمو فيرنر، بعد فاصل من البعثرة للمغلوب على أمره كاسيميرو داخل منطقة الجزاء، انتهى بالضربة القاضية الثالثة، التي أرسلت الأسد اللندني لنصف النهائي، قبل أن يتخلى الحظ عن حامل اللقب، في اللقطة التي يراها كثير من النقاد والمتابعين «منعرج المباراة»، تلك الرأسية التي أنقذها كورتوا ببراعة وردة فعل لا تصدق، بعد دقائق من الهدف الثالث، ليبقي على آمال فريقه ومدربه، بالحفاظ على نتيجة المباراة، بعدما كان من الممكن أن تصل لخماسية مذلة، لولا إلغاء هدف ألونسو وتصدي كورتوا الخيالي، كأن القدر منح أنشيلوتي، فرصة أخيرة لحفظ ماء وجهه، وبدون مبالغة، تأمين عنقه من الإقالة الحتمية حتى لو جلب لقب الليغا رقم 35 في نهاية الموسم. وحسنا فعل الميستر، بإخراج توني كروس، الذي بصم على واحدة من أسوأ مبارياته، ربما في كل مسيرته الاحترافية، ولاحظنا الفارق الشاسع على مستوى الحيوية والنشاط في منظومة الوسط، بعد إشراك الفرنسي اليافع إدواردو كامافينغا، الذي أدخل الوسط الأبيض في أم المعارك، في الوقت الذي تراجع فيه المخزون والمعدل البدني لكانتي وكوفاشيتش وماونت وفيرنر، وكل الأسماء التي لم تتوقف عن الركض على مدار 57 دقيقة.

الجودة والكاريزما

ورغم كوارث أنشيلوتي في اختياراته للتشكيل الأساسي وكل ما أشرنا إليه أعلاه، إلا أنه كان محظوظا وموفقا في إدارته في اللحظات العصيبة، مطبقا المقولة الشهيرة «أن تأتي متأخرا خير من ألا تأتي أبدا»، بعدما أدرك أنه بدأ المباراة بـ10 لاعبين أمام 12 للخصم، وكلمة السر تكمن في الجرائم الكروية التي ارتكبها فيلاند ميندي، والأمر لا يتعلق بالخطأ الفادح الذي أسفر عن الهدف الثالث، بل لمعاناته وتخبطه لدرجة الفشل في استلام تمريرة قصيرة من مسافة لا تزيد على 5 أو 6 أمتار، بعد عناء من مودريتش لإبقاء الكرة في المناطق الدفاعية الزرقاء، ولاحظنا كيف تجدد نشاط هذه المنطقة، بعد مشاركة المخضرم مارسيلو، الذي أجاد في عملية تحرير فينيسيوس جونيور من قبضة ريس جيمس، الذي كان مكلفا بمنع البرازيلي من التنفس في المناطق المحظورة في الرواق الأيمن للبلوز، ونفس التأثير وضح في تغيير رودريغو بغير الموفق كاسيميرو، مع عودة فالفيردي لمكانه المعهود على الدائرة بجانب شريكه المستقبلي كامافينغا، ما أعاد الحدة والشراسة التي افتقدها الوسط الأبيض طوال المباراة، وكانت سببا في هدف تجدد الآمال، بافتكاك موفق للكرة في وسط الملعب، ثم بتمرير سريع للعبقري لوكا مودريتش، الذي سحر الأعين بعرضية لا تخرج إلا من قدم أغلى من الذهب، واضعا رودريغو أمام الحارس السنغالي إدواردو ميندي، ليسجل هدف مد المباراة حتى الدقيقة 120، ولم لا الاحتكام لركلات الترجيح، بدلا من التجرع من مرارة الإقصاء بهكذا سيناريو مؤلم وصادم للمشجعين، لكن مع مرور الوقت وعودة الحياة لمدرجات «البيرنابيو»، بدأ الريال يتحسس طريق النجاة، وجاءت الانفراجة، نتيجة تحرر فينيسيوس في انطلاقة نادرة من الجهة اليسرى، انتهت بالعرضية التي حولها الحكومة كريم بنزيمة برأسية من مسافة 15 متر في شباك أفضل حارس في العالم، الذي اكتفى بمشاهدة قائد الريال وهو يُطلق العنان لنفسه في احتفاله بهدف النجاة والعبور للنقطة قبل الأخيرة في الطريق الملغم نحو الكأس الرابعة عشر، بعد ملحمة هيتشكوكية، ظهرت خلالها قيمة وأهمية تسلح المدربين بمواهب قادرة على التسجيل من أنصاف الفرص، وليس هدف من كل اثنتين أو ثلاث، بجانب التسليم بكاريزما وطغيان ريال مدريد في بطولته المفضلة، كفريق يصعب التنبؤ بأحداث مبارياته ولا ردة فعله، عندما يستشعر الخطر في سهرات الثلاثاء والأربعاء، وبطبيعة الحال، هذا لا يقلل من عمل توخيل وأداء فريقه المبهر، الذي استحق عليه الفوز، لكن لم يستحق التأهل بوجه عام، بسبب خسارته وإدارته غير الموفقة في مباراة الذهاب، وليس لأي شيء بعد كفاحه في المباراة الثانية.

الحرب المستعرة

في اليوم التالي لقمة البلوز والميرينغي، توجهت الأنظار نحو ملعب «واندا متروبوليتانو»، لمشاهدة القمة الإنكليزية الإسبانية الثانية بين بطل البريميرليغ مانشستر سيتي ونظيره الإسباني أتلتيكو مدريد، في مباراة لم توف بكل أسرارها في أول 45 دقيقة، بتكرار نفس مشاهد مباراة ذهاب «الاتحاد»، بسيطرة واستحواذ من النادي السماوي، في المقابل، دفاع مُحكم من فريق الهنود الحمر، ما أعطى إيحاء للمشاهد العادي، بأن الشوط الثاني سيكون امتدادا للمشاهدة المملة كما كان الحال في الأشواط الثلاثة السابقة، لكن بمجرد أن أطلق الحكم صافرة انطلاق الشوط الثاني، شاهدنا نسخة مختلفة لأتلتي دييغو سيميوني، كفريق في منتهى الحدة والشراسة في الثلث الأخير من الملعب، مرتكزا على نهج غير مسبوق منذ رؤية التشولو في سُدّة القيادة الفنية للفريق، باللعب بدفاع متقدم، وأمام من؟ السكاي بلوز، الذي يملك ترسانة من أمهر وأفضل السحرة في العالم، من نوعية رياض محرز وكيفن دي بروين وبرناردو سيلفا والبقية، كأول جرس إنذار حقيقي للفيلسوف بيب غواردیولا، الذي فهم ما يُحاك ضده، بدون الدخول في فلسفة زائدة، وتجلى ذلك في تخليه عن قناعته وسياسته، التي ترتكز على الهيمنة ووضع المنافس في وسط ملعبه، بإعطاء تعليمات واضحة، بالتراجع إلى الوراء، لامتصاص حماس واندفاع أنطوان غريزمان في أول 10 دقائق من الحصة الثانية، قبل أن يُصّعد المدرب الأرجنتيني التهديد ومستوى الجرأة، بإجراء 3 تغييرات دفعة واحدة عند الدقيقة 70، لمضاعفة الضغط على الدفاع بالثلاثة في عقر داره في إياب دور الـ16، ولمعرفة السبب، فتش عن اللمحات الأخيرة، لامتدت المباراة حتى الدقيقة 120، لكن في الأخير، ذهبت البطاقة للطرف الأحق، ليضرب السيتي موعدا ثأريا مع الريال، بذكريات 2020، عندما انحنى الملكي ذهابا وإيابا أمام كتيبة بيب غواردیولا بنتيجة 1–2 في كل مباراة، أو 2–4 في مجموع المباراتين.

المفاجأة والنزهة

في عالم مواز، فجر فياريال كبرى المفاجآت، بإلاطاحة بالمرشح الذي يتفنن في قتل الوقت، وليس العكس كما جرت العادة، والمفارقة أمام الفريق الذي يُضرب به المثل في الأناقة والجمال في عالم كرة القدم في الوقت الراهن، حتى بعد الحرب والمشهد المؤسف، الذي انتهى بطرد متأخر لفيليبي، ظل الأتلتيتي يقاتل على فرصه، ولولا تصدي إيدرسون الرائع في اللحظات الأخيرة، لامتدت المباراة حتى الدقيقة 120، لكن في الأخير، ذهبت البطاقة للطرف الأحق، ليضرب السيتي موعدا ثأريا مع الريال، بذكريات 2020، عندما انحنى الملكي ذهابا وإيابا أمام كتيبة بيب غواردیولا بنتيجة 1–2 في كل مباراة، أو 2–4 في مجموع المباراتين.

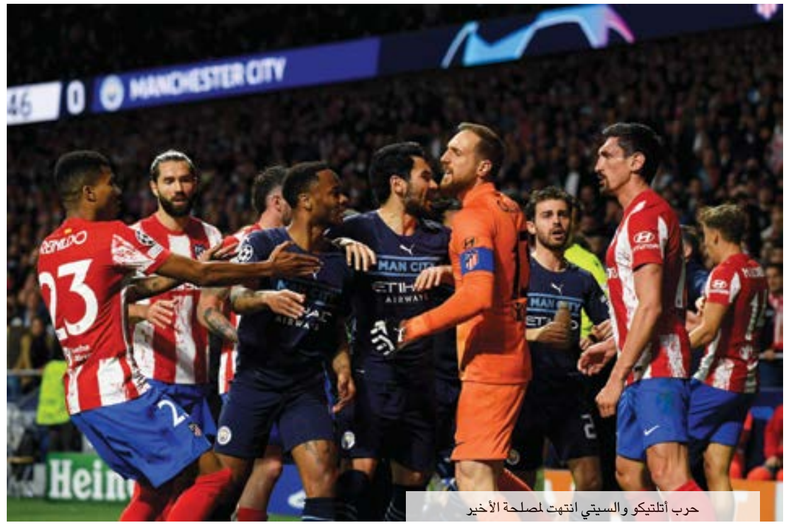
حرب أتلتيكو والسيتي انتهت لمصلحة الأخير

المفاجأة والنزهة

في عالم مواز، فجر فياريال كبرى المفاجآت، بإلاطاحة بالمرشح البارز للفوز باللقب، بايرن ميونيخ، بالتعادل معه في قلب «ألليانز آرينا» بهدف لمثله، في مباراة أثبت خلالها فريق الغواصات الصفراء، أن فوزه باليوربا ليغ على حساب مانشستر يونايتد الموسم الماضي، لم يكن ضربة حظ، وبالمثل انتصاره العريض على يوفنتوس الثانية في تاريخه، والأولى منذ 16 عاما، عندما أهدر الأسطورة رومان ريكيلمي ركلة جزاء في مباراة العودة أمام مدفعجية آرسنال في نسخة 2006 تحت قيادة مانويل بيلغريني، بينما البايرن، دفع ضريبة هشاشة دفاعه بالثغرة الواضحة للجميع، بسهولة اختراقه من العمق، لتباعد المسافات بين قلبي الدفاع ولاعبي الارتكاز، بجانب داء الأخطاء الفردية الساذجة من أوباميكانو على وجه التحديد، وبدرجة أقل هيرنانديز وبافارد، والمتكررة منذ انكشاف الثغرة في ليلة الإذلال الكبير على يد بوروسيا مونشنغلادباخ بالخمسة في الدور الثاني لكأس ألمانيا، ليتبقى للمدرب الشاب ناغلسمان لقب البوندسليغا، ليحفظ به ماء الوجه أمام الجماهير، التي في العادة لا تحتفل بالألقاب، أما الفريق الإسباني الشجاع، فسيصطدم بليفربول في معركتي نصف النهائي، بعد حصول يورغن كلوب على الهدف المنشود، ضمان بطاقة نصف النهائي بأقل جهد وطاقة ممكنة، بعد التعادل مع بنفيكا بنتيجة 3–3 في موقعة الإياب، في مباراة كشفت الكثير من مشاكل وعيوب الدفاع للمدرب الألماني، وفي نفس الوقت، استغلها على أكمل وجه لإراحة أكثر من نصف القوام الرئيسي ليكونوا على أتم الاستعداد لمعركة نصف نهائي كأس الاتحاد الإنكليزي أمام مانشستر سيتي، والسؤال الآن: هل ستستمر عروض ونتائج فياريال التاريخية؟ أم ستنتهي على يد ممثل البريميرليغ كما حدث أمام تيبري هنري والأستاذ آرسين فينغر قبل 16 عاما؟ هذا ما سنحاول تحليله ومناقشته معا في موعدنا قبل 48 ساعة من معارك الذهاب في نهاية الشهر الجاري.

لاعبو فياريال يحتفلون بعد انجاز رائع

بنزيمة... هل لك سرُ عند الله؟

لندن – «القدس العربي»:

حصل مقطع فيديو مدته لا تزيد على 20 ثانية، على ملايين المشاهدة في مواقع التواصل الاجتماعي، بتركيب صوت القارئ الكويتي مشاري راشد، في أنشودته المحركة للمشاعر «هل لك سر عند الله»، على أبرز الأهداف المجانية، التي سجلها قائد ريال مدريد كريم بنزيمة، من العدم، إما بهدية من حراس المرمى، وإما بالضغط عليهم لإجبارهم على الوقوع في الخطأ، على غرار هدفه الشهير في نهائي دوري أبطال أوروبا في مرمى ليفربول 2018، وما فعله في المسكين جيجي دوناروما في إياب ثمن نهائي النسخة الحالية، وأهداف أخرى بنفس الطريقة، كنوع من أنواع الإسقاط أو التقليل من قيمة بنزيمة والتحول الكبير في مسيرته الاحترافية، بعدما أثبت بشكل عملي أن الحياة الكروية والنجومية الحقيقية أحيانا تبدأ بعد الثلاثين، وليست بداية النهاية كما تخبرنا الأسطورة القديمة، وفي هذا التقرير، سنستعرض معا إذا كان الجزائري الأصل يعيش على الحظ وهدايا الآخرين، أم أنه فعلا ظاهرة تستحق التأمل والدراسة، مع انتعاش فرصه في الفوز بالكرة الذهبية.

هكذا قالت صحيفة «ليكيب»، قبل حتى توقيع كريم على هدف إقصاء تشلسي من ربع نهائي دوري أبطال أوروبا، استنادا إلى أرقامه وتأثيره على نتائج ريال مدريد على مستوى الدوري المحلي ودوري أبطال أوروبا، ولا ننسى أن الحديث، عن ذاك اللاعب، الذي تعرض لكل أنواع النقد اللاذع، لاسيما في فترة عمله كمساعد للأسطورة كريستيانو رونالدو، بالتحديد في ولايه زيدان الدين من حراس المرمى، وإما بالضغط عليهم لإجبارهم على الوقوع في الخطأ، على غرار هدفه الشهير في نهائي دوري أبطال أوروبا في مرمى ليفربول 2018، وما فعله في المسكين جيجي دوناروما في إياب ثمن نهائي النسخة الحالية، وأهداف أخرى بنفس الطريقة، كنوع من أنواع الإسقاط أو التقليل من قيمة بنزيمة والتحول الكبير في مسيرته الاحترافية، بعدما أثبت الرجل الثاني أو مساعد البطل، وما كان يضاعف محنته في تلك الفترة الحزينة، حظه العاثر أمام المرمى، بطريقة جعلت الشامتين يتنمرون على الفرص السهلة التي كان يهدرها أمام الشباك، وأغلبها كرات عائدة من الألواح الخشبية، هذا بخلاف معاناته على مدار 5 سنوات، بابتعاده عن تمثيل فرنسا، بسبب قضية ابتزاز فالبوينا في شريط الفيديو الإباحي، إلى أن جاءت اللحظة الفارقة، برحيل الدون في 2018، إثر خلافه مع الرئيس فلورنتينو بيريز بعد عودته للرئاسة، لكن بعد تحمله المسؤولية بدون الهداف التاريخي، أثبت كريم أنه أهل لها، بتخطي حاجز الـ25 هدفا في كل موسم، بإجمالي 30 هدفا في أول موسم بدون شريك الأمس، و27 في الثاني و30 في الموسم الماضي، قبل أن تأتي لحظة الانفجار العظيم هذا الموسم، بمساعدة من كارلو أنشيلوتي، الذي وظف الفرنسي بالطريقة التي انفجر بها رونالدو معه ومع زيدان، فيما ذهب دور مساعد البطل لفينيسيوس، الذي يلعب دورا محوريا في توهج كريم هذا الموسم، آخرها العرضية السينمائية التي حولها القائد بضربة الرأس التي خطفت تأشيرة اللعب في نصف النهائي من تشلسي، موقعا على هدفه الشخصي رقم 38 في مختلف المسابقات هذا الموسم، بالإضافة إلى 13 تمريرة حاسمة، ياصما على أفضل حصيلة تهديفية خلال موسم واحد طوال مسيرته الاحترافية، أو بلغة الأرقام المفضلة للجمهور المدريدي، كسر حاجز الـ50 هدفا في مجمل التسجيل وصناعة الأهداف، كاول لاعب يفعل هذا الأمر منذ أيام الدون، وأول من يسجل هاتريك في مباراتين في مراحل خروج المغلوب منذ كريستيانو، بل أول لاعب في تاريخ النادي يتكفل بتسجيل أهداف الفريق الستة في مباراتين على التوالي على مستوى الأبطال، وغيرها من الأرقام، التي تدعم رأي «ليكيب»، حول ابتعاده بمسافة آمنة عن كل المرشحين للفوز بالكرة الذهبية هذا العام.

رجل المواعيد الكبرى

صحيح صاحب الـ34 عاما، يجلس في المركز الثاني في صراع الهدافين على مستوى القارة، بـ38 هدفا في 38 مباراة، خلف جلاد الجلادين روبرت ليفاندوسكي، الذي هز شباك خصوم بايرن ميونيخ في 47 مناسبة من مشاركته في 41 منذ بداية الموسم، إلا أن كريم، يبقى الرجل الأكثر حسما وتأثيرا على نتائج فريقه على الصعيدين المحلي والقاري، كيف لا وهو «عراب» لقب الليغا الـ35، بجلوسه على عرش هدافي الليغا برصيد 24 هدفا، بفارق 9 أهداف عن أقرب مطارديه، وكذا في دوري الأبطال، نجح في تقليص الفجوة مع قائد بولندا، بفضل أهدافه السبعة في آخر ثلاث مباريات، ليرفع رصيده لـ12 هدفا، بفارق هدف وحيد عن ليفا، لكن لا ننسى أن الأخير لن يظهر مرة أخرى في البطولة، بعد خروج بايرن ميونيخ على يد فياريال في كبرى مفاجآت ربع النهائي، بينما كريم، ما زالت أمامه الفرصة، لإزاحة هداف البايرن من صدارة الهدافين، وبالتبعية الاستمرار في المضي قدما نحو البالون دور، وهذا سيتوقف على تأثيره وبصماته في اختبار الشأر من مانشستر سيتي في نصف نهائي الكأس ذات الأذنين، إما بقيادة الفريق للنهائي وملامسة الكرة الذهبية، أو الخروج من البطولة الأوروبية، والتخلي عن الجائزة لمنافس آخر.

معايير الكرة الذهبية

حتى هذه اللحظة، تظهر المؤشرات أن معايير اختيار أفضل لاعب، تنطبق على كريم بنزيمة أكثر من أي لاعب آخر، لاسيما بعد التعديلات الأخيرة في التصويت لاختيار أفضل لاعب من مجلة «فرانس فوتبول»، أو بالأحرى، العودة إلى الأصول التي تسببت في ارتفاع شعبية الجائزة ووصولها للمكانة التي تبدو عليها الآن، أبرزها تقييم اللاعبين بناء على الأداء والتأثير خلال الموسم واستبعاد كأس العالم من درجات التقييم، وليس على مدار العام أو ترك الأمر للمجهول، كما جرت العادة في عصر خضوع الجائزة للثنائي الفضائي كريستيانو رونالدو وليونيل ميسي، وبالنظر إلى قائمة المنافسين المحتملين لكريم في القائمة المختصرة لأفضل لاعب في العالم، بعد تراجع فرص ليفا، وطبقا للمعايير التي سيؤخذ بها في تصويت العام الحالي، سنجد أنه السنغالي ساديو ماني، لدوره البارز في فوز منتخب بلاده في الفوز بكأس أمم أفريقيا، ثم بإقصاء ضحيته في النهائي، المنتخب المصري من فاصلة مونديال قطر 2022، وبدرجة أقل تأثيره مع ليفربول، بتواجده في المركز الثالث خلف محمد صلاح وديوغو جوتا في قائمة الهدافين في مختلف المسابقات، ما يرجح كفة بنزيمة، إذا سارت الأمور كما يخطط لها، برد الدين القديم لمانشستر سيتي في معركتي النصف النهائي، لينتظر بعد ذلك الفائز من فياريال وليفربول في نهائي باريس الشهر المقبل، فهل سيحدث هذا السيناريو وتصدق توقعات خضوع البالون دور لبنزيمة؟ أم يكون عام الحظ لساديو ماني بعد تأثر صلاح بخسارة نهائي أفريقيا والإخفاق في التأهل للمونديال؟ أم ستكون هناك مفاجأة أخرى خارج التوقعات؟ دعونا ننتظر، لكن الشيء المؤكد أننا تأكدنا من المرشح المفضل أو على أقل تقدير واحد من القائمة المختصرة الثلاثية.

هل استعاد برشلونة بريقه وألقه بالفعل؟

لندن – «القدس العربي»:
جواد صيدم:

بعد ما يقارب سبع سنوات من التخبط محلياً وقارياً بدأ المشجع الكتالوني بملامسة بصيص واضح وجادّ من الأمل الذي يبشر بمستقبل واعد للنادي. فعلى غرار السنوات القليلة الماضية، تشعر وكأن الفريق الحالي صاحب هوية وشخصية. وفي خضم هذا النجاح لا بد من الاطلاع على أبرز الخطوات التي ساهمت في نهضة الفريق وانقاذه من الركام الذي عاش تحته في سبات لفترة طويلة.

بدأت مرحلة التغيير عندما استعاد جوان لابورتا الرئيس الأسبق للنادي منصبه في مارس/آذار 2021، حيث اتخذ سلسلة من الخطوات المهمة في الجانب المالي والكروي. فكان أول وأبرز قراراته انتداب المدير الرياضي العبقري ماتيو ألِيماني، المفاوض الشرس، وصاحب النظرة الملاحة في مواهب المستديرة. وبدأت الإدارة باتباع برنامج إصلاحي لتحسين الوضعية المالية للنادي الذي شارف على الإفلاس في مرحلةٍ معينة خلال فترة الجائحة. فعند انتهاء الموسم بدأت الإدارة بتنظيف الفريق من اللاعبين الذين أتوا بغرض دعائي وتسويقي وليس بغرض قيمتهم الفنيّة والكروية، أمثال كوتينيو وغريزمان، ولم يصلوا إلى مستوى تطلعات الجماهير. كما عملت الإدارة الجديدة على تخفيف رواتب جميع اللاعبين، خاصة أصحاب التأثير المحدود في الملعب كما أومتيتي، واستلفت قرضا بنكيا ضخما، يهدف لتعديل وضعية النادي المالية من «غولدمان ساكس»، وصلت قيمته لحوالي 500 مليون يورو.

لكن الإدارة الجديدة لم تحسن التصرف في موقفين مهمين. الأول هو القبول برحيل أسطورة النادي التاريخية ليونيل ميسي الذي ما زالت تفاصيل رحيله عن قلعة الكتالان غامضةً بعض الشيء، والزمن سيكشف ما الذي حدث بالضبط في هذه القضية التي لن ينساها أي عاشق للفريق الكتالوني خاصةً وأن حملة لابورتا الانتخابية والتي فاز على أساسها بنيت على وعودات تجديد عقد النجم الأرجنتيني. والخطأ الثاني للإدارة الجديدة كان التأخر في تعيين تشافي هيرنانديز على رأس الطاقم التدريبي. حيث أستمر الفريق مع مدربه الهولندي رونالد كومان في بداية الموسم، والذي قدم أداءً متذبذباً منذ الموسم الماضي ومع بداية الموسم الحالي.

لكن الإدارة تداركت خطأها في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي، حيث وقعت مع مدرب السد القطري السابق. لكن القرار جاء متأخراً بعض الشيء، حيث خسر برشلونة حينها العديد من النقاط في الدوري المحلي وسقط إلى الدوري الأوروبي بعدما أنهى مجموعته في دوري الأبطال في المركز الثالث. وعند مجيء تشافي بدأت مرحلة تعرفه على لاعبيه الجدد التي استغرقت حوالي شهرين ما أدى إلى الخروج من كأس الملك والكأس السوبر. لكن السوق الشتوية كانت العلامة الفارقة في فريق تشافي الحالي، فبعد التعاقد مع أداما تراوري ودادي الفيش وفيران توريس وأوباميانغ تغير شكل الفريق بصورة ملحوظة. حيث تغير الخط الأمامي بأكمله وازدادت فعاليته وتأثيره أمام مرمى الخصم.

اليوم، يقبع برشلونة في المركز الثاني في الدوري الإسباني، وهو خلف المتصدر ريال مدريد بـ12 نقطة، وما زال يملك مباراة مؤجلة. لكن عامل الكرة بهدف استرجاعها بأقصر فترة ممكنة، عاكساً بذلك تركيزه على الكرة الشاملة واللعب بنسب استحواذ عالية.

كل هذه الخطوات انعكست بالإيجاب على أداء الفريق الذي أصبح لا يهاب المواجهات خارج ميدانه، ويقلص النتيجة عند التعثر، ويقدم أداءً مقنعاً ومميزاً تحت الضغط وأمام الفرق الكبيرة. حيث كان آخرها النتيجة التاريخية في العاصمة المدريدية في ملعب «سنتياغو بيرنابيو»، حين تغلب برشلونة على غريمه التاريخي ريال مدريد 4–0. كما تستمر الإدارة في محاولة إصلاح الوضعية المالية للنادي، إذ أعلن مؤخراً عن اتفاق رعاية طويل الأمد مع شركة «سبوتفاي» لقميص وملعب النادي، يبدأ من الموسم المقبل، بقيمة 280 مليون يورو لأربعة مواسم، وبنحو 70 مليونا في العام الواحد. كل هذه الإنجازات التي حققتها الإدارة الجديدة في زمن قياسي، رغم أخطائها في بعض المحطات، تبشر بمستقبل مضيء للفريق الكتالوني الذي أعلن الشهر الماضي أنه عاد بالفعل للواجهة الأوروبية وعن جهوزيته لمقارعة كبار القارة مع بداية الموسم المقبل.

مشاركته على العشب الأخضر. لكن تشافي بث فيه الثقة وأعطاه الفرصة ليخرج منه مستواه الأفضل منذ أتى إلى الفريق في 2017. كما أعطى ثقته للمهاجم المخضرم أوباميانغ الذي خرج من فريقه السابق أرسنال على خلاف مع مدربه، إذ سجل 10 أهداف في 41 مباراة حتى الآن. كما عمل تشافي على أستعادة مستوى الحرس القديم الذين لعبوا معه والذين بدأوا يفقدون بريقهم مع اختلاف المدربين خلال السنوات الماضية كبوسكيتس وبيكي وجوردي ألبا.

أما من الناحية الفنية فعمل تشافي على تسريع دوران الكرة في ارضية الملعب وتوسيع رقعة اللعب وإعادة أحياء هوية النادي التي أسسها الراحل يوهان كرويف الـ«تيكي–تاكا» والمتمثلة في التمريرات السريعة القصيرة، خصوصاً في الساحات الضيقة للخروج من ضغط الخصم. لكنه قدمها بصورة أكثر عصرية لتتماشى مع أسلوب الكرة الحديثة في الملاعب الأوروبية بحيث دمجها مع نظرته الشمولية الجديدة وأسلوبه في رؤية أرضية الميدان، وابتعد الفريق عن الأسلوب الممل وأصبح ينوع في طرق مفاجأة الخصم. كما عمل على الضغط على حامل الكرة بهدف استرجاعها بأقصر فترة ممكنة، عاكساً بذلك تركيزه على الكرة الشاملة واللعب بنسب استحواذ عالية.

أداء الفريق الذي أصبح لا يهاب المواجهات خارج ميدانه، ويقلص النتيجة عند التعثر، ويقدم أداءً مقنعاً ومميزاً تحت الضغط وأمام الفرق الكبيرة. حيث كان آخرها النتيجة التاريخية في العاصمة المدريدية في ملعب «سنتياغو بيرنابيو»، حين تغلب برشلونة على غريمه التاريخي ريال مدريد 4–0. كما تستمر الإدارة في محاولة إصلاح الوضعية المالية للنادي، إذ أعلن مؤخراً عن اتفاق رعاية طويل الأمد مع شركة «سبوتفاي» لقميص وملعب النادي، يبدأ من الموسم المقبل، بقيمة 280 مليون يورو لأربعة مواسم، وبنحو 70 مليونا في العام الواحد. كل هذه الإنجازات التي حققتها الإدارة الجديدة في زمن قياسي، رغم أخطائها في بعض المحطات، تبشر بمستقبل مضيء للفريق الكتالوني الذي أعلن الشهر الماضي أنه عاد بالفعل للواجهة الأوروبية وعن جهوزيته لمقارعة كبار القارة مع بداية الموسم المقبل.

حروب البشرية
تنتقل الى عالم كرة القدم!

عالمنا اليوم مليء بالخلافات والأزمات والمتاعب، رغم التقارب البشري بفضل التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصالات المتطورة ووسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة، الا أن السياسة والصراعات الاقتصادية لم تعد هي الوحيدة التي تؤجج خلافاتنا اليوم، بل أصبحت كرة القدم وسيلة فاضحة للشحن والتأجيج والتعبئة نحو الكراهية والعنصرية.

قبل بزوغ عالم التواصل الاجتماعي ووسائل التخاطب المتطورة، وقبل وجود فضائيات تنقل أحداث مباريات كرة القدم بصورة حية ومباشرة، كانت وسائل المناكفات والاستفزازات بين جماهير كرة القدم تقتصر على بضع كلمات وابتسامة ساخرة واستهزاء عابر، وكل ناد له جماهيره المحاصرة بحدود وجغرافيا، فلا وجود لروابط جماهير ولا صوت لأنصار من خارج البلاد، فالتواصل محدود، لكن مع مرور الوقت وتحديداً مع مطلع الألفية الجديدة اختلف الحال تماماً، فالمباريات الاوروبية صارت تنقل عبر الفضائيات الى كل العالم. وفي العقد الثاني من هذه الألفية، صار المحبون لأندية بعينها يتواصلون على مواقع التواصل، بل باتوا يتسلحون بآخر الاخبار والاشاعات عن النجوم والمدربين المحتملين لفريقهم، بفضل المواقع الرياضية على الانترنت، وفجأة اوقدت النار، فلم تعد السياسة وحدها تفرق الشعوب، بل باتت كرة القدم كفيلة بتفرقة أفراد العائلة الواحدة، بسبب حدة المنافسات وشراسة المواجهات.

فجأة أصبح الطفل في عالمنا العربي، يسير على خطى أقرانه بعشق رياضة كرة القدم، وبات مطالب بأن يختار فريقاً يشجعه من القارة الأوروبية، كونها تحظى بأقوى الدوريات، فأصبح يضيق خياراته، بالبحث عن الأفضل والأنجح، ليس فقط في الوقت الحالي، بل عبر تاريخ هذا النادي، لأنه يريد ان يكون في مركز قوي عندما يناقش أقرانه بفريقه المفضل. هنا شاهد العالم ينقسم على تشجيع فريقين كبيرين من اسبانيا، ريال مدريد، ويقال له الملكي، وآخر برشلونة يكنى بالكتالوني، وكلاهما يملك ترسانة من النجوم. هذا لديه رونالدو وذاك لديه ميسي، فيصبح خياره منصباً بين الاثنين، فيدرس التاريخ وعدد الألقاب ومن يثيره أكثر في أسلوب لعبه، أهذا بقيادة النجم البرتغالي أم ذاك بقيادة النجم الأرجنتيني؟ فيختار بينهما.

هنا ينتقل الفتى الذي يكبر بمرور السنوات ليصبح شاباً يافعاً مقدماً على الحياة بكل أوجاعها ومعاناتها، بحثاً عن وظيفة ومنزل أسري، في ظل أحوال اقتصادية مزرية وصعبة، وربما اجراءات سياسية واقتصادية تعسفية من حكومة بلاده، مع الكثير من الخيبات والتطلعات التشاؤمية للمستقبل على المدى القصير، لينظر حوله ليجد ان ناديه الذي اختاره بعناية هو ملاذه وراحة باله وسبب رئيسي في سعادته في هذه الحياة، بل أيضاً في بعض الأحيان تكون خسارة هذا الفريق موجعة الى حد الألم، لكن تبقى له لذة خاصة.

يأتي الشاب المحطم نفسياً بسبب أحوال بلاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومتسلحاً بكل معلوماته وخبرته في متابعة ناديه، ليلقى بدلوه في مواقع التواصل الاجتماعي للدفاع عن ناديه بأشرس ما أوتي من قوة، بل في بعض الأحيان، بأقذر الشتائم الممكنة، على كل من يعادي ناديه او مدربه أو نجوم فريقه، بل على كل من يبدي وجهة نظر ناقدة او تعكس تحليلاً واقعياً لحال ناديه لكنه لا يتماشى مع آماله وطموحاته والرغبات الجامحة في داخله، والتي بناها بعناية للتغلب على أحواله الحياتية المزرية. فيصبح الدفاع عن ناديه بأستماتة هو فقط ما يُسمح له للتعبير عن غضبه الكامن ورفضه لأوضاع مزرية، فيستفيض ويستشرس ويبالغ في رؤية محاسن ناديه، ويغض البصر عن السلبيات، بل يوهم نفسه بأنها من فعل الأشرار من الاندية المنافسة، فقط كي لا تهدم الصورة البراقة التي بناها لنفسه، وكي لا يختفي الضوء الساطع الوحيد في حياته، الى درجة أنه قد لا يغضب اذا شُتم شخصياً او شُتم أحد أفراد عائلته أو بلاده او حتى دينه، بقدر غضبه اذا سمع أحدهم ينتقد ناديه او مدربه او نجوم فريقه.

للأسف هذا واقع موجود اليوم في عالمنا، والأخطر ان هناك جيوشاً من الأنصار والمشجعين جاهزين دائماً للتعبير عن غضبهم الكامن في كل مكان، فمثلما كشف مدرب بايرن ميونيخ يوليان ناغلسمان يوم الجمعة الماضي عن تلقيه 450 تهديداً بالقتل عبر «انستغرام» عقب اقصاء فريقه من ربع نهائي دوري أبطال اوروبا أمام فياريال، ومثلما تعرض نجوم المنتخب الانكليزي لأفظع الشتائم العنصرية بعد خسارة منتخبهم نهائي كأس أمم أوروبا الصيف الماضي، وغيرها الملايين من الحوادث المؤسفة المتعلقة بكرة القدم، لنكتشف ان فعلاً حروب البشرية انتقلت الى عالم كرة القدم.

@khaldounElcheik

مجتمع

ترحيب من المنظمات النسوية ورفض أزهري

«فاتن أمل حربي» يخترق المسكوت عنه في قضايا الأحوال الشخصية في مصر

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

بين من رآه أشبه بإلقاء حجر في مياه آزمة قوانين الأحوال الشخصية الراكدة في مصر، ومن اتهم المشاركين فيه بإثارة جدل ديني والإساءة للإسلام، يقف مسلسل «فاتن أمل حربي» من تأليف الكاتب الصحافي المصري إبراهيم عيسى بين فريقين أحدهم يرفع راية الإشادة، وآخر يعتبره جزءا من مخطط لهدم الدين.

يتناول المسلسل الذي تلعب دور البطولة فيه الفنانة نيللي كريم، قضايا الولاية التعليمية للأطفال في حال الطلاق، وحضانة الأم للأبناء في حال زواجها مرة أخرى.

وحسب قانون الأحوال الشخصية المصري، تفقد المطلقة حقها في حضانة أطفالها بمجرد الزواج مجدداً.

مركز الأزهر العالمي للفتوى، في أول تعليق له على الجدل المثار على المسلسل، خرج ليؤكد أنه يدعم الإبداع المُستنير الواعي، لكنه في الوقت نفسه يحذر من الاستهزاء بآيات القرآن الكريم، وهدم مكانة السُّنة النبوية، وإذكاء الأفكار المتطرفة، وتشويه صورة عالِم الدِّين في المجتمع.

اعتبر المركز في بيان، أن تشويه المفاهيم الدِّينية، والقِيم الأخلاقية؛ بهدف إثارة الجَدَل، وزيادة الشُّهرة والمُشاهدات؛ أنانيّة ونفعيّة بغيضة، تعود آثارها السَّلبية على استقامة المُجتمع، وانضباطه.

ورفض البيان ما وصفه بتعمُّد تقديم عالِم الدِّين الإسلامي بعمامته الأزهرية البيضاء في صورة الجَاهل، الإمَّعة، معدوم المروءة، دنيء النَّفس، عَيِيّ اللسان – في بعض الأعمال الفنيَّة–؛ تنمُّرٌ مُستنكَر، وتشويه مقصود مرفوض، لا ينال من العلماء بقدر ما ينال من مُنتقصيهم، ولا يتناسب وتوقير شعب مصر العظيم لعلماء الدِّين ورجاله.

لكن المركز في الوقت نفسه، أكد انه لا كهنوتية في الإسلام لافتا إلى أن الأئمة والفقهاء لم يدعوا العصمة لأنفسهم على مرّ العصور، بل كلهم بيَّن ما رآه حقًّا وَفق أدوات العلم ومعايير التخصُّص على وجه الإيضاح، لا الإلزام، ونسبة هذه الأوصاف الشائنة للعلماء تدليسٌ، ووصاية، وخلطٌ مُتعمَّد؛ يهدف إلى تشويههم، وإسقاط مكانتهم ومقامهم، كما يهدف إلى تشويه مفاهيم الدين الحنيف، وتفريغه من مُحتواه.

وتابع البيان: الاستهزاء بآيات القرآن الكريم، وتحريف معانيها عمّا وُضعت له عمدًا، وعَرْض تفسيرات خاطئة لها على أنها صحيحة بهدف إثارة الجدل؛ جريمة كُبرى بكل معايير الدين والعلم والمهنية، وتَنكُّرٌ صارخ للمُسلَّمات.

وأكد أن السنة النبوّية الصَّحيحة ثاني مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي التطبيق العملي له، وأولى أدوات فهمه واستنباط أحكامه، التي دلّ القرآن على اعتبارها وحيًا إلهيًا من قول النبي محمد وفعله وتقريراته، ومحاولة تهميشها وتنحيتها؛ محاولةٌ لهدم عماد من عُمُد الدين، واعتداءٌ مرفوض على مكانة صاحب السُّنة.

وتابع البيان: إجماع العلماء المُتخصصين المُجتهدين في أحد العصور على حكم شرعي حُجَّة مُعتبرة، لا يجوز مخالفتها، لا لكون آحاد هؤلاء العلماء معصومًا كما يُزعَم، بل لاستحالة خطئهم مُجتمعين في فهم نصٍّ، دلّت على صِحَّته أدوات العلم والاستنباط، التي تخصَّصوا فيها وأتقنوها، وشريعة الإسلام شريعة مُتكاملة معصومة تُصلح كلّ زمان ومكان، واجتهادات الفقهاء على مَرّ العصور رسَّخت منهجًا للفهم والتطبيق يستفاد منه في استخراج آراء جديدة تُناسب تطوّر الواقع ومُستجداته، وتراعي مصالح النَّاس.

وعن تجديد الخطاب الديني، قال المركز في بيانه: تجديد الفكر وعلوم الإسلام جرفة دقيقة يُحسنها العلماء الرَّاسخون في المحاضن العلمية المُتخصِّصة، قبل نشره على الشاشات أو بين غير المُتخصِّصين، والفكر المُتطرف في أقصى جهتيه جامد يرفض التجديد بالكلية في جهة، أو يُحوّله إلى تبديد للشَّرع وأحكامه في الجهة الأخرى.

وفيما يخص حضانة الأطفال، قال المركز، إن الإسلام أعطى الأمّ حقَّ حضانة أولادها عند وقوع الانفصال حتى يستغنوا عنها إذا لم يكن عارض أو مانع من الحضانة، ولا ينبغي مطلقًا أن يكون الطفل بين يدي والديه أداة ضغط أو دليلَ انتصارٍ مُتوَهَّم.

واعتبر البيان، أن المسلسل يطرح القضايا الدينية والمُجتمعية العادلة في قوالب مشبوهة، قائلا، لإن مثل هذا الطرح يظلم هذه القضايا، ويستخدم المنهج الانتقائي الموجه في عرض مشكلة مجتمعية، لا يعرضها من جميع جوانبها، ولا يُساهم في حلها، بل يُفاقمها، ويزيد الاستقطاب حولها، ويعكّر السِّلم المُجتمعيّ، ويُصدّر للعالم صورة مُجتزأة وسلبية عن المجتمع المصري على غير الحقيقة والواقع.

واتهم البيان المسلسل، بانه يمارس الشَّحن السَّلبي المُمنهج في بعض الأعمال الفنيّة تجاه الدِّين؛ بنسبة كل المعاناة والإشكالات المُجتمعية إلى تعاليمه ونُصوصه؛ تحيزٌ واضح ضدّه، واتهام له بضيق الأفق والقُصور، ونذير خطر يؤدّن بتطرف بغيض فيه أو ضدّه، ويهدّد الأمن الفكري والسِّلم المجتمعي.

أوصياء الدين

إلى ذلك قال الدكتور سعد الدين هلالي أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، إن مسلسل «فاتن أمل حربي» أظهر معدن الأغلبية المصرية الطيبة التي تجتمع بفطرتها السوية لحماية الضعيف، وجبر خاطر المكلوم، والشد من أزر المظلوم، وإكرام الضيف والتواصي به خيرا.

وأضاف في منشور له على صفحته على فيسبوك، أن المسلسل فضح شرذمة أوصياء الدين وجهلهم بفقههم المتجدد، وكشف أعدادهم المحدودة التي فرضت نفسها بغليظ القول وعسر الرأي وتشدد الفتوى، واصطادت ضحاياها بالجعجعة والغيبة والنميمة وافتراء الكذب وهتك أعراض مخالفيهم وبكاء التماسيح وادعاء المظلومية تحت ستار نصرة الدين لإنقاذ ظلمهم بهدم الكرامة الإنسانية للعامة، وإضاعة حقوق المرأة الفطرية، والافتئات على الآخرين.

وتابع: «كل ذلك تسبب في تشويه صورة الدين البريئة التي تأخذ بيد الإنسان وتخدمه وترفع قدره بحرية الاختيار، دون الطبقية المقيتة بين عوام المؤمنين وبين أوصيائهم».

كان الدكتور سعد الدين هلالي، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، قال إنه راجع الموضوعات الفقهية التي طرحها مسلسل «فاتن أمل حربي» بتدقيق شديد، مضيفًا أن «كل كلمة جاءت فيه مدروسة بعناية».

في المقابل رد محمد إبراهيم العشماوي أستاذ الحديث الشريف وعلومه في جامعة الأزهر الشريف، على الهلالي.

وكتب العشماوي: ليته لم يقله؛ فإنه يغض من قيمته، وقد عهدنا رجال الأزهر يراجعون المسلسلات الدينية والتاريخية، دون هذه المسلسلات التي تروج لأفكار مسمومة ضد الدين، ولو لم يقل إنه راجعه لكنا نستدل بمحتواه على أنه راجعه؛ فإن المسلسل يحوم حول نفس المشروع الذي يتبناه الدكتور الهلالي، وهو نسبية الدين، وهي نظرية كارثية بكل المقاييس.

وأضاف، أننا قمنا بالرد عليه بناء على أمنيته بأن يخرج أحد لينتقد المسلسل نقدا موضوعيا؛ ليرد عليه بالحجج والبراهين، وجاء ردنا على بعض ما شاهدناه، ووصل إلينا علمه، وهو المشهد الذي تقول فيه الممثلة للشيخ: (أنا مش عايزة تفسيركم أنتم، أنا عايزة كلام ربنا) وهذه الجملة هي محور المشروع الهلالي، وقد ناقشناه مرارا على صفحتنا، وخلاصة المناقشات أنه كما يدعي الدكتور الهلالي أن كلام الفقهاء يحتمل الخطأ والصواب؛ فكلامه أيضا يحتمل الخطأ والصواب، فلماذا يطالبنا باتباع كلامه، دون اتباع كلام الفقهاء؟ ومطالبته بالتحرر من سلطة الفقهاء، والرجوع إلى ما يستريح إليه الإنسان؛ يفضي إلى أن تكون هناك أديان شتى، بل أهواء شتى، ويجعل العوام بمنزلة الفقهاء، ويبطل المنهج العلمي؛ لتتحول الأمور إلى فوضى لا نهاية لها، وهو إلحاد صريح.

مشروع قانون جديد

كشفت مؤسسة قضايا المرأة المصرية وهي مؤسسة حقوقية معنية بقضايا المرأة مشاركتها في إعداد مشروع القانون الجديد المقدم من النائبة نشوى الديب.

وقالت المؤسسة، إنه على مدار 20 عاما ماضية، حرصت على وضع وصياغة مقترح القانون تحت شعار «قانون أسرة أكثر عدالة» وأقامت حوارات ومناقشات عليه في مختلف محافظات الجمهورية للحصول على رأي وتوافق مجتمعي حوله.

وتضمن مشروع القانون عدة بنود جديدة كان أبرزها المادة السادسة عشرة والتي تنص على حق الزوجة في حالة رغبة زوجها الزواج عليها أن تقوم المحكمة بمراجعتها والحصول منها على الموافقة، فإذا رفضت يحق للمحكمة أن تتدخل وتحاول الصلح بينهما.

ونصت المادة على أنه في حالة إذا ما أصر الزوج على التعدد يحق للزوجة طلب الطلاق والحصول على كافة حقوقها المترتبة خلال شهر من تاريخ الطلاق، مشيرة إلى أنه في حالة موافقة الزوجة على زواج زوجها بأخرى أن تطلب منه الالتزام بتوفير كافة نفقاتها ونفقات أولادها وكذلك حقوقها الشرعية المحضون وفقاً لتقرير اجتماعي ونفسي لحالة الطفل/ة– وفي هذه الحالة لا تستحق أجر مسكن وحضانة. وجاء ترتيب الحضانة بحسب مشروع القانون، للأم ثم للأب ثم للمحارم من النساء مقدماً فيه من يدلي بالأم على من يدلي بالأب ومعتبراً فيه الأقرب من الجهتين.

ويأتي الأب في المشروع الساري في مرحلة متأخرة في حضانة الأطفال، بعد الأم والجدات وشقيقات الأم.

نسبي وحسب الاتفاق، وهذا بخلاف الحقوق الأخرى للزوجة المترتبة على الطلاق مؤكدة أنه لا يدخل في الاتفاق العائد المادي أو الميراث أو الهبة التي تؤول لأحد الزوجين، أو تم تكوينه قبل الزواج.

حضانة الأطفال

وعن حضانة الأطفال، نص مشروع القانون على ألا تسقط الحضانة عن الأرمل أو الأرملة في حال الزواج مرة أخرى إلا إذا ثبت عدم صلاحية أو عدم أمانة زوج الأم أو زوجة الأب، ولا تسقط الحضانة عن الأم بزواجها من آخر ما لم يقرر القاضي خلاف ذلك لمصلحة

مقلوبة فول

المكونات

2 كوب أرز بسمتي
نصف كيلو لحم ضأن مع العظم.
نصف كيلو فول أخضر منظف ومقطع.
حبة بصل مفرومة ناعم.
ملح.
ورق غار، 5 حبات حبهان، عود قرفة صحيح.
بهارات ملعقة مشكلة.
نصف ملعقة كركم.
نصف ملعقة بهار ناعم.
نصف ملعقة قرفة مطحونة.
ملعقة كبيرة سمن بلدي.

طريقة التحضير

نسلق اللحم مع القرفة العود، والحبهان وورق الغار، حتى ينضج تماماً ويصبح طريا، ثم نصفيه من المرقة ونحتفظ بكليهما جانباً.
نسلق الفول المنظف والمقطع بالمرق حتى يقارب على النضج.
في وعاء على النار نسخن السمن البلدي، ثم نشوح البصل حتى يذبل ومن ثم نضيف الفول ونستمر بالتقليب.
نضيف الأرز البسمتي المصفى والملح والبهارات، ونقلب لدقيقة.
نضيف 3 كوب من مرق اللحم ونتركه حتى يغلي، ونغطي الوعاء، ونترك الأرز على نار هادئة جدا حوالي نصف ساعة حتى ينضج.
نقدم المقلوبة مع اللحم، ونزين بالمكسرات ونقدم معها سلطة زبادي.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

نصائح خبراء تغذية
في وجبات الإفطار والسحور الرمضانية

صيام شهر رمضان له تأثير إيجابي ويحسن من الصحة العامة للإنسان إذا تم بطريقة صحيحة. فالبعض يشكو من زيادة في الوزن خلال شهر رمضان وآخرون يشكون من مشاكل صحية، نظرا لاختلاف طبيعة التغذية وأوقاتها في هذا الشهر. خبراء صحة ألمان يقدمون بعض النصائح لصيام صحي ولتغذية سليمة ومتوازنة.

تكمن المشكلة كما يرى خبراء التغذية في أما تناول وجبة كبيرة من الإفطار وخاصة تلك التي تكون مليئة بالتوابل فقد تسبب آلاما وحرقة في المعدة وتسبب مشاكل في الهضم. وتناول الحلويات بصورة كبيرة يسبب هو الآخر مشاكل طبية وزيادة في الوزن. ولذلك ينصح خبراء موقع «غيسوندهايت» الألماني المختص في تقديم النصائح الطبية، بتجنب تناول بعض المواد الغذائية وتنظيم المواد الغذائية المتناولة في وجبتي الإفطار والسحور.

وجبة السحور: يجب أن تكون هي الوجبة الغذائية الرئيسية ويجب أن تكون مليئة بالفيتامينات والمواد الغذائية الضرورية التي تجعل الإنسان يصوم يومه من دون مشاكل صحية. ويجب أن تحتوي وجبة السحور على السكريات والنشويات التي تزود الجسم بالطاقة وتجعله لا يشعر بالجوع، بالإضافة إلى الألياف الغذائية التي تساعد في دفع الغذاء داخل الجهاز الهضمي.

بعض المواد الغذائية المناسبة لوجبة السحور:
- الخبز من القمح والخبز الأسمر
- البقوليات وخاصة العدس
- النشويات بطيئة الامتصاص كالأرز أو البرغل والرقائق
- الحليب ومشتقاته

وجبة الإفطار: وجبة الإفطار التقليدية تبدأ بتناول التمر الذي يزود الجسم بالسكريات التي يفقدها خلال اليوم، بالإضافة إلى المواد الغذائية المتنوعة.
- نوع من النشويات، كالأرز أو المعكرونة أو البطاطس أو البرغل
- نوع من اللحوم، مثل اللحم الأحمر أو الدجاج
- يمكن الاستعاضة بالسمك بدلا عن اللحوم
- الخضار المطبوخة
- شرب كميات مناسبة من الماء وعلى أوقات متفرقة
- شرب المشروبات الباردة والحارة، كالشاي، يمكنه تعويض الجسم عما فقده من السوائل أثناء اليوم.

أما الأشياء التي لا ينصح بتناولها أو يجب الإقلال منها في شهر رمضان فهي الحلويات والسكريات، وخاصة بعد الفطور لتفادي أية زيادة في الوزن ولتجنب أمراض القلب والشرايين. وينصح خبراء التغذية الألمان بتجنب الجلوس أو النوم بعد الإفطار، وبدلا عن ذلك ينصح بالمشي لمدة ساعتين على الأقل بعد الإفطار لتسهيل عملية هضم الغذاء، وفقا لما أورده موقع «غيسوندهايت». (dw)

الحمل
عليك أن تستعد لتغيير واقعك الحالي

الثور
يوم من الأفق الجديد والصداقة العارمة

الجوزاء
يشاطرك الزملاء النظرة إلى الأمور

السرطان
لا تبدو المؤشرات الصحية مشجعة

الاسد
زيارة مفاجئة من شخص تفرحك كثيراً

العذراء
احذر أي مواجهة هذا اليوم

الميزان
لا تستسلم فالأمور ستتحسن

العقرب
تحقق خطوة مهمة في علاقتك العاطفية

القوس
لن تتقدم في مكان العمل اليوم

الجدي
لا تدع الآخرين يسيطرون عليك

الدلو
تجد الحب الصادق قريباً

الحوت
اليوم يحمل أوضاعاً دقيقة

جديد الطب

روبوتات صغيرة تُحقن في الدماغ لمعالجته

كانت فكرة حقن روبوتات صغيرة في الدماغ البشري لإجراء عمليات علاجية فيه مجرّد ضرب من الخيال العلمي، لكنّها قد تتحوّل حقيقة بفضل شركة أمريكية ناشئة.

وتعتزم شركة «بايونوت لابس» إجراء تجاربها السريرية الأولى على البشر بعد غضون عامين فقط لاختبار روبوتات صغيرة قابلة للحقن يمكن التحكم بها في الدماغ باستخدام تقنيات تعتمد على المغناطيس.

ويقول المشارك في تأسيس الشركة رئيسها التنفيذي مايكل شيبغلماكر إنّ «فكرة الروبوت الصغير ظهرت قبل أن أولَد».

ويقول العالم البالغ 43 عاماً «نريد أن نحوّل الفكرة القديمة إلى حقيقة».

ومن خلال العمل إلى جانب معاهد أبحاث «ماكس بلانك» المرموقة في ألمانيا، اعتمدت الشركة الطاقة المغنطيسية لدفع الروبوتات بدل اللجوء إلى التقنيات الضوئية أو فوق الصوتية، لأنّ هذه التقنية لا تتسبب بضرر لجسم الإنسان.

وتُربط لفائف مغناطيسية موضوعة خارج دماغ المريض بجهاز كمبيوتر يمكنه التحكّم من بُعد وبدقة بالروبوت الصغير المحقون في الجزء المصاب من الدماغ، قبل إزالته من خلال اعتماد المسار نفسه. والجهاز بأكمله يمكن نقله بسهولة، عكس جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي، ويحتاج إلى كهرباء أقل بعشر مرات إلى مئة مرة.

وتَظهر عملية محاكاة أن الروبوت، وهو أسطوانة معدنية يبلغ طولها بضعة ميليمترات وعلى شكل رصاصة صغيرة، يتبع ببطء مساراً مبرمجاً سلفاً عبر وعاء مليء بمادة هلامية تضاهي كثافتها ما يحويه المخ البشري.

وبمجرد الاقتراب من كيس مليء بسائل أزرق، يدفع الروبوت بسرعة كبيرة كالصاروخ ويخترق الكيس فيتدفق السائل.

ويأمل المخترعون في استخدام الروبوت لاختراق الأكياس المليئة بالسوائل الموجودة داخل الدماغ عندما تنطلق التجارب السريرية في غضون عامين.

وفي حال نجحت هذه التجارب، يمكن الاستعانة بالتقنية لعلاج متلازمة داندي ووكر، وهي تشوّه دماغي نادر يصيب الأطفال.

ويعاني المصابون بهذا المرض الخلقي من أكياس مماثلة بالحجم لكرة الغولف، تكبر وتزيد الضغط على الدماغ ما يتسبّب بحدوث مجموعة من الحالات العصبية الخطرة.

وفي حال حصلت الروبوتات على موافقة للاستخدام، من شأنها أن توفّر فوائد مهمة مقارنة بالعلاجات الحالية المتوافرة لاضطرابات الدماغ. ويقول شيبغلماكر إنّ تقنية الروبوتات الصغيرة «تتيح الوصول إلى أهداف لم يكن ممكناً الوصول إليها، وتسمح لاستهدافها بشكل متكرر من خلال المسار الذي يوفر أكبر قدر من الأمان».

ومنحت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية العام الماضي موافقة للشركة من شأنها أن تمهّد الطريق لتجارب سريرية هدفها علاج متلازمة داندي ووكر إلى جانب الأورام الدبقية الخبيثة، وهي أورام دماغية سرطانية تُعتبر في الغالب غير قابلة للجراحة.

وفي التجربة الأخيرة، ستُستخدم الروبوتات الصغيرة لحقن الأدوية المضادة للسرطان مباشرة في الأورام الدماغية كـ«عملية جراحية دقيقة».

ويوضح شيبغلماكر أنّ طرائق العلاج الحالية تشمل استهداف الجسم كلّه بالدواء، ما يؤدي إلى آثار جانبية خطرة محتمل حدوثها، بالإضافة إلى فقدان الدواء فاعليته.

وتستطيع الروبوتات الصغيرة كذلك أن توفّر معلومات في شأن القياسات وأن تجمع عيّنات من الأنسجة خلال وجودها داخل الدماغ.

عقار جديد لمرض السرطان يقضي على الأورام الميئوس من علاجها

لندن ـ «القدس العربي»:

أظهر علاج مناعي «قاتل» جديد أملا واعدا في مهاجمة السرطانات التي يصعب علاجها.

وأجرى معهد أبحاث السرطان «ICR» بلندن بالتعاون مع مؤسسة طبية أخرى تجربة العقار الجديد الذي أطلقوا عليه اسم «AFM24» بحسب ما ذكر تقرير نشرته جريدة «اندبندنت» البريطانية.

وأظهر العقار علامات الفعالية في ثلث المرضى الذين يعانون من مجموعة من السرطانات المتقدمة التي توقفت عن الاستجابة للعلاج، بما في ذلك سرطان الأمعاء والرئة والبنكرياس.

ويعيد «AFM24» توجيه الخلايا المناعية القاتلة الطبيعية للجسم لقتل الخلايا السرطانية، من دون الحاجة إلى الخوض في العملية المعقدة لإعادة هندسة خلايا المريض، والمعروفة باسم العلاج بالخلايا التائية «CAR-T».

وتم تقديم نتائج الدراسة الجديدة، وهي تجربة المرحلة الأولى على 24 مريضا في مؤتمر الجمعية الأمريكية لأبحاث السرطان «AACR» الذي يعقد في نيو أورليانز بالولايات المتحدة.

ويأمل الباحثون أن يعمل العلاج المناعي في المستقبل ضد مجموعة من الأورام السرطانية التي تستمر في النمو على الرغم من العلاج.

ويعتقدون أيضا أن العلاج الجديد لديه القدرة على أن يكون أكثر أمانا وأقل تعقيدا من العلاجات الخلوية مثل CAR-T وقد يعمل ضد مجموعة واسعة من أنواع السرطان.

عادة عن طريق سرطان الرئة والأمعاء والكلى والمعدة والبنكرياس والقنوات الصفراوية.

وتقوم دراسات أخرى الآن بتقييم «AFM24» بالاشتراك مع العلاجات المناعية الأخرى لاستهداف الأورام الإيجابية.

وأشارت التقارير الطبية إلى حالة ريتشارد كوندي، مدير عقارات دار التمريض، البالغ من العمر 64 عاما، والذي وقع تشخيصه بسرطان الأمعاء في عام 2015 حيث أنه رغم الجراحة، انتشر المرض إلى الكبد لديه، وفي كانون الثاني/يناير 2021 قيل له إن خياراته العلاجية نفدت.

والآن، يتم علاجه باستخدام العقار الجديد ما أدى إلى استقرار مرض السرطان لديه وتقليص بعض أورامه.

وقالت الدكتورة خوانيتا لوبيز، قائدة التجربة في المملكة المتحدة، من معهد أبحاث السرطان واستشارية الأورام الطبية إن «الخلايا القاتلة الطبيعية هي جزء أساسي من جهاز المناعة وقادرة على التعرف على الخلايا السرطانية. ويمكن لهذا العلاج المناعي الجديد إعادة توجيه الخلايا القاتلة الطبيعية إلى الأورام عن طريق استهداف بروتين يسمى (EGFR) والذي يوجد غالبا على سطح الخلايا السرطانية».

وتابعت: «لا يزال هذا العلاج تجريبيا للغاية وتجربتنا في مرحلة مبكرة، لكننا متحمسون لإمكانياته. ليس من الضروري أن يتم تخصيصه لكل مريض مثل العلاج بالخلايا التائية ذات مستقبلات المستضدات الوهمية، لذلك من المحتمل أن يكون أرخص وأسرع في الاستخدام، وقد يعمل ضد مجموعة أوسع من السرطانات».

وأوضح البروفيسور كريستيان هيلين أن «هذا العلاج الجديد مبتكر للغاية لأنه يجد طريقة لتوجيه الخلايا القاتلة الطبيعية داخل جهاز المناعة إلى الأورام من دون الحاجة إلى إعادة هندسة معقدة ومكلفة لخلايا المريض. وحتى الآن، رأينا النتائج الأولية فقط في مجموعة صغيرة من المرضى، لكن النتائج تبدو واعدة، ونحن متفائلون بأن هذا قد يكون نوعا جديدا من العلاج المناعي للسرطانات التي يصعب علاجها بطريقة أخرى».

واستجاب ثلث المرضى في التجربة (ثمانية من أصل 24) للعلاج المناعي ورأوا أن سرطاناتهم تتوقف عن النمو.

وغالبا ما تشمل هذه التجارب في المراحل المبكرة الأشخاص الذين نفدت الخيارات العلاجية الأخرى لديهم.

ووجد الباحثون أن مريضين مصابين بسرطان الأمعاء وآخر مصاب بسرطان الرئة تلقوا العلاج المناعي، قل السرطان أو توقف عن النمو لديهم لأكثر من ثلاثة أشهر.

وكان «AFM24» الذي يتم إعطاؤه عن طريق الوريد، جيد التحمل بشكل عام من قبل المرضى.

وقال معهد أبحاث السرطان إن العلاج المناعي له «رأس حربي» يستهدف «EGFR» والذي ينتج

منوعات

«مين قال» دراما عائلية تنتقد السُلطات التعسفية للآباء

كمال القاضي

بات من الصعوبة بمكان البحث عن مسلسل جيد وسط زكام الأعمال التجارية التي تخاطب غرائز المُنحرفين من هواة القتل والتعذيب والبلطجة وتجار المخدرات وأرباب السوابق، فالتوافر بكثرة على الشاشة الرمضانية لا يخرج عن هذه النوعيات المكرر عرضها في كل المواسم والتي لا يمل الكتاب والمخرجون من الدوران حولها في إطارات وسياقات مُختلفة برغم رفض الغالبية العظمى من الجمهور لها. ولأسباب غير معلومة يتم ترحيل الأعمال الجادة إلى الخانة الأخيرة في الجدول الزمني، فإما أن تتم متابعتها بعد مُنتصف الليل أو في وسط نهار رمضان، وبالتالي تتوه القيمة الفنية والدرامية للعمل مع لخبطة المواعيد وحالة الزحام والفوضى وهيمنة المسلسلات ذات الإنتاج الضخم على النوافذ المرئية والأكثر انتشاراً واحتكارها لأوقات الذروة التي تتصاعد فيها مُعدلات المُشاهدة.

من الأعمال التي ظلمها توقيت العرض والإنتاج المتوسط مسلسل «مين قال» للمخرجة نادين خان ابنة المخرج الكبير الراحل محمد خان. فبرغم أهمية القضية التي تتم مناقشتها والحضور القوي للبطلين جمال سليمان وأحمد داش إلا أن التركيز الجماهيري على المسلسل لا يُناسب مستواه الفني الفارق ولا الأداء المتميز لجميع الأبطال، لا سيما أن الموضوع المطروح يستحق المتابعة والانتباه، خاصة أنه يرتبط بقضية اجتماعية وعائلية غاية في الحساسية والدقة تتصل تفاصيلها بأخطاء التربية الكلاسيكية التي يقع فيها الآباء بحسن نية فتنعكس أضرارها على الأبناء الذين يفقدون بوصلة التواصل مع آبائهم نتيجة سوء التفاهم المستمر بينهما.

لقد فتش كاتب المسلسل مجدي أمين عن تفاصيل الخلاف الدائم بين الآباء والأبناء فعمل على إبراز الأسباب التي تؤدي إليه والتي من بينها استخدام الأب لسلطته ومحاولة فرض رغباته بالقوة بغير اكتراث لما يترتب على ذلك من ردود أفعال غاضبة من ناحية الأبناء، وهي الإشكالية الأزلية التي نتج عنها الكثير من المشكلات التي تزداد تعقيداً بمرور الوقت وتكون نواة لفقدان الثقة بين الطرفين وخلق حالة من العصيان والتمرد على السلطة الأبوية.

تلعب نادين خان بحساسية على التفاصيل كمكون أساسي للموضوع الشائك وتلفت النظر إلى دقتها وأهميتها في رأب الصدع أو اتساع الهوة بحسب مُقتضيات الأزمة وحدود الخلافات، كما أن

نادين خان

جمال سليمان يلعب دوره بمهارة عالية وإجادة كاملة في الأداء، فهو يعايش الشخصية ويتماهى فيها، فهو أب في الواقع ويعرف جيداً أسرار العلاقة بين الأب والأبناء، وكذلك يقدم داش دوراً محورياً ويبذل جهداً حقيقياً في تأكيد إحساسه بشخصية طالب المرحلة الثانوية الذي يقف حائراً في مُفترق الطرق نتيجة عدم تكيفه مع طباع الأب الصارم الذي يُصر على دخوله كلية الهندسة، بينا يرغب هو في دخول كلية التجارة لتأهيل نفسه للعمل في مجال البزنس.

المخرجة استعانت بعدد من الوجوه الجديدة للقيام بالأدوار المُساعدة، من بينهم ديانا هشام وإلهام صفي الدين وأميرة دياب، وقد أصابت في اختيارها لمجموعة البنات الصغيرات ومساعدتهن على أداء الأدوار ذات الصلة بالأدوار الرئيسية والموضوع محل النقاش، حيث يؤدي ظهور الوجه الجديد غير المعروف إلى تأكيد عنصر المصداقية لأن المُتلقي يفترض أن الشخصية التي تلعب الدور هي جزء من الموضوع.

ومن عوامل تميز المسلسل أيضاً أنه لا يطرح الخلافات بمعزل عن سياقاتها فهناك وعي كامل لدى الكاتب والمخرجة بانتظام الوحدات الدرامية المُنفصلة المُتصلة فليس هناك افتعال لأية مشكلة خارج ضروريات الحكاية التي تقوم أسسها على مفهوم أعمق هو اختلاف الثقافات والمُدركات الحياتية بين الأجيال بحكم السن والخبرة، إضافة إلى تجاهل التطور السريع في المفاهيم وارتباطه بأصل الأزمات، حيث أنه من غير المنطقي وقوف الابن عند الحدود الثقافية للأب الذي تربى بشكل مُختلف وتعود على نمط فكري وحياتي مُعين كان بالأمس يناسبه واليوم ليس بالضرورة أن يناسب الابن. وتكاد تكون هذه الجزئية بالتحديد هي التي حاول المسلسل أن يُشير إليها بشكل غير مباشر، بمعنى أنه توقف أمامها وعبر عنها من خلال تضمينها داخل المواقف اللائقة والمُتجانسة وهو ما يُسمى بالتناول الموضوعي المُتصل بجسم المشكلة وحجمها وتأثيرها على الأطراف المُختلفة سواء كان الأب أو الأم أو الأخ الأكبر العائل أو أي ولي أمر آخر يمتلك سُلطة ونفوذ وله صلاحية اتخاذ القرارات المصيرية التي من شأنها إحداث تحول في مستقبل من يقع عليهم القرار.

المُدهش أن الرؤى المُقدمة في مسلسل «مين قال» تعبر بشكل واقعي عن أزمات نفسية وعائلية تحدث في آلاف الأسر المصرية وغير المصرية وهو ما يؤكد تزايد هذه النوعية من الصراعات الداخلية بين أعضاء الأسرة الواحدة، لكن القليل منها فقط هو ما يجد سبيله للحل في ظل الاعتقاد بأن الإفصاح عن المُشكلات الأسرية هو إفشاء للأسرار الخاصة وهذا هو مكمن الخطورة.

في معرض «تحية لأسيرات وأسرى الحرية»

رنا عناني: فن المقاومة يرفع معنويات الناس

بيروت – «القدس العربي»: زهرة مرعي

تشكل الأسيرات والأسرى في فلسطين المحتلة حالة قائمة بذاتها، ضمن وضع فريد يعيشه الشعب الفلسطيني منذ الاحتلال سنة 1948 ولهذا لهم يوم هو 17 من شهر نيسان/ابريل من كل عام.

شعب وحيد من بين شعوب العالم طُرد من أرضه، وأتى آخرون من أصقاع شتى ليسكنوا منازلهم. الشعب الفلسطيني هو الوحيد المحتل والمستعمر، ويعاني من الاستيطان الإحلالي. مقاومة المحتل في فلسطين متواصلة، وهو يلجأ لكافة اشكال القتل والتنكيل والإرهاب والأسر.

اعتقلت اسرائيل في فلسطين حسب تقرير لمؤسسات حقوقية فلسطينية في كانون الأول/ ديسمبر من العام 2021 بحدود 8000 آلاف على مدار العام، بينهم 1300 قاصر وطفل و184 إمرأة. وحسب التقرير بلغ عدد الأسرى 4600 منهم 34 أمرأة وبينهم فتاة قاصر. وبلغ عدد المعتقلين الأطفال والقاصرين 160. وعدد الأسرى المرضى 600. وفي سجون الاحتلال 25 أسيراً قبل أوسلو. وعدد المعتقلين الإداريين 500. وعدد الأسرى المحكومين بالمؤبد 547 منهم عبدالله البرغوثي الذي صدر بحقه 67 حكماً مؤبداً.

في سجون الاحتلال إخوة معتقلون وقد يصل عددهم لـ4 أو 5 وكذلك آباء وأبناء. للحركة الأسيرة في فلسطين حكاية بطول معاناة شعب على مدى قرن من الزمن. خصصت بيوم على صعيد الوطن، وهذا العام كانت لها تحية من بيروت عبر معرض فنّي خلّد بطولات هؤلاء المقاومين بالريشة، والقلم والصورة والمطرقة والفيديو والخيط والقهوة والملعقة. إنه معرض «تحية لأسيرات وأسرى الحرية» والذي افتتحته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في مقرها في الأول من نيسان/ابريل الجاري. مع قيمة المعرض والكاتبة رنا عناني هذا الحوار:

○ في معرض «تحية لأسرى وأسيرات الحرية» كانت المفاجأة من الأسرى الذين عبروا بالرسم عن السجن. الشيخ رائد صلاح وحاتم غرايبة. فنيا كيف تقرأين ما اخترته لهما؟

● كان الهدف أن تكون لهما مشاركتهما في المعرض ومن خلال تجربتهما في الأسر. فالشيخ رائد صلاح وحاتم غرايبة ليسا فنانين، بل عبّرا بالرسم خلال الأسر عن الذات وعن ظروف السجن القمعية. إنتاج الفن خلال الأسر موضوع يستحق أن يسلط عليه الضوء. من الصعب جداً أن تخرج نتاجات الأسرى الإبداعية من أسوار السجن، وإن حدث فعبر التهريب. قيمة هذه الأعمال أنها وليدة السجن. هناك سجناء يواصلون إنتاج الفن بكل الطرق المتاحة لهم. ونحن نعلم أن الألوان والورق وغيرها ليست في متناولهم. يُنتج الأسير بما هو متاح أمامه، من محتويات المعرض على سبيل المثال بطاقتين للأسير الفنان أمجد غنّام أرسلهما لذويه رسمهما من القهوة. وهو وافق مشكوراً على ضمّهما للمعرض. وفي المعرض أعمال لبشّار الحروب وهي عبارة عن حفر وخربشات على جدران سجن الفارعة.

رنا عناني

○ وصلت إلى بيروت صور فوتوغرافية عن تلك الخربشات. هل من حكاية خاصة بذاك السجن؟

● تجربة بشّار الحروب تختلف عن سواها. فبعد اتفاق أوسلو انسحبت قوات الاحتلال من سجن الفارعة الواقع في منطقة جنين، وتركته للسلطة الفلسطينية. ذاك السجن له وقعه في الذاكرة الفلسطينية، فقد أسر فيه كثيرون ولفترات زمنية طويلة. تعرّض الأسرى للتعذيب المتعدد الأشكال. عندما استلمته السلطة قررت ترميمه وتحويله إلى مركز شبابي. قبل مباشرة عملية الترميم قصد بشّار الحروب السجن ونقل الآثار التي حملتها الجدران. وهي رسومات انجزت باليدين، أو بالأظافر وكافة السبل التي توفرت للسجناء. نقلها على ورق الغرافيت الذي يشبه الشمع. فيما بعد تمّ ترميم المبنى واختفت كافة الآثار التي حملتها جدرانه كسجن.

○ وما رأيك بما حدث هل هو تصرف سليم ومنطقي؟

● كقيمة لست معنية بذلك. كثير من الأماكن وبخاصة داخل المدن انسحب منها المحتل وكانت سجناً أو مكاناً للتعذيب، وهي بالأساس تعود لحقبة الاستعمار البريطاني، ومن ثم استخدمها الاحتلال، والآن تستخدمها السلطة الفلسطينية. بعضها تمّ هدمه وبعضها الآخر تمّ ترميمه وتُستعمل كمراكز إدارية حكومية. برأيي كشخص أن أماكن كما سجن الفارعة كان يفترض أن يبقى شاهداً، وترميمه بأقل الممكن بحيث يتاح للناس مشاهدة ما بداخله. فهذا السجن بحد ذاته يشكل عملاً فنياً أو متحفاً يوثّق تجربة الأسر.

○ يبدو أن اللوحات التي نشاهدها في بيروت تحمل الكثير من الحكايات؟

● بالتأكيد. وإضافة إلى بشّار الحروب، عاهد إزحيمان شارك في المعرض بمجموعة من الصور الفوتوغرافية. عاهد فنان وأسير سابق، وهو استوحى مشروعه من خلال تجربته في الأسر وأسماه «بوشطا». إنه اسم سيارة السجن المصنوعة من الحديد البارد شتاء والحار صيفاً. وفي هذه السيارة يتم نقل السجناء لدى تبديل السجن، أو إلى المحكمة، أو الى المستشفى. سيارة فارغة بدون مقاعد يُرمى الأسرى داخلها مقيدون غالباً. للسيارة نافذة صغيرة، ومن يتمكن من الوقوف سيرى الطبيعة الفلسطينية، وهذا ما صوّره عاهد الذي أفصح عن خط سيرها، ومكان وقوفها. صوّر تلك المناطق وكأن الأسير ينظر إلى الطبيعة الفلسطينية.

○ موضوع الأسرى والأسيرات من عمر الاحتلال كيف يمكن حصر معرض بهذا الاتساع لتسهيل البحث؟

● ليس هدف المعرض توثيق مرحلة زمنية بقدر ما يهدف لعكس تجارب فنية تنقلنا إلى حالات محددة. نحن نتخيل الأسر ونتذكر أسرانا. لكن الأسرى يمضون سنوات وسنوات في الأسر بدون أن يسأل عنهم سائل، وبدون معرفة تفاصيل حياتهم اليومية، فهم لهم قضاياهم. المؤسف أنهم مغيبون بشكل كامل، رغم أهمية ظهور جغرافيا الحركة الأسيرة للشعب الفلسطيني. بالطبع أرض فلسطين مقسمة، ونحن كشعب يعيش في أرضه ويتعامل مع موضوعات مختلفة، وهذا ما حكى عنه عبد الرحيم الشيخ. نحن نتعامل مع الضفة الغربية، وقطاع غزة ومناطق الـ48 ولا بدّ من إضافة جديدة للجغرافيات الفلسطينية هي جغرافيا الأسر والأسرى. فهذه الجغرافيا الإنسانية مغيبة جداً عن القصص وعن حياتنا كفلسطينيين. نحن نفكر بفلسطينيي الشتات، والمخيمات والضفة والقطاع والـ48 لكننا لا نفكر بوجود أسرى في سجون الاحتلال. في معرض «تحية لأسرى وأسيرات الحرية» كان الهدف إبراز هذه القضية.

○ هل من سردية خاصة يمكن أن تروى في سياق في تنظيم هذا المعرض ووصول الأعمال إلى بيروت؟

● تمّ ذلك على مراحل. لم تواجهنا مصاعب يمكن ذكرها في نقل الأعمال إلى بيروت. ولا بد من الإشارة أننا لو كنا حيال مساحة أوسع لشارك المزيد من الفنانين في هذا المعرض. فهو جمع أعمالاً لـ30 فناناً وهذا ليس بقليل.

○ هل ستعود بعض هذه الأعمال إلى مؤسسة الدراسات الفلسطينية لتصبح من مقتنياتها؟

● صحيح بعض الفنانين تبرعّوا بأعمالهم للمؤسسة. والجديد أن مؤسسة الدراسات بدأت تعمل منذ فترة ليست بعيدة على وقفية فنية. وفي الواقع التجاوب رائع من قبل الفنانين الفلسطينيين والعرب ومن العالم. إنها حملة تضامن فنية كبيرة مع فلسطين. معرض «تحية لأسرى وأسيرات الحرية» جزء منه مشاركة، وجزء آخر كبير تبرّع.

○ وماذا عن برونزية السجين تحت التعذيب هل ستعود إلى صاحبها في العراق؟

● منحوتة الفنان سيروان براني من الأعمال الأولى التي قُدمت تبرعاً للمؤسسة. سيروان براني فنان عراقي كردي يعيش في بيروت، وهو أراد من خلال منحوتته هذه تجسيد التعذيب بشكل عام خلال السجن.

○ ما الذي حتّم اختيار عمل منذر جوابرة ليكون بوستر المعرض؟

● تقول ضاحكة: سؤال صعب قليلاً. بالنهاية تحتّم الضرورة اختيار عمل واحد يسلط الضوء عليه. يجمع عمل منذر جوابرة عناصر متعددة معاً. استخدم الصوف الذي عادة يزود به السجناء لنسج ما يرغبون بهدف قتل الوقت. خيوط الصوف الطولية كما وضعه جوابرة على لوحته ترمز للوقت. ولوحته هذه مرفقة بفيديو عن إنسان وحيد في غرفة مغلقة ينسج ويفك ما نسجه مراراً وتكراراً، مما يوحي بقساوة الوقت داخل السجن. الوقت داخل السجن يختلف تماماً عن الوقت خارجه. قياس الوقت لدى الأسير ليس الساعة التي نعرفها، فقد يمضي سنوات في ظلمة دامسة

الأسرى ينتقلون من الخيال إلى الجغرافيا

بمواجهة الإحباط الممنهج وفن السجون يُصنع بكل المتوافر

لا يعرف ليله من نهاره. ولا ننسى العمر الذي يتلاشى خاصة لمن يُسجنون 30 و40 سنة. ومن يدخلونه أطفالاً ويخرجون كباراً. ومن يدخلونه شباباً ويخرجون هرمين. انه مفهوم الوقت الذي تناوله جوابرة من جوانب مختلفة. وخلف خيوط الصوف الطولية يتأرجح أحدهم وعيناه مغمضتان. الأرجوحة لها صلة بالوقت، كما أنها ترمز إلى الأطفال الأسرى، والذين هُتكت طفولتهم في الأسر. مجموعة العناصر التي جمعتها لوحة منذر جوابرة حتّمت اختيارها. وإلى موضوع الوقت الذي جسّدة جوابرة فلهاني زُعرُب مشروع يتقاطع معه وأطلق عليه «داخل الوقت» ويتمثل بصورة أشعة للرئتين تتوسطها ساعة.

○ أحببت منحوتة المعلقة باليد للفنان الكويتي ميثم عبدال. ما رأيك بها؟

● هناك مجموعة أعمال انجزت في مرحلة متزامنة مع عملية «نفق الحرية» وهي تبرّع لمؤسسة الدراسات. بالإضافة لعمل ميثم عبدال، رسم الفنان التونسي المعروف رؤوف الكرّاي ستة طيور ملونة تخرج من حفرة أو نفق وأطلق على لوحته عنوان «صباح الخير يا فلسطين». كذلك عامر الشوملي وتحت عنوان «ست صبرات كانوا بانتظارك» رسم كيس الأمانات في السجن والصبرات تعلوه. فأحرار سجن جلبوع الست بدأوا يستعيدون مشاعرهم الإنسانية المباشرة حيال الأشياء مع الصبر، فهو شكل مصدر غذائهم شبه الوحيد في أيامهم خارج السجن. هؤلاء الأحرار شاهدوا الأشياء أمامهم بعيون الأطفال. فتناول الصبر كان فعلاً كبيراً بالنسبة لهم.

○ وماذا عن الشيخ رائد صلاح وحكايته مع الرسم وهل لا يزال يرسم؟

● ليس لي قدرة الجواب على السؤال فلم يكن بيننا نقاش في هذا الاتجاه. رسم الشيخ رائد صلاح معبراً عن حالة السجن. مشاركته في هذا المعرض كانت بلوحات أنتجها داخل السجن. الشيخ رائد صلاح وحاتم غرايبة وامجد غنّام هم من الذين أنتجوا داخل السجن، وهذه التجربة بالتحديد سعينا لتكون حاضرة في هذا المعرض.

○ كقيمة فنية كيف تقرأين في أثر الفن المقاوم؟

● لنسأل عن تعريف الفن المقاوم؟ فإنتاج الفن بشكل عام وتحت الظروف التي يُخلقها الاحتلال بحد ذاته مقاومة. هناك الكثير من الأعمال الفنية وليس بالضرورة موضوعها الأسرى، بل قد تتناول حدثاً من التاريخ وهي أيضاً فناً مقاوماً. فن المقاومة في غاية الأهمية في رأيي، ولا شك سيصل للناس. وهؤلاء الناس يتم إحباطهم وفق خطط منهجية وتحديداً تحت الاحتلال في فلسطين.

○ والعرب وفق سياساتهم غير مقصرين في صناعة الإحباط؟

● المعتمد حالياً السعي الدائم للقضاء على أي نوع من المقاومة. وبالتأكيد هذا النوع من الفن يرفع معنويات الناس. يسلط الضوء على تجارب مهمة، ويجعلنا نرى الأمور بطريقة أعمق بكثير. بخلاف ما ننظر إليه بشكل عابر وسريع عبر وسائط التواصل الاجتماعي، وأيضاً الصحافة. يدخل الفن إلى جوهر القضايا ويقدمها بطريقة مختلفة. هناك الكثير من تجارب الأسرى التي تمنح الأمل، وتمدنا بالروح كي نستمر بشكل افضل. مؤخرا نشر في مدونة عن صناعة عود في أحد السجون الإسرائيلية بغفلة من السجّان، جرى استعماله لفترة، لكنه اكتشف وتمت مصادرته. إنها قصص صغيرة مؤثرة تساهم في رفع الروح المعنوية، وهذا مهم جداً لشعب يعيش تحت الاحتلال.

○ هل سينتقل هذا المعرض إلى مكان آخر مثلاً الجامعات في لبنان؟

● البحث جار لتمديد المعرض، فهو تزامن مع شهر رمضان ومن الضروري منح الناس مزيداً من الوقت لمشاهدته. ولاحقاً سنفكر بنقله إلى أماكن أخرى.

القدس العربي الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 33 - Issue 10597 Sunday 17 April 2022
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10597 الأحد 17 نيسان (إبريل) 2022 – 16 رمضان 1443 هـ

اكتشاف تابوت غامض تحت كاتدرائية نوتردام دو باري

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

تم اكتشاف تابوت حجري من الرصاص في كاتدرائية نوتردام دو باري وسيتم فحصه قريبًا في معهد الطب الشرعي في تولوز بجنوب غرب فرنسا، حيث يجب أن يكشف عن أسراره، وفقًا للتشريع الخاص برفات البشر، وفق ما أعلن المسؤولون عن الحفريات الأثرية.

وتم اكتشاف التابوت المجسم، الذي يعود تاريخه على الأرجح إلى القرن الرابع عشر، في شهر آذار/مارس الماضي خلال أعمال التنقيب الأثرية قبل أعمال إعادة الإعمار في برج الكاتدرائية، الذي دمر جزئيًا بسبب الحريق الدراماتيكي الذي طاله في نيسان/ابريل عام 2019.

وكان التابوت مدفونًا على عمق 20 مترًا تحت الأرض، في الجزء الغربي من معبر الجناح، وكان في حالة حفظ جيدة. وقد سمحت كاميرا منظار داخلي باستكشاف الجزء الداخلي من التابوت، بدون فتحه: الجزء العلوي من الهيكل العظمي للمتوفى، وبقايا نباتات تحت رأسه، وربما شعر، ومنسوجات بالإضافة إلى شيء لم يتم التعرف عليه بعد.

وأوضح متحدث باسم المعهد الوطني للبحوث الأثرية الوقائية أن التابوت المستخرج من الكاتدرائية تم وضعه في مكان آمن بانتظار إرساله «قريبًا جدًا» إلى معهد الطب الشرعي في تولوز، حيث سيقوم الأطباء الشرعيون والعلماء بفتح التابوت هناك لدراسة عظام المتوفى والأشياء الأخرى من أجل تحديد جنسه وحالته، وتنقيحه بواسطة الكربون 14. ويمكن أن توفر الدراسات أيضًا معلومات عن رتبة المتوفي، الذي ينتمي على ما يبدو إلى النخبة الكنسية أو العلمانية.

وأشار دومينيك غارسيا من المعهد الوطني للبحوث الأثرية الوقائية، إن «الجسم البشري ليس شيئًا أثريًا». وبصفتها بقايا بشرية، يتم تطبيق القانون المدني وسيقوم علماء الآثار بدراستها على هذا النحو.

وبمجرد الانتهاء من الدراسات، سيتم إعادة التابوت «ليس كقطعة أثرية ولكن كأصل أنثروبولوجي». وحسب المعهد الوطني للبحوث الأثرية الوقائية، فأن مسار «إعادة الدفن» في كاتدرائية نوتردام دو باري قيد الدراسة.

بعد غياب عامين أطفال قطر يحتفلون بليلة «القرنقعوه» التراثية

بعد غياب عامين جراء تفشي فيروس كورونا، وعلى ساحل الدوحة بالحي الثقافي القطري كتارا، تجمع الأطفال للاحتفال بالعادة التراثية القديمة في البلاد «ليلة القرنقعوه».

وتحولت «القرنقعوه» من تراث قديم ابتكره الأجداد لتشجيع الأطفال على الصيام في الشهر الفضيل، إلى احتفال شعبي ينتظره الصغير والكبير سنويا في ليلة النصف من رمضان كل عام.

ويخرج الأطفال في مجموعات بعد الإفطار مرتدين الملابس التراثية المخصصة لهذه الليلة إلى الأحياء حاملين معهم أكياسا من القماش، يطوفون بها على المنازل القريبة.

ويطرق الأطفال الأبواب بغية ملء الأكياس التي معهم بشتى أنواع الحلوى والمكسرات التي يُعِدها الأهالي خصوصا قبل أيام من هذه المناسبة.

ويردد الأطفال أثناء تجوالهم على المنازل: «قرنقعوه، قرنقعوه، عطونا الله يعطيكم، بيت مكة يوديكم، يا مكة يا المعمورة، يا أم السلاسل والذهب يا نورة، عطونا من مال الله، يسلم لكم عبد الله، عطونا دحبة ميزان، يسلم لكم عزيزان، يا بنية يا الحبابة، أبوج مشرع بابه، باب الكرم ما صكه، ولا حط له بوابة».

والقرنقعوه احتفال تقيمه الأسر القطرية والخليجية في ليلة النصف من رمضان، تكريمًا للأطفال ولمكافأتهم على إتمام صيام نصف الشهر الكريم، وتشجيعهم على الاستمرار والمواظبة على صيام النصف الباقي.

وغابت الاحتفالات بالقرنقعوه لعامين بسبب الإجراءات الاحترازية جراء كورونا، فيما يأتي هذا العام ليعود الأطفال للاحتفال، وإدخال الفرحة في نفوسهم مجددًا.

وتأتي تسمية القرنقعوه من كلمة قرع، وتعني قرع أو دق الباب، وكذلك تعني الشيء المخلوط من مختلف الأنواع من المكسرات والحلويات.

وأصبح هناك أشكال جديدة مجسمة «للقرنقعوه» خلافاً لشكله القديم، فضلاً عن الهدايا والحلويات الفاخرة غير التقليدية، كما أصبح تباع في المتاجر صناديق فاخرة تحمل باقات من الحلوى المنوعة، وبأسعار باهظة، لكي يتبادلها الأصدقاء والأهل بهذه المناسبة.

وقبل حلول ليلة منتصف رمضان بأيام، تسعى المحال الكبرى والمتخصصة إلى إظهار بضائعها من مكسرات وزينة، بينما تتبارى المصممات في استقطاب الأمهات بتفصيل ثياب هذه الليلة، ويقدمن عروضًا مغرية بهذا الخصوص.

كما أن الاحتفال لم يعد حكرًا على الأسر والعائلات، بل إن المؤسسات الحكومية والخاصة تقيم بهذه المناسبة احتفالات كبرى، لتجعل من الدوحة واحة تراثية في هذه الليلة، سعيًا منها للاحتفال بهذا الموروث الشعبي العريق.

وقال القطري محمد المري إنه يحرص على الاحتفال مع أطفاله بليلة القرنقعوه فهي «عادة توارثناها عن أجدادنا وآباءنا كنوع من التشجيع للأطفال على الصيام والفرحة به».

وأضاف المري: «نستمر في هذه العادة بهدف توعية الأطفال بالموروث الشعبي الأصيل، وتعريفهم بالعادات والتقاليد الرمضانية الشعبية، بجانب الحرص على تدريب الأطفال على اكتساب المهارات الشعبية القديمة، وكذلك تعريف الأفراد بماضي هذه الاحتفالية وقيمتها في أوساط المجتمع القطري».

فيما قالت القطرية هيا محمد، إن «الأطفال ينتظرون هذه الليلة ليجمعوا أكبر عدد من الهدايا للشعور بالفرحة وبهجة شهر رمضان الكريم».

من جانبهم، نشر مواطنون ومقيمون صوراً لاحتفالات الأطفال بليلة القرنقعوة على تويتر عبر وسم «#القرنقعوه» واستلامهم الهدايا والحلوى. (الأناضول)

مدينة الطيرة الفلسطينية تكرّم ابنها الفنان التشكيليّ عماد جندية مصاروة

الناصرة ـ «القدس العربي»:

ضمن نشاط «رمضان ماركت–الطيرة» قامت المؤسسات المُنّظمة في مدينة الطيرة داخل أراضي 48 بتكريم الفنان الفلسطيني عماد جندية مصاروة، على ما يقدمه لأبناء شعبه عبر توثيق أحداث يوميّة وإعادة كتابة التاريخ الفلسطيني بريشة خاصة ومميّزة. وشارك حفل التكريم جمهور غفير من أبناء الطيرة الذين أكدوا على ضرورة دعم الثقافة والفنانين، علمًا أنّ جندية مصاروة من أبرز الفنانين الفلسطينيين في الـ 48 عمل وما زال على ترجمة مشاعره الفنية المنبثقة من واقعنا المُركب ما بين المواطنة والانتماء والهوية الفلسطينية من خلال لوحاته التي حملت صرخة قوية وفي الوقت نفسه شكلت الانطباعات البصرية الجاذبة وعكست تأثير الأرض والتاريخ والعادات والتقاليد على أعماله بشكل مبدع. واشتهر هذا الفنان الفلسطيني على صعيد العالم العربي أيضًا من خلال لوحاته التي تحولت إلى مرجعية فنية ومصدر فخر لوطنه والحركة الثقافية في مدينة الطيرة التي جرى تنظيم المهرجان فيها. ويختص الفنان جندية مصاروة برسم لوحات تعبيرية، تحاكي الواقع، وتحتلها مساحة واسعة من الرمزية التي تعكس قضية شعب ووطن من النكبة إلى يومنا هذا. وقدّم الفنان العديد من المعارض، فرديًا وجماعيًا، وشاركت لوحاته في معارض عدد من بلدان العالم منها المملكة المتحدة، فرنسا، وألمانيا، كما وحصل على الكثير من الجوائز المحلية والدولية.